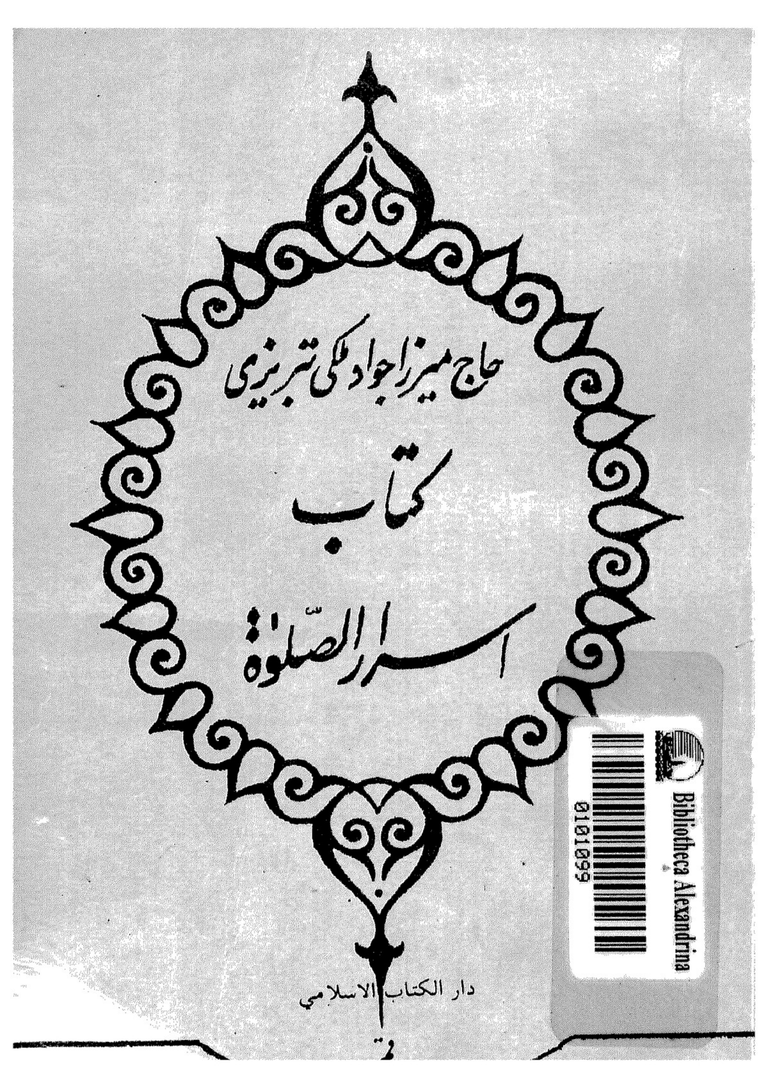
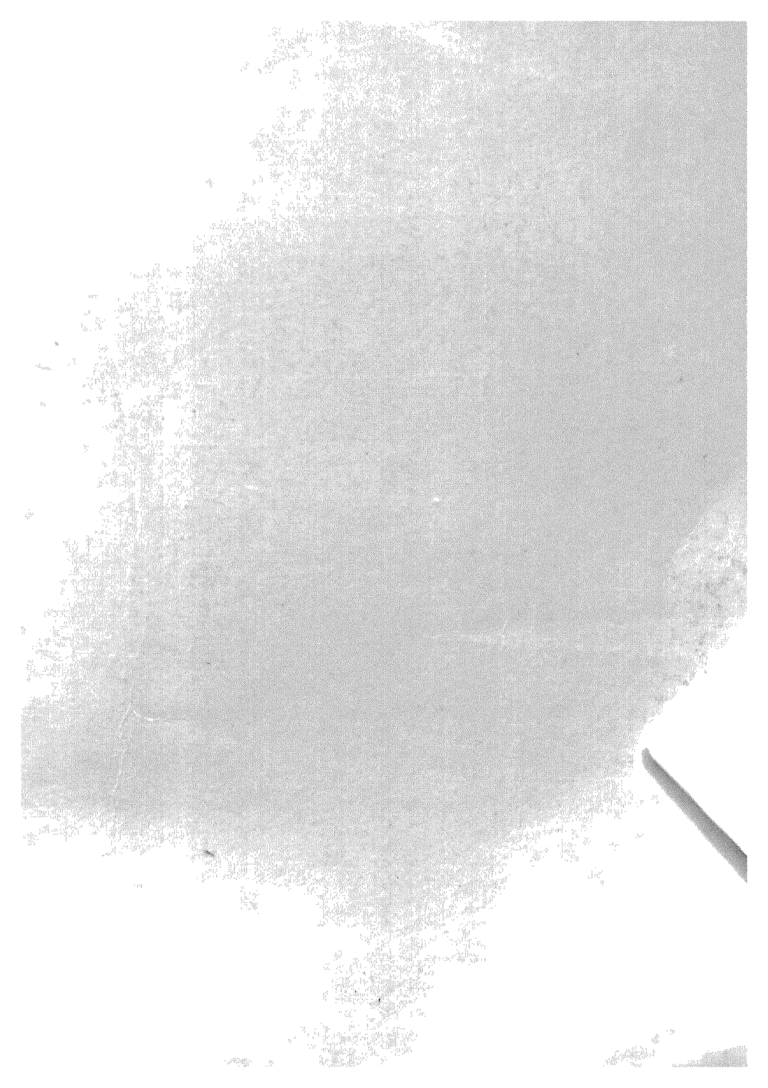

حاج میرزا جواد ملکی تبریزی
کتاب
اسرار الصلوة
دار الکتاب الاسلامی



هذا

کتاب اسرار الصلوة

از مؤلفات مرحوم جنت مکان
علم الاعلام حجة الاسلام المؤيد بتأييدات ربانی
آية الله آقای حاج میرزا جواد ملکی تبریزی
طیب‌الله رمسه

هذا كتاب اسرار الصلوة
من المؤلفات النفيسة لحجة الاسلام
و آية الله في الانام المرحوم
الحاج ميرزا جواد آقا
التبريزي نوّر الله
نفسه الزكية

بسم الله الرحمن الرحيم

في ذكر بعض اسرار الطهارة

أعلم انّ الطّهارة لمّا كانت من مفاتيح[1] الصّلوة كما هو صريح بعض الروايات قدمنا الكلام في بعض ما فيها من الاسرار وفي ذلك أبواب وفصول :

« الباب ١ »

في الاشارة الى مايلزم على العاقل من التفكر

في هذا الحكم اجمالاً و هو ان يتفكّر في حقيقتها و ثمراتها و إذا عرف انّ السّعادة ظاهراً و باطناً في النّظافة ، وتفكّر فيما ورد فيها من الايات القرآنيّة لاسيّما قوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد

---

(١) كما في الوسائل باب الوضوء عن الكليني عن ابي عبدالله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : افتتاح الصلوة الوضوء الخ وكذا عن الصدوق عن اميرالمؤمنين عليه السلام بعينه .

(٢) المائدة : الاية ٦ .

ليطهّركم، ويضم على ذلك قوله تعالى[١]: والله يحبّ المتطهّرين، و يعقل معنى حبّ الله، وانّه أو ثمرته كشف الحجب عن قلب العبد، فيلقى به كلّ نور، و سعادة، ثمّ في قوله[٢] الطّهور نصف الايمان، فيستشعر من ذلك انّ المراد من الطّهور إنّما هو التخلّي، و التنظيف من موجبات الاكدار، و القذارات عن الظّاهر و الباطن، ويكون النّصف الاخر من الايمان عبارة عن التحلّي، و التزيّن بالفواضل و، الفضايل في الظّاهر، و الباطن، مثلا طهارة البدن بالوضوء، واجتناب المعاصي وحليته بالعطر والاعمال الصّالحة، و طهارة القلب بتزكيته عن الاخلاق الرذيلة، و حليته بالتخلّق بالاخلاق الحسنة، و طهارة السر بنسيان ماسوى الله، و حليته بذكر الله، و بعبارة اخرى نفي الموهوم. وصحو المعلوم، و كشف سبحات الجمال.

فان قلت الطّهارة[٣] تطلق في عرف الفقهاء بالتنظيف عن الاخباث، و الأحداث، فمن اين يستشعر انّ المراد منها هذا المعنى العام.

قلت يستشعر ذلك من النقل والعقل: امّا النّقل فيكفيك قوله تعالى في سورة و الشمس بعد تلك الاقسام العظيمة: قد أفلح من زكّيها، وقد خاب من دسّيها، وهذا التأكيد العظيم، إنّما يدلّ على انّ الأمر في طهارة القلب اهمّ بمراتب عن طهارة البدن، والمناسب من الطهارة بكونها نصف الايمان هو الاهم، وسياتي في أخبار الباب ما يدلّ على ذلك صريحاً و أمّا العقل فانت إذا تأمّلت في لطفه تعالى ثمّ في طلبه منك طهارة مكانك الّذي هو مجاور لك، ثمّ لباسك الّذي هو ملاصق لبدنك، ثمّ بدنك الّذي هو قشر لحقيقتك، تعلم

---

(٣) التوبة . الاية ١٠٨ .

(٤) وسائل الشيعة باب الوضوء عن ابي عبدالسلام قال : الوضوء شطر الايمان .

(٥) كما ذكروه في تعريف الطهارة .

من ذلك بالعلم القطعي انه لا يهمل طهارة قلبك ، و سرك من الاقذار ، و الارجاس المعنوية ، التي لايقاس خبثها ، ورجاستها على الارجاس الظاهرية بوجه .

« الباب ٢ »

في التخلي وفيه فصول

الفصل ١ في آدابها الظاهرية وجوبا و استحبابا وهي امور :

منها أن يجلس بحيث لا يرى عورته من يحرم نظره إليها ، و الاولى في ذلك أن يستر من السرة إلى نصف الساق .

ومنها غسل مخرج البول بالماء ، و الغايط بالاستجمار أولا ، ثم بالماء .

ومنها ارتياد [1] الموضع المناسب .

ومنها تغطية الرأس اقراراً بأنه غير مبرء نفسه من العيوب ، ولئلا تصل الرايحة الكريهة إلى دماغه ، متقنعاً إظهاراً للحياء من الملائكة الحاضرين .

ومنها تقديم الرجل اليسرى عند الدخول و اليمنى عند الخروج .

ومنها التسمية ، والدعاء عند الدخول يقول : بسم الله وبالله أعوذ بالله من الرجس [2] النجس ، الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ، وعند الفصل

---

(١) الارتياد : طلب الشي وتفقد مافيه من الصلاح .

(٢) الرجس : يطلق على القذارات الباطنية والنجس بالعكس و النجس بفتح الجيم وكسرها كلاهما صحيح .

والمخبث بصيغه الفاعل هوالذى اصحابه و اعوانه خبثاء .

وقيل : هوالذى ينسب الناس الى الخبث .

وقيل : هوالذى يعلمهم الخبث و يوقعهم فيه ، ذكره الزمخشرى في (الفائق)

اقول : ويمكن ان يقرء بصيغة المفعول بمعنى من تأكد و تراكم فيه الخباثة فتدبر . و هذا الدعا ورد في كتب العامة والخاصته .

اللّهمّ اذهب عنّي الاذى وهنّأني طعامي ، وعند الاستنجاء : اللّهمّ حصّن فرجي واستر عورتي ، وحرّمها على النار ووفّقني لما يقرّب منك يا ذا الجلال والاكرام وعند القيام ، وامرار اليد على البطن : الحمد لله الّذي اماط عنّي الاذي وهنّأني طعامي وشرابي ، وعافاني من البلوى ، وعند الخروج الحمد لله الّذي عرّفني لذّته وأبقى في جسدي قوته واخرج عنّي اذيّ يالها نعمة، يالها نعمة، يالها نعمة، لا يقدر القادرون قدرها .

ومنها الاستبراء .

و منها أن يتّقي موارد المياه والطّرق النّافذة ، و مساقط الثمار ، و مواطن النزال ، و مواضع اللّعن ، وهي أبواب الدّور ، وعلى القبر وفي افنية المساجد أربعون ذراعاً في أربعين ذراعاً ، وفي الماء الجاري ، والرّاكد ، ويتأكد في الثاني ، واستقبال القبلة واستدبارها بالبدن ، واستقبال الريح ، واستدبارها و استقبال النيّرين بالفرج و البول ، و البول في الصّلبة ، و قائماً ومطمحاً من الشيء المرتفع ، يرميه في الهواء ، وفي ثقوب الحيوانات ، و طول الجلوس على الخلاء ، والاكل عليه ، والشّرب ، والسواك والتكلّم إلاّ لضرورة أو الذكر و الاستنجاء باليمنى ، و مسّ الذّكر بها بعد البول ، والاستنجاء باليسار ، و فيها خاتم عليه اسم الله ، و دخول الخلاء ، و هو عليه ، كلّ ذلك للنصّ ، أو شيء من أسماء النّبيّ ﷺ ، و الأئمّة عليهم السلام ، أو القرآن الحاقاً لها باسم الله .

الفصل ٣ في عبره بالخصوص : أوّلها أن يتفكّر في عظم لطف الله ، و انّه ما رضي أن يهمل هذه الامّة في الغفلة من فوايد الحكمة ، و الذّكر و الدعاء ، والعبر في مثل هذه الاحوال من جزئيّات حركاته ، وسكناته فيستشهد منه على عدم اهماله في الاعمال الشامخة ، والاحوال العالية من صلوته ، وصومه

ونحوهما بويصدق ماورد[١] عن رسوله ﷺ : انّه مامن شيء يقرّبكم من الله و الجنّة ، ولا يبعدكم من الله ، و يقرّبكم إلى النّار ،الا وقد بيّنته لكم ،حتّى الارش في الخدش ، ويبالغ في تفّهم اعماله السّابقة المؤثّرة في توفيقه بمراقبة هذا الحال ، وذلك يلزمه في جميع الأعمال ، وإنّ في معرفة ذلك خيراً كثيراً لكلّ عبد مراقب،انفتح له هذا الباب ، مثلااذ وفّق الانسان لموافقة مراد الله في جميع وجوه الحكمة ، والذكر ، والتوجّه ، والدّعاء ، والعبرة في تخليته.فانّه يؤثّر في التوفيق في غيره ، من حركاته ،وسكناته ممّا يناسبه فيأتي به على وفق مراد الله،وهكذا ، إلّا أن يمنع منه مانع ، وهو أيضاً من أثر عمل بدنى ، أوقلبى سابق أوحاضر، وإذا راقب الانسان في هذه الاثار من أعماله ، يورث ذلك خيرات كثيرة في تصحيح أعماله ، وإذا صحّ العمل ، وخلص من الافات ،فله صورعالية عينيّة في البرزخ والقيامة ، غيرصورته الّتي في هذاالعالم ، كصورة شابّ حسن مؤانس لصاحبه ، و كصورة نعم الجنّة ، والعلم بتفصيل هذا الاجمال وتصديقه يستدعى رسم امور .

منها انّ لكلّ شيء[٢] سبباً حتّى ينتهى إلى مسبّب الاسباب و علّة العلل .

و منها انّ بين كلّ علّة و معلولها مناسبة خاصّة .

ومنها أنّ لكل[٣] موجود في هذا العالم من الاعيان و الاحوال ،وجود في العوالم العالية السّابقة ، بصور يناسب ذلك العالم .

ومنها انّ لها أيضا وجود أو أثراً في البرزخ ، و القيامة من العوالم المتعقّبة بوجود ، وصورة تناسبها .

---

(١) كما في خطبة حجة الوداع عند نزوله في غدير خم المشهورة .

(٢) كل ذلك مذكور في العلم الالهي ومبرهن عليها .

(٣) في السلسلة النزولية كما ان تاليه في السلسلة الصعودية .

ومنها انّ العمالة في حفظ العوالم كلّها ، أوجلها ، وربط بعضها ببعض و أفاضة خيرات الله تعالى في ممالكه تسمّى ملائكة .

ومنها انّ جميع حركات الانسان ، وسكناته الاختياريّة منشائه عزمه وارادته ،وحبّه وبغضه ، واستشعار السّعادة والشّقاوة ، وبالجملة جميع حركات الاعضاء و سكناته ناشية من أثر أحوال القلب ، وصفاته و أحوال القلب أيضاً منشائه ، أمّا مايؤثّر فيه من الظّاهر من أعمال الجوارح ،لاسيّما الحواس أومن الباطن فالخيال ،والشّهوة والغضب ،والاخلاق المركّبة في مزاج الانسان فإنّه إذا أدرك بحواسه شيئاً ،حصل منه أثر في القلب ،ان خيراً فنور ،وصفاء ،وان شرّاً فظلمة ،و كدر ،و كذا إذا هاجت الشّهوة مثلا بكثرة الاكل ،وبقوّة المزاج ،فانّ لها أثراً في القلب .وهذه الاثار تبقى ،وتؤثر في إنتقال الخيال من شيء إلى شيء ، و بحسب إنتقالها ينتقل القلب من حال إلى حال ، و القلب دائماً في التغيّر ، و التأثّر ممّا يرد عليه من آثار الاسباب ، المذكورة ، وأخصّ الاثار الحاصلة فيه هي الخواطر ،واعني بالخواطر مايعرض فيه من الاخطار ،والاذكار أمّا على سبيل التجدّد ، اوالتذكّر ،ومنها يحصل الشّوق والنّفور ،ومنها ينبعث إرادة الجلب و الدّفع ، فانّ النيّة و الارادة والعزم ، إنّما يحصل بتأثير الخواطر ،فمبدء الافعال الخواطر ،وهي تحرّك الرّغبة والرّغبة ، تحرّك النيّة ،والعزم ،والعزم يحرّك العضلات ، وهي تحرّك الاعضاء ، فيحصل منها الافعال .

ثمّ الخاطر على قسمين : قسم يدعو إلى الشرّ وهو ما يضرّ بضرر لا ينتج خيراً أقوى منه .

وقسم يدعو إلى خير لاينتج ضرراً لاخير فيه أزيد من ضرره .

فالخاطر المحمود الدّاعي إلى الخير يفيضه الباري تعالى بوساطة الملك و يسمّى هو الهاماً ،والّذي يدعو إلى الشرّ بوساطة الشّيطان ، ويسمّى هو وسوسة .

و اللطف الّذي يتهيّأ به القلب لالهام الملك ، و قبول الهامه يسمّى توفيقاً .

والّذي يتهيّأ به لوسوسة الشّيطان ، و قبول وسوسته يسمّى خذلاناً

فالملك خلق خلقه الله تعالى لافاضة الخيرات ، من العلم و كشف الحق ، و الوعد بالمعروف ،

و الشّيطان خلق خلقه الله ، شأنه الوعد بالشرّ ، والامر بالفحشاء ، و التخويف عند الهمّ بالخير و بالفقر و الفحشاء .

و القلب دائماً متجاذب بينهما ، فاذا عرفت ذلك بوجدانك ، تعرف قطعاً انّ للاعمال بدنيّا كان أو قلبيّاً ، تأثيراً في التّوفيق و الخذلان ، و لهما تأثيراً في الالهام وقبوله، و الوسوسة وقبولها، وهما منشأ الافعال والحركات المتعقّبة، فاذا واظب عبد موفّق قلبه، وراقب ربّه يعلم من حاله الحاضر، وتهيّؤ أسباب الخير، وأسباب الشرّ نور أعماله السّابقة ، وظلمته ويستشهد منه لما يأتي عليه ، ويبتلى به من التّوفيق والخذلان في أحواله الاتية، فيؤثّر هذه المراقبة و المواظبة مع هذه المعرفة، أن يتدارك ما سبق بالاستغفار، والتّوبة ، ويغيّر ما يأتي بالاستعاذة والدّعاء ، وهذا هو الوجه فيما وصيت به من المبالغة في تفهم آثار الاعمال ، ومن وفّق لذلك الخير يجد خير المحاسبة الّتي فيها ورد عن الائمّة عليهم السلام : ان ليس منّا من لم يحاسب نفسه .

وثالثها ان يتذكّر بتخليته لقضاء الحاجة ، نقصه واحتياجه وما يشتمل عليه من الاقذار و إنّه كيف يستسلم لتحمل ما يتأذّى به في دفع ما أورثه أكله و شربه من القذارات ، و المعفونات ولا يتوقّع من الله جلّ جلاله أن يبدّل حكمته فيما أودع مخلوقاته استعداد ذواتها من الصّفات ، و التّأثيرات ، ولا ينتظر أن يكون ريح قاذوراته طيّبة ، فكذلك ليس له أن يتوقّع مثل ذلك

فيما أودعه في الأعمال القبيحة من التأثيرات ، و ينتظر أن يكون نتيجة ظلمة مثلا نور فإن أثر الظلم ليس[1] إلّا الظلمة ، فلا محلّ لانتظار انتاجه النّور فكيف يعد الانسان من زرع حنظلا ، و ينتظر أن يحصد سكّرا منه ، ورزقاً حسناً سفيهاً فكذلك فليحذر المسكين ، أن يكون هو هذا السّفيه و الاحمق .

ان قلت : فعلى ما ذكرت فأين الرّجاء ؟ و أين قوله عليه السلام يا مبدل السيّئات[2] بأضعافها من الحسنات ؟

قلت : هذا الايراد أيضاً من الجهل ، فانّ الرّجاء[3] غير الآمال ، و الآمال غير الأماني ، والأماني غير الحمق هذه مراتب انتظار الخير .

فمن زرع حنطة في أرض صالحة ، وسقى زرعه عند اقتضائه مايقتضيه السّقي ، و واظب تعهّده بما هو معمول فيه ، وانتظر من الله أن ينبت زرعه ، ويعطيه من هذا الزّرع أجود مايحصد من أمثال هذا الزّرع ، فهذا هو الرّجاء .

ومن زرع حنطة في أرض صالحة ، وسقاه بعض سقيه ، وانتظر أن يكمل سقيه بالانتظار الّذي ينتظر مثلها إلّا في بعض السّنين فهو مؤمّل .

و أمّا من زرع مثل زرعه ولم يسقه أبداً وانتظر أمطارا تسقيه ، وكان ذلك في بلد لم يرفيه مثل هذه الامطار ، لايعدّ انتظاره للزّرع الصّالح الطيّب رجاء ولا أملا بل أمنيّة .

ومن زرع شعيراً ولم يتعاهد زرعه أبداً ، وانتظر أن يحصد حنطة ، فهذا هو الحمق و السّفه .

و أمّا قوله عليه السلام يا مبدّل السيّئات بأضعافها من الحسنات ، فانّه

---

(١) كما في الكافي باب الظلم عن رسول الله اتقوا الظلم فانه من ظلمات يوم القيامة .

(٢) كما في الدعا والاية الشريفة : (اولئك يبدل الله سياتهم حسنات)

(٣) فسره قده في ذيل كلامه .

ليس من قبيل ما يجري من طرق الاسباب المتعارفة ، ولكن له إيضاً سبباً لطيفاً معنوياً ، طرف منه بيد المكلّف ، وهو أن لايرى الخير من الاسباب ، بل و لا الشرّ ، ولا يكون عنده ضار ولا نافع إلّا الله ، لا في الدّنيا و لا في الآخرة فيتوسّل بدعائه إلى باب فضله،ليستجلب خيره من باب العناية المحضة ولكن ذلك إنّما يجري لامحالة فيمن يعتقد هذه الصّفة في الله،وهذا الانسان المعتقد لربّه هذه الكريمة،لايتفاوت حاله فيما يرجوه من ربّه من تبديل السّيئات بالحسنات في الامور الدّنيويّة ، والاخرويّة كليهما و أنت إذا أشتبه عليك انك تعتقد في ربّك هذه الصّفة،وصادق في عقيدتك ، فأمتحن نفسك الغرور في شيء من محاويجك الدّنيويّة ؛ هل تترك التّوسل إليه من الاسباب ؟ لا سيّما الاسباب البعيدة الّتي زجر الشّارع عن التّمسّك بها وتتوكّل على الله ؟ ام لا فاذاً تعرف أنّك لست بصادق في دعويك بانّ الله مبدّل السّيئات بأضعافها من الحسنات فدع الايراد لمن يعتقد ذلك صادقاً وأن يذكّر ممّا يراه من تبدّل المطاعم،والمشارب بالاقذار،والادناس ساير التّغيّرات الواردة عليها.وعلى ساير حطام الدّنيا الّتي يعشق عليها ويقتل نفسه في حسراتها ويستشعر من ذلك هوان الدّنيا و خسّتها و إلى مجمل ما ذكرنا و غيرها يشير .

ما في مصباح الشّريعة .

قال الصّادق عليه السلام : سمّي المستراح مستراحاً لاستراحة النّفوس من اثقال النّجاسات ، وإستفراغ الكثافات والقذر فيها،والمؤمن يعتبر عندها أنّ الخالص من حطام الدّنيا كذلك يصير عاقبته ، فيستريح بالعدول عنها فيتركها ويفرّغ نفسه وقلبه عن شغلها ويستنكف عن جمعها واخذها استنكافه من النّجاسة والغايط والقذر ، ويتفكّر في نفسه المكرّمة في حال، كيف تصير ذليلة في حال،ويعلم أنّ التّمسّك بالقناعة والتّقوى يورث له راحة الدّارين

فانّ الراحة في هوان الدّنيا و الفراغ من التمتع بها ، وفي أزالة النّجاسة من الحرام والشّبهة،فيغلّق على نفسه باب الكبر بعد معرفته أيّاها،ويفرّ من الذّنوب ويفتح باب التّواضع،والنّدم،والحياء،ويجتهد في اداء أوامره واجتناب نواهيه طلباً لحسن المآب ، و طيب النّفس ، و يسجن نفسه في سجن الخوف والصّبر،والكف عن الشّهوات إلى أن يتّصل بامان الله في دارالقرار ، ويذوق طعم رضاه ، فانّ المعقول ذلك ، وما عداه لاشيء .

أقول : أوّل المراد أنّ المؤمن عندمارأى انّه إذا تلذّذ قليلا بخالص حطام الدّنيا ، فصار عاقبته إلى ما تأذّي منه ، ومن آفته ، ولم يسترح إلّا بدفعه وأنّه صارسبباً لوقوعه ، في هذه الذّلة فيعلم منه أنّ عاقبة لذّات الدّنيا إنّما هوذلك فيترك التّلذذبها ، وجمعها إلّا بقدر الضّرورة ، طلباً للاستراحة القلبيّة والنّفسيّة بالفراغ من ثقل تعلّقها ، في الحلال منها ، واذى حرامها ، و شبهاتها، فيتّقي عنها اتقائه من النّجاسات ، ويعلم عجزه ، واضطراره بالطّبع إلى ذلّة التّحمّل بدفع أذى ما يضطرّ إليه ممّا به قوامه ، و بقائه فيترك التّكبر ويتواضع ويندم على مافرّط في ذلك من قبل ، ويستحيي عن ربّه في ترك إجابة وصاياه ، فيما يتعلّق بطهارته ، وراحته ويقطع بأنّ هذه اللّذّات الدّنية الدّنيويه يجب الصّبرعنها السوء عاقبتها ، وأنّ اللّذة الخالصة الحقيقيّة لاتوجد في حطام الدّنيا ، فاللّذة بعد الوصول بامان الله في دار القرارفي طعم رضاه الله جلّ جلاله .

ورابعها أن يتفكّر في لطيف صنع الله تعالى به ، في بناء أعضائه كيف وضع في تعديل صورته ، عورته في موضع مناسب لها ، ويعرف وجوه حكمة كونها في هذا المحلّ ، من تيسّر دفع الاذى ، والتطهير مع قربه عن مستقرّ الأقذار و كونه تحت المعدة ، و في استر موضع من بدنه ، كما قال الصّادق

في توحيد المفضّل بقوله : اعتبر يامفضّل بعظم النّعمة على الانسان في مطعمه وتسهيل خروج الاذى ، أوليس في خلق القدير في البناء ، ان يكون الخلاء في استر موضع منها ، فكذلك جعل الله تعالى المنفذ المهيّا للخلا من الانسان في استر المواضع ولم يجعله بارزاً من خلفه ولا ناشراً من بين يديه ، بل هو مغيّب في موضع غائض من البدن مستور محجوب يلتقي عليه الفخذان ،ويحجبه الاليتان بما عليهما من اللّحم فيوار يانه إذا احتاج الانسان ، و جلس مصبّاً مهيّاً تلك الجلسة ، القي ذالك المتقذّر منه لانحدار الثّقل فتبارك من تظاهرت آلاؤه ، ولا يحصى نعماؤه ، فعلى العبد بعد معرفة ذلك الفضل في ستر عورته ، أن يستحيي لا محالة من ظهور سوء الصّفات الرّذيلة منه . الّتي هي عورات في الحقيقة لروحه ونفسه فيسترها عن الظّهور والبروز في الاعمال والافعال .

و خامسها أن يتفكّر في نعمة الله في خلق أسباب التطهير من الماء ، و وجه الارض ، و كثرتهما ، وبذلتهما .

وسادسها أن يتفكّر في منّة الله على هذه الامة بالسمحة السّهلة ، من الشريعة فلا يكفرها بتجاوز حدود الله تعالى بالوسوسة ، والتضييق على نفسه فأنّ الوسوسة من أشر الصفات ، و الامراض القلبيّة ويتأدّب من أئمّة الدّين حيث لم يجوزوا لنا المبالغة في الاحتياط في هذا الباب بل زجروا عنه بالقول والفعل وإذا عرف الانسان الاداب الواردة في الاخبار بالنّسبة إلى التّطهير ، علم أنّ الاحتياط الّذي شرعوه في ساير المقامات ، زجروا عنه في هذه المسئلة بخصوصها ، وعرف وجه الفرق ، وعلم منه ميزان جزئيات احكام الشرع المقدّس و إنّها في ايّة درجة من الحكمة .

ولا بأس أن نذكر ماسنح بخاطرنا من وجه الفرق ، وهو إنّ الطهارة و النجاسة ليست لها كساير الاحكام اهمية لقلّة تعلّقها بالجهات القلبية، والاحتياط

فيهاموافقة لطباع أهل الدّنيا فلايشكل عليهم المبالغة فيها لاجل موافقة طباعهم و أمّا الاحتياط في حقوق الغير من المال و الجاه ، والامور التّعبّديّة الّتي يعسر للعاقل التّعبّد بها ، فهي من الامور المهمّة المؤثّرة في الجهات القلبيّة و العمل بالاحتياط فيها مخالف لطباع أهل الهوى فسار لحاظ ضرر الوسواس فيها الزم من لحاظ الاختياط و الدّليل على ماذكرناه من أن الاحتياط فيها موافق لاغلب الطباع بخلاف ساير الاحكام ما نراه بالعيان انّ الوسوسة فيها مع زجر الشارع من زيادة الاحتياط أكثر ممّا منع عنه في غيرها بين النّاس بمراتب الا ترى انّه لايوجد من يوسوس في اداء قروضه فيؤدّي ثلث مرّات ولكن ترى أكثر النّاس يوسوس في عدم اسباغ الماء في الوضوء و تطهير الاعضاء فيغسل أكثر من ثلثين مرّة وهذا هو الوجه في الفرق ولعلّ له وجوها غيره .

وسابعها أن يتفطّن في حكم الشّرع في التطهير من الاخباث الظاهرية هذه الدّرجة لدرجة أهمّية تطهير القلب عنده بل الّذي يظهر من بعض الاخبار مثل مايأتي من رواية مصباح الشّريعة في أسرار السواك ومثل ماحكوا ﷺ من مواعظ عيسى ﷺ و سنشير إليهما انشاء الله أنّ المقصود الاهمّ من هذه الاحكام التنبيه و الايقاظ لامر الباطن وإن كانت هي في أنفسها أيضاً مطلوبات للشّارع و لها تأثيرات أيضاً في طهارة القلب كما يجده أرباب القلوب من الفرق بين حال الحدث و الطّهارة في قلوبهم .

ثمّ انّ للقاضي سعيد القمّي كلاماً في المتخلي لابأس بنقله ، قال لمّا كان الله دعى العبد في صلوته إلى قربه ، و مناجاته فينبغي للعبد ان يميط عن نفسه كلّ أذى ، و وسخ يبعده عن ربّه ، فمن ذلك تطهير جوفه بتخليته عن فضلة طعامه و شرابه الّتي هي رجز الشّيطان ، حيث لم يكن لها في تلك

المدينة منفعة ، بل هي مثيرة للفتن ، و العلل ومنشأ الآلام ، و الاسقام في هذا الهيكل و يغسل موضع خروجها حتّى لا يبقى أثر من آثارها ، أمّا بالماء الّذي هو أصل الحيوة إذ الموضع لا في الميت البعيد عن تصرف الروح فيه أو الاستجمار حيث كان الحجر الة لدفع كلّ ما يقصد تبعيده فيقوى بذلك على التطهير من رؤية الاسباب ، والمسببات كما هو فايدة الوضوء و يصير هذا عنواناً لتطهير قلبه من جميع الادناس ، وللبرائة من نفسه و من الناس لنزول سلطان القرب بلا قياس .

أقول ولقد أفاد ، واجاد شكرالله سعيه ، ولكن لو بدّل ما ذكره في تأويل الاستجمار بقوله أو بالتواضع بمسّ الارض ليستعد بالفناء عن انيته لدرك الطهارة من الله ذي الجلال ، كان أولى ، إذ الاستجمار ليس منحصراً بالاحجار بل بمطلق الأرض ومايخرج منها أيضاً على اختلاف الفتاوى .

ثمّ ان أراد العبد ان يتمّ مراقبته في الفكر فليتفكّر في بعض آدابها مثل التقنّع و الذكر .

فان التقنع للحياء من الملائكة لما رواه [1] في البحار عن المجالس ، و المكارم في وصيّة النبي صلى الله عليه وآله لابي ذر قال عليه السلام يا أباذر استحي من الله تعالى ، والّذي نفسي بيده لاظلّ حين اذهب الى الغايط متقنّعاً بثوبي استحياء من الملكين الّذين معي إلى أن قال استحي من الله حقّ الحيا .

و إذا تفكر الانسان في هذا الحكم ، و هذه الرواية ، و علم حقيقة الحياء ، واستحى من ربّه حقّ الحياء ، يسلم بذلك عن حياء ، يوم العرض على الله و من عذابه وقد روى عن الصادق عليه السلام ما معناه : انّه لو علم النّاس ما في حياء العرض على الله لما سكنوا العمران ، و اختاروا رؤس

---

(١) كما في الوسائل باب استحباب تغطية الراس والتقنع عند قضاء الحاجة .

الجبال وما اكلوا وما شربوا ، الاعن اضطرار وقد نقلته بالمعنى ، ولا يحضرني لفظ الرواية و ان شئت ان تعلم لم هذا الامر ، فاعلم إنّ شدّة الحياء يكون من شدّة القبح في العمل و من كثرة العمل ، القبيح و شدّة القبح لها أسباب وجميع أسبابها موجودة بما لا يتناهي في قبايح أعمال العبد مع خالقه ، و وجه ذلك يعلم بالقياس إلى القبايح المعمولة بين الناس ، فان الانسان إذا أتى بمنكر و خلاف لرجل فله قبح ما في نظر العقلاء وعليه الحياء من الرجل بقدر ذلك القبح وإذا كان الرجل من معارفه يزيد قبح هذا الخلاف و الحياء و إذا كان من الاشخاص الاجلاء يزيد درجة القبح و الحياء فكلما يزيد الجلالة في الرجل يزيد القبح و الحياء حتّى يصل إلى أجل رجل في العالم فكيف اذافرض ذلك مع من لانهاية لعظمته وجلاله فان قبح كل خلاف و منكر بالنسبة إليه في درجة غير متناهية وأيضا إذا فرض لهذا الرجل ولاية له في جهة من الجهات فانّ ذلك يزيد في قبح الخلاف وفي الحياء فهي أيضاً تزاد بزيادة الجهات ، حتّى ينتهي إلى ولاية الإيجاد وأيضاً إذافرض زيادة على ذلك كونه منعما على هذا المخالف، فانه أيضاً يزيد في قبح المخالفة و الحياء وذلك أيضاً يزداد حتّى يصل إلى مالا يحصى من النعم وأيضاً إذا فرض للمخالف جناية غير هذا أيضاً فانّه يزيد في جهة القبح و الحياء و ذلك أيضاً يزداد حتّى يصل إلى جنايات لاتعدّ ولا تحصى و بالجملة إذا جاء يوم القيمة و بدالهم من الله مالا يحتسبون و بدالهم سيئات أعمالهم ووجد كل امرء ما عمل محضراً فحينئذ ينكشف حقايق الامور ويعلم ميزان الحسنات و السيّئات و فرضنا إنّ هذا الربّ العطوف طالب عبداً عن عباده واجب حقّه من شكر نعمه وقال: يا عبدي ألم تك عدماً محضا فاوجدتك من غير ان انتفع بوجودك وايجادك بل لمحض انتفاعك منّي و جعلت كلّ مملكتي وجميع ممالكي يخدمونك في

محاويجك و كمالاتك من قبل وجودك ولم يمنعني معصيتك لي في جميع نعمى
التي لاتحصى بالكفران،عن ان احفظك وجميع ما أنعمت به عليك،من رزقك و
اعزازك وتربيتك و كمالاتك في جميع وجوه نعمي عليك ، وادعوك باللطف و
حسن الطلب حتى ارسلت إليك في كلّ ليلة ملكا كريماً،يدعوك إلى التوبة
و يعدك عنّى قبولها،ويخبرك انى اجيبك إذادعوتني،وافرح بتوبتك اشدفرح،و
يدعوك إلى انسى ومناجاتى وقربى ووصالي وأنت تردّ رسولي وتطيع عدوّي
ومع ذلك كلّه لاأمنع عنك نعمتي ورحمتي وحسن صنعى بك ولايزيد ذلك كلّه لك
إلّا اعراضاً عنى وأدباراًمنى ولي إلّا تلطّفاً لك واتماماً عليك واصراراً في دعوتك
وحسن طلبك حتّى بلغ الامر إلى أن صار الوقت اللّيلة الفلانية مثلاأرسلت
إليك واحداً من عيالي وفقراء عبيدي وإمائى يسألك شيئاً من نعمى العظيمة
الموجودة عندك وقد اخبرتك قبل ذلك إنّك أن اعطيته شيئاً فقد اقرضتني و
أنا الآخذمنك والمؤدّي لك احوج ماتكون عليه من الحال وان رددته رددتني
فكفرت بنعمتي عليك ولم تعطه شيئاً ورجع من عندك خائباًونام جايعاً ياعبدى
لأى شيء رددتنى وما اقرضتني اخفت لي الفقر او خفت ان اخونك و اكذب
لك في مواعدي عبدي لايّ شيء كنت تعامل عبيدي و امائي معاملة الوفاء
ولم تعاملني معاملتك معهم فكيف صرت أهون عليك من جميع مخلوقاتي و
عبيدي ، وما كنت تستحى من الاعراض عن اعدائك إذا أقبلوا عليك بصورهم و
ان علمت عداوتهم لك في قلوبهم ولا تستحي منّي و قد علمت اقبالي عليك
منذ خلقتك و قبل خلقك بايجاد مواد نعمى عليك و انتاج فروعها و حفظها
حتّى تنتفع منها حين حاجتك فتكفر لي فانّي قد خلقت لاجلك سماء وأرضاً
وشمساً وقمراً وماء وتراباًوملائكة قبل خلقك كلّهم يعملون لك ويخدمونك
في اصول نعمى عليك من مأكلك و مشربك وملبسك و مسكنك و غيرها مما
لايعدّ ولا يحصى من النعم و كيف لاتستحيى منّي في اعراضك عنّى بعد

هذا الاقبال التام و الانعام العام و التحبّب الكامل و اللطف الفاضل فتتبغّض إلى بالذنوب و المعاصي وطاعة عدوّي و بالجملة إذا كان يوم تبلى السّرائر و كشف للانسان عن حقيقة نفسه ورأى ما كسب فيها من تفاصيل هذه الاحوال وهذه المخالفات والكفران و التبغّض مع هذا الرب الرؤف و الملك الجبّار المنعم العطوف حصل له ماذكره الامام من الحياء والخجل والافتضاح و تألم منه فوق تألّمه من النّار كما اشير إلى ذلك في بعض الاخبار ان الله يقول لبعض عبيده يوم القيمة أما فعلت أما فعلت حتّى يحصل له من الخجل ما يستدعي منه جل جلاله ان يأمره إلى النار ليخلص بها من شدّة الم هذا الخجل ولا يذهب عليك انّ عدم حيائنا اليوم عمّا نحن فيه من مسائة الحال وقبائح الاعمال وحيائنا يوم القيمة لوجوه لاتخفى على المتأمّل او لها جهلنا في الدنيا بمبلغ نعم الله التي لا تحصى من وجوه عديدة وثانيها جهلنا بجميع مسائينا و افعالنا القبيحة و درجة قبحها و ثالثها و هو العمدة ضعف الأيمان بمقامات الدين من العلم بالله و ملائكته و أنبيائه و رسله و كتبه و شرايعه و أمّا في القيمة فيكون الغيب عياناً ويكون العبد حاضراً عند ربّه و يكشف له عن جزئيّات نعم الله الظّاهريّة و الباطنيّة كلّها بحيث يراها ويري أنّها من الله ويكشف لجميع جزئيّات سيّئاته و قبايح أعماله و سيّئاته الّتي لا تحصى أيضاً بالكشف الالهى و يكون الايمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله شهوداً وعياناً و يرى عباد الله المتّقين المراقبين في معاملتهم مع ربّهم باحسن المراقبات فيخجل لا محالة لنظير ما يراه كلّ واحد منّا في مخازي الّتي عند حضور الاشهاد من أعيانها فان من كان له شوهة في و جهه أوجُرح قبيح عليه أو كان مكشوف العورة أوخلق الثياب او كان مكشوف الرأس يخجل

من حضور مجلس أعيان بلده اورآه أحد وهو يأكل الخبزة أو شيئاً ردياً لا يأكله الناس مثل الميتة فلا محالة يستحيي ممن راه في ذلك الحال و ليس الحياء في اختيار الانسان لانه صفة انفعالية منشائها استشعار انكشاف صفة قبح في النفس عند الغير لاسيما إذا كان ممن يعرفه و يخلف هذا التأثر فى القبائح الشرعية عدم الاعتقاد بقبحها أولاً فان المغتاب لا يرى الغيبة اكلا للحم الميت و ان سمعه من لسان الانبياء يفرضه امراً خيالياً من باب الامثلة مخالفاً للعيان وهكذا لايرى غضبه مغيراً لصورته الانسانية إلى صورة الكلب ولايرى معاصيه شوهة لوجه روحه ثم انه لايرى حضورربه عياناً بل شيئاً سمعه و غفل عنه فانه لايورث الحياء وأما إذا كان يوم القيمة يرى ربه حاضراً و الانبياء و الملائكة و المؤمنين شهوداً مكرمين على هيئات حسنة عليهم ثياب النور مقدسين من كل شين وعلى رؤسهم تاج الكرامة قدغشيهم النور وجوههم ناضرة مستبشرة ورأى نفسه اشعث أغبر عليه ثياب خلقة ممزقة بل مقذرة وعلى بدنه جراحات منكرة يسيل منها الصديد[1] بل رأى وجهه ممسوخاً على وجه الخنازير وبدنه على صورة القردة قد غشيه ظلمة الذنوب ورأى برأى العين ان اللطيف تعالى امره أن يختار زي الانبياء المقربين و الشهداء و الصالحين وصورة هؤلاء المكرمين وهو بنفسه اختار هذه الهيئة القبيحة والصورة المنكرة فلا محالة يخجل و يستحيي مما أوقع نفسه فيه و اختاره من الزي القبيح و يتحسر من مخالفة ربه الكريم الرحيم .

فاذا تمهد لك ذلك فتفكر في نفسك حضورك في يوم عظيم ومحضر عظيم لامر عظيم و ظهور سلطان الله الذي لايقدر قدره القادرون ويعجز عن درك شدته العالمون و حزنك فى مثل هذا المقام الهائل و افرض أهواله و

---

(١) الصديد : بالفتح القيح المختلط بالدم

انكاله و عتابه و خطابه و حيائه و حسرته وحرارته و فزعه و جوعه و عطشه و عرقه و خصمائه و زبانيته ثمّ تفكّر فيما أتت عليه في هذه الدنيا في عالم التكليف ، من لطفه وعزّته و شرفه ، ونعمه و تأمّل في معاملة سلطان المعاد معك في هذا المقام ، و تشريفك بخلع التكاليف الجميلة و إكرامك بدعوته لك إلى مناجاته ، ومجلس انسه و قربه وجواره ، بهذه الكيفيّات الجميلة ، وتأمّل في قوله : أنا افرح[1] بتوبة عبدي من رجل ضلّ مركبه وزاده في سفره ، ويأس منه و نام مسلّماً نفسه للهلاك ، ثمّ استيقظ و رأى مركوبه ، و زاده حاضراً عنده .

وفي قوله الكريم في الحديث القدسي : لو علم المدبرون عني كيف انتظاري بهم ، وشوقي إلى توبتهم ، لماتوا شوقاً إليّ ولتفرّقت أوصالهم من أجل محبّتي .

و قوله : يا عيسى كم اطيل النّظر ، واحسن الطّلب ، و القوم لا يرجعون .

وقوله : عبدي بحقّك عليّ إنّي أحبّك ، فبحقّي عليك احبّني .

وقوله : بلسان الملك الداعي . أنا جليس مَن جالسني ، أنا ذاكر من ذكرني ، أنا غافر من استغفرلي ، أنا مطيع من أطاعني ، وأمثال ذلك ، ثمّ تأمّل بماذا ، و بأيّ لذّة ولأيّ كرامة ترضى بتبديل هذه التشريفات الفاخرة ، بمخازي يوم القيامة ، وانظر إلى ما روى من ذلك .

في قول مالك بعد الصاح ألف سنة : انّكم[2] ما كثون ،

---

(١) كما في اصول الكافي في باب التوبة .

(٢) الزخرف . الاية ٧٧ : و نادوا يا مالك ليقض علينا ربك . قال : انكم ماكثون .

وقول الجبّار تعالى : اخسئوا[1] ولا تكلّمون ، وانظر في قيامك لصلوتك في الدنيا ، يحفّك الملائكه من قدمك إلى عنان السماء ، و ينظر عليك الجبّار بنظر اللّطف ، ويجيبك فيما تقوله من قليل و كثير ، ويباهي بك ملائكة المقرّبين ، ويقول في كلّ ما تعمله في صلاتك من استقبالك إلى سلامك : أما ترون عبدي ، أما ترون عبدي ؟ ويعد لكلّ واحد من ذلك كرامةً لك ، وقبوله وجزاءه و رضاه و مقامك يوم العرض على الله مكبلا ، مغلولاً ازرق العين ، أسود الوجه ، مصفداً مقترناً مع شيطان ، يقال لك : يا غادر ، يا فاجر، يا مرائي أما استحيت منّي ؟ ثمّ يصدر من سلطان جلال الله خطاب خذوه [2] فغلّوه ، ثمّ الجحيم صلّوه ، ثمّ في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ، كيف يتصدّع قلبك من استماع هذا الخطاب ، و لعمرى انّ هذا ما لا تقوم له السموات والأرض ، فكيف بك يا مسكين ، فيأخذك الزبانيّة ، ويجرّك على وجهك إلى نار حرّها شديد ، وقعرها بعيد ، ومقامعها حديد ، وشرابها الحميم والصديد ، واستمع قول الإمام البصير ، و لعمري لا ينبئّك مثل خبير ، حيث يقول : كيف استطيع ناراً لو قذفت بشرارة على الأرض لأحرقت نبتها ، ولو تمسّك إنسان بقلّة لانضجته ، و هيّج النار في قلبه ؟ وانظر ياعاقل في أحوال قوم مستقرّهم الجحيم ، وطعامهم من ضريع[3] وشرابهم الحميم ، الزبانية تقمعهم ، والهاوية تجمعهم ، أمانيهم فيها الهلاك ، وما لهم منها فكاك ، قد شدّت أقدامهم بالنواصي ، واسودّت وجوههم من ظلمة

---

(١) المؤمنون . الاية ١٠٨ :

(٢) الحاقة . الاية ٣٠ .

(٣) الضريع : قيل هو نبت بالحجاز له شوك كبار يقال له الشرقه و عن رسول الله صلى الله عليه وآله الضريع في النار يشبه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة واشد حراً من النار .

المعاصي ، ينادونهم من أكنافها ، ويصيحون من نواحيها وأطرافها ، يا مالك قد حقّ علينا الوعيد ، يا مالك قد أثقلنا الحديد ، يا مالك قد نضجت منّا الجلود ، يا مالك اخرجنا منها ، فانّا لا نعود ، فيقول : الزبانية هيهات هيهات ، لات حين مناص ، لا خروج لكم منها ، و لا خلاص فاخسؤا فيها ، ولا تكلّمون ، ولواخرجتم منها لكنتم إلىما نهيتم عنه تعيدون ، فعند ذلك يقنطون ، وعلىما فرطوا في جنب الله يتأسّفون ، ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأنين يكبّون علىوجوههم ، مغلوبين ، وفيانفسهم مغلولين ، النار من فوقهم والنار من تحتهم ، والنار عن ايمانهم ، والنار عن شمائلهم ، وهم غرقى في النار طعامهم النار ، شرابهم النار ، لباسهم النار ، مهادهم النار ، وهم بين مقطّعات النيران و سرابيل القطران ، و لثقل السلاسل يتجلجلون في مضايقها ، و يتحطّمون بمقامعها ، ويصطرخون بين غواشيها ، أو يضطربون في حواشيها تغلى بهم النار كغلىالقدور ، ويهتفون بالويل والثبور ، ومهما دعوا بالعويل يصبّ من فوق رؤسهم الحميم ، يصهر به ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد ، تهشم بها جباههم ، تنفجر الصديد من أفواههم ، و يتقطّع من العطش أكبادهم ، وتسيل علىالخدود أحداقهم ، وتسقط من الوجنات لحومها و يذاب من الظهور دسومها ، و يتمعّط من الأطراف شعورها ، و جلودها ، فكلّما نضجت جلودهم بدّلوها جلوداً غيرها ، قد عريت من اللّحوم عظامهم قد اسودّت وجوههم وامحت أبصارهم ، وابكمت ألسنتهم و قصمت ظهورهم ، و كسرت عظامهم وجدعت آذانهم ، ومزقت جلودهم ، و غلّت أيديهم إلى أعناقهم ، وجمع بين نواصيهم وأقدامهم ، يمشون على النار بوجوههم ، ويطئون حسك الحديد بأحداقهم ، والحيّات يلسعهم والعقارب تلدغهم ، وهم مع ذلك

يتمنّون الموت ، فلا يموتون وهذا بعض ما نصّ عليه الكتاب والسنّة من أخبارهم وأحوالهم .

الفصل ٣ - في الوضوء ، وفيه أبواب :

﴿ الباب ١ ﴾

في بعض آدابها الظاهريّة ، وجوباً واستحباباً ، يستحبّ قبله السواك والتيامن [١] في غير ما يجب أيضاً من أفعاله ومقدّماته ، و زيادته التنظيف في مائه ، وغسل الكفّين قبل ادخالهما الاناء ، من حدث النوم والبول مرّة ومن الغايط مرّتين ، والمضمضة ، والاستنشاق ، وتثليثهما ، بل تقديم المضمضة على الاستنشاق ، وفتح العين عند غسل الوجه ، والدعاء بما يأتي عند أفعاله وأمرار اليد بالغسل على اعضائه ، وتخليل شعر الوجه ، وبدئة الرّجل بظاهر ذراعيه ، والمرئة بباطنهما ، والأسباغ بمد والاولى وحده الغسل بغرفتين اسباغاً ، وترك الاستعانة في مقدّماته و ترك استعمال ، الاجن [٢] والمشمس وسؤر الحايض الغير المأمونة ، واليهودي والنصراني ، والمشرك والناصب ، وولد الزنا على القول بطهارته ، و إلّا فيجب ، و ما أصابته الوزغة والحيّة والعقرب ، والقليل الّذي أصابته النجاسه و لم يتغيّر على القول بطهارته ، وماء البئر الّذي أصابه ما يوجب النزح ، ولم ينزح منه المقدر بعد ، والمستعمل في رفع الحدث الأكبر على القول بالجواز كما هو الأقوى ، كلّ ذلك عند الاختيار .

وأمّا تفصيل الدعاء فيه ، وفي مقدّماته ، ففي الصحيح [٣] عن أمير المؤمنين

---

(١) التيامن : هو جعل الماء على اليمين و يأتي في الفصل الاتي الاشارة الى أهمية التيامن

(٢) الاجن : الماء الذي تغير لونه او طعمه أو ريحه وغالب استعماله في الثالث

(٣) كما في الكافي والفقيه والتهذيب عن عبدالرحمان بن كثير .

انّه استدعى ماء فاكفا بيده اليمنى على اليسرى ، ثمّ قال :

بسم الله و الحمدلله الّذي جعل الماء طهوراً ، ولم يجعله نجساً ثمّ استنجى ، و قال : اللّهمّ حصّن فرجي ، و أعفه و استر عورتي ، و حرمني على النار ، ثمّ تمضمض وقال : اللّهمّ لقنّي حجّتي يوم ألقاك واطلق لساني بذكرك ، ثمّ استنشق فقال : اللهمّ لا تحرم عليّ ريح الجنّة ، واجعلني ممّن يشمّ ريحها ، وروحها وريحانها [١] ثمّ غسل وجهه وقال : اللّهمّ بيّض وجهي يوم تبيض فيه الوجوه ، ولاتسوّد وجهي يوم تسود فيه الوجوه ثمّ غسل يده اليمنى فقال : اللّهمّ اعطني كتابي بيميني والخلد [٢] في الجنان بيساري وحاسبني حساباً يسيراً ثمّ غسل يده اليسرى فقال : اللهمّ لا تعطني كتابي بشمالي ولاتجعله مغلولة إلى عنقي ، و أعوذ بك من مقطّعات النيران ، ثمّ مسح رأسه فقال : اللهمّ غشّني برحمتك وبركاتك وعفوك [٣] ثمّ مسح رجليه فقال : اللّهمّ ثبّت قدمي على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام ، واجعل سعيي فيما يرضيك عنّي يا أرحم الراحمين [٤]

ثمّ قال لمحمّد ابنه راوي الحديث : يا محمّد من توضّأ مثل وضوئي ، وقال مثل قولي ، خلق الله عزّوجلّ من كلّ قطرة ملكاً يقدّسه ، ويسبّحه ويكبّره ، ويكتب الله له ثواب ذلك إلى يوم القيامة .

---

(١) وفي بعض نسخ الحديث (وطيبها) بدل (وريحانها) وفي بعض كلاهما مذكوران والريح : الرائحة والروح بفتح الراء النسيم الطيبة .

(٢) والمراد برات الخلد أى اعطنى برات خلودى في الجنان بيسارى و له تفسيرات آخر أيضا .

(٣) وفي بعض النسخ : ليس « بعفوك » موجوداً وفي بعض « وأظلني تحت عرشك يوم لا ظل الاظلك .

(٤) و في بعض النسخ : « يا ذالجلال و الاكرام » بدل قوله : (يا أرحم الراحمين » .

وفي تفسير الإمام من قال في آخر وضوئه و غسله « سبحانك اللّهمّ ، وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت ، استغفرك وأتوب إليك ، و أشهد أنّ محمّداً عبدك ورسولك ، وأشهد أنّ عليّاً وليّك ، وخليفتك بعد نبيّك ، وانّ اوليائه خلفائك ، وأوصيائه أوصياءك » تحاتّ عنه ذنوبه كورق الشجر وخلق الله بعدد كلّ قطرة من وضوئه أوغسله ملكاً ، يسبّح الله ويقدّسه ، ويهلّله و يكبّره ويصلّي على النبيّ وآله الطيّبين ، وثواب ذلك لهذا المتوضّي .

وروى في الفقيه : انّ زكوة الوضوء ان يقول المتوضّي : اللّهمّ انّي أسألك تمام الوضوء ، وتمام الصلوة ، وتمام رضوانك والجنّة .

﴿ الباب ٢ ﴾

في تفصيل السواك ، وفضلها و فوائدها ، و كيفيّتها وأوقاتها و غيرها ، أمّا فضيلتها وفوايدها فورد في ذلك أخبار كثيرة ، نشير إلى بعضها تبرّكاً .

منها الخبر المشهور[1] المروي عن أبي جعفر عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال : قال : لولاان اشقّ على امّتي لأمرتهم بالسّواك ، مع كلّ صلوة ،

و منها ما عن الخصال مرفوعاً إلى النبيّ صلى الله عليه وآله قال : في السّواك اثنتي عشرة خصلة ، مطهّرة للفم و مرضاة للربّ ، ومبيّض الأسنان ، ويذهب الحفر[2] و يقلّ البلغم ، و يشهي الطعام ، و يضاعف الحسنات ، و يصاب به السنّة ، وتحضره الملائكة ، ويشدّ اللّثة ، وهو يمرّ[3] بطريق القرآن ،

---

(١) كما في الوسائل عن عبدالله بن ميمون القداح عن أبي عبدالله عليه السلام .

(٢) الحفر ، بفتح الحاء والفاء : صفرة تعلو الاسنان ، و حفر حفراً أي بتثليث الفاء فسدت اصول اسنانه .

(٣) لان الفم طريق القرآن ، كما في الوسائل عن أبي عبدالله عن النبي ص : نظفوا طريق القران ؛ قيل : يا رسول الله وما طريق القران؟ قال : افواهكم

ور كعتين بسواك أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من سبعين ركعة بغير سواك .

ومنها ما عن ثواب الأعمال عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أبو جعفر عليه السلام : لو يعلم الناس ما في السواك لأ باتوه معهم في لحافهم .

وأمّا كيفيّتها وآدابها فيستحب أن يكون بالاراك فان لم يوجد أو شقّ تحصيله ، فبغيره حتّى الدّلك بالابهام ، والمسبحة ، وإن يكون عرضاً وان يدعو عنده بقوله : « اللّهمّ ارزقني حلاوة نعمتك ، وارزقني برد روحك واطلق لساني بمناجاتك ، وقرّبني منك مجلساً ، وارفع ذكري في الأوّلين اللّهمّ يا خير من سئل ، ويا أجود من اعطى ، حوّلنا ممّا تكره إلى ما تحبّ وترضي . و إن كانت القلوب قاسية ، و إن كانت الاعين جامدة ، و إن كنّا أولى بالعذاب ، فأنت أولى بالمغفرة ، اللّهمّ احيني في عافية ، و أمتني في عافية » .

وأمّا أوقاته فالّذي وجدته في الأخبار(١) عند كلّ وضوء ، وعند كلّ صلوة ، و عند النوم في اللّيل ، و عند القيام منه ، و قبل الخروج إلى صلوة الصبح ، و يحتمل قويّاً كفاية ثلاث مرّات في ليلة عن حقّ الوضوء والصّلوة .

و أمّا عبرها يكفي فيها ما في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : السواك مطهّرة للفم ، مرضاة للربّ ، وجعلها من السنن المؤكدة ، وفيها منافع للظاهر والباطن ، مالا يحصى لمن عقل ، فكما تزيل ماتلوث من أسنانك من مطعمك ، ومشربك ، ومأكلك بالسواك ، كذلك فأزل نجاسة ذنوبك بالتضرّع ، والخشوع والتهجّد ، والاستغفار بالأسحار ، وطهّر باطنك وظاهرك من كدورات المخالفات ، و ركوب المناهي كلّها خالصاً لله ، فانّ

---

(١) كل ذلك مروى في الوسائل وغيره فلا حاجة الى نقل ما ورد فيها فليراجع

النبي ﷺ أراد باستعمالها مثلاً لأهل اليقظة ، و هو ان المسواك نبات لطيف نظيف ، وغصن شجر عذب مبارك ، والأسنان خلق خلقه الله في الفم آلة للأكل وأداة للمضغ ، وسبباً لاشتهاء الطعام واصلاح المعدة ، وهي جوهرة صافية تتلوث بصحبة تمضيغ الطعام ، ويتغير بها رائحة الفم ، و يتولد منها الفساد في الدماغ ، فإذا استاك المؤمن الفطن بالنبات اللطيف ، ومسحها على الجوهرة الصافية ، وأزال عنها الفساد والتغير ، وعادت إلى أصلها ، كذلك خلق الله القلب طاهراً صافياً ، وجعل غذائه الذكر والفكر والهيبة ، والتعظيم و إذا شيب القلب الصافي بتغذيته بالغفلة والكدر ، صقل بمصقلة التوبة ، و نظف بماء الانابة ليعود إلى حالته الاولى ، وجوهرته الاصلية الصافية ، قال الله : « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » وقال النبي ﷺ عليكم بالسواك فان النبي ﷺ أمرنا باستواك ظاهر الأسنان ، وأراد بهذا المعنى المثل ؛ ومن أناخ تفكره على عتبة باب العبرة في استخراج مثل هذه الامثال في الأصل والفرع ، فتح الله له عيون الحكمة ، والمزيد من فضل الله ، والله لا يضيع اجر المحسنين انتهى .

أقول على المصدق بالنبي وآله ان يعتني بامثال هذه كل الاعتناء ، ولا يهملها ولا يضيعها ، و يعامل معها معاملة الاسرار ، ويغتنم ماوصل اليه من هذه المعارف ، والتاويلات الحقه بجزئيات العبادات الواردة في الشريعة القادسة ، و مقدماتها ويشكر لله ولرسوله المبلغ ، ولخلفائه الحافظين بل وعلى الجملة الراوين لها عنهم ﷺ ، فيؤدي حق شكر هذه النعم الباطنية الفاخرة ، ويفوز بانوارها ويصل الى ثمراتها وفوايدها ، والافمن غفل عن الجملة من النعم اللطيفة الحقيقية ، و لم يعظمها حق عظمتها ، فلاينتفع منها بل و يزيده خساراً من جهة تضييعها بعد اتمام الحجة ، و اما اذا آمن بها و

اعتقد عظمتها ، فلابدّ ان يواظب عليها ويجد في التّامّل فيها ، و في امثالها كما اشيراليه في‌اخرما في مصباح‌الشّريعة ، واذا اشتغل بهذه‌المراقبة ، وغاص في التفكّر فيها ، ربّما ينكشف له عن حقايقها ، و يرى صورها المثاليّة ، و اثراتها الباطنيّة ، وانقلب له الغيب عياناً ، و الرّواية دراية والعلم وجداناً ، فيكثر جدّه و اهتمامه في‌هذا الباب ، و يستغرق اوقاته و يصير همّه همّاً واحداً ، فينجرّ ذلك الى ساير المعارف ، حتّى يستغرق عقله بمعرفةالله ، واذا يكون سائس اموره الدّنيويّه ، و شؤنه الظّاهريّة هوالله ، فلايبقى له شغل بمخلوق ، وهم‌بغيرالله ، وجدّ في‌غير لقاء الله ، فيزيدشوقه يوماً فيوما ، حتّى ينسلك في سلك المشتاقين ، وحينئذ يشتاق اليه ملائكة ربّه ، فيبشره ملك الموت عند قبضه، بقوله : ابشر يا ولي الله ، انّ الله اليك لمشتاق كمايأتي‌تفصيله في حديث المعراج هذا ، و من اللّوازم في عبر مسئلة السّواك ، و امثالها من الاداب الجزئيّة الّتى ورد فيها مثل ذلك ، من التأكيد والفضل . و المثوبات الجليلة ، ان‌لايستبعدها وان‌كان‌بعيداً في‌عقله ، بل عليه حينئذ ان يتفكّر في حكمها ، حتّى يظهرله بنور الفكرة مايزيل عنه ظلم الشكوك ، والارتياب فانّ الله موفّق للصّواب ، مثلا اذا لاحظ في مسئلة السّواك هذه الفضيلة العظيمة ، و استبعد عقله ان يكون لمثل هذا العمل البدنيّ الجزئي ، الّذى هو عبارة عن دلك الاسنان ، و تطهيرها من الفضل ان يزيد ثواب صلوته بسبعين ضعفاً ، و ايّاه ان يقبل عن عقله هذا الحكم الصّادر من بادى نظره بل عليه ان يمعن النّظر و يغور في‌تفهّم حكم هذا الامر الجزئي ، و فوايده و اذا تفكّر في ذلك ، و اجال نظره فيه ، راى انّه سبب لدفع فساد الدّماغ الّذى هو مركب عقل الانسان ، واذا اختل ، اختل العقل باختلاله و فساده والادلاك للانسان اعظم من فساد عقله ، صدّق قول الحكيم الصّادق في النخ

عليه ، و حقّ الحكمة الالهيّة في جعل هذه المثوبات الجزيلة لهواذا زاد في الفكر ورأى انّه سبب بقاء الاسنان ، اذ الاسنان له دخل عظيم في تحليل الغذاء ، الّذى به قوام البدن ، الّذى به حيوة الانسان ، و طول عمره ، الّذى به يفوز الى الدّرجات العالية ، يزيد في تصديقه ، وايضا اذا امعن النّظر يرى انّ ميزان حسن الاعمال ، والافعال وقبحها ليس بالكثرة والقلّة ، بل باللّطف والدّقة ، فان شئت تصديق ذلك ، فانظر في خدّام السلاطين ، فانّ الجندى خدمته المقاتلة الّتى قد ينجر الى القتل والهلاك ، و اجرته شيء قليل و نذر يسير ، والوزير خدمته بعض التّدبيرات والفكريّات ، واجرته ووظيفته يزيد على وظيفة عشرة الاف جندى ، فالعبرة في الخدمة بلطف العمل ، لا كثرته وشدّته ، فاذا كان الامر على ذلك ، فلم تستبعدان يزيد مراقبة العبد لمولاه في تطهير اسنانه ، عند صلوته في عمل سبعين ضعفا ، فيكون هذا التّضعيف في قبال لطف هذه المراقبة الدّقيقة ، بان لم يرض العبد ان يكون عند حضوره في محضر ربّه ، و مناجاته شيء من اعضائه ، لاسيّما عضوه الّذى هو طريق قرائة كلام ربّه ، متلوثا باثر شيء من الدنيا المبغوضة ، فهذه مراقبة لطيفة يستحق كلّ نوع من المثوبات الجزيلة ، فلا استبعاد إلّا في النظرة الاولى والحمقى ، والحمدلله .

فصل ٤ ورد في الاخبار ما يفهم منه[1] التّرغيب في التيامن في الافعال ، و الاعمال الشريفة بل الوضيعة و البداءة باليمين عند الابتلا بكليهما ، فيعتبر العاقل عنده بان ذلك كلّه من شئونات الحكمة الألهيّة ، وبعبارة اخرى من

(١) كما هو المشهور ، واستدل عليه بما روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه كان يحب التيامن فى طهوره وشغله وشانه كله ، و بما ورد فى بعض الاخبار ان الله يحب ما هو الايسر والاسهل ، ولكن الروايتين مرسلتان ، والعمدة فى المسئلة الشهرة العظيمة والانجبار بادلة التسامح فراجع .

شئونات ترجيح يمين الله ، وان كان كلتا يديه يمينا ، ولا يهمل المراقبة في شيء من افعاله ، و اعماله ، فيبتلى بترجيح المرجوح ، ثمّ له ان يلتفت انّ اليمين عبارة عن الطّرف القوى من الطرفين كعالم الغيب بالنّسبة الى الشهادة، و عالم الارواح بالنّسبة الى عالم الاجسام ، فلك ان تقوى في جميع حالاتك روحك ، و سرك و تخدمه حتّى تكون من الرّوحانيّين ، والكلمة الجامعة تجمع ما جائت به الانبياء ﷺ من الشرايع ، انّما هو ذلك ، فهم يريدون ان يعمّروا عالم الغيب ويخدموه ، والنّاس باغواء الشّياطين ، يريدون تعمير هذا العالم المحسوس ، فالمضادّة بينهم دائمة ، ثمّ لا يخفى عليك انّه قد يرى من الأنبياء ، والأولياء في بعض الاحيان التوجّه في تعمير هذه الدنيا ، فهو أيضاً خدمة لعالم الغيب ، و تخريب لعالم الحسّ ، و وجه ذلك انّ تعمير الآخرة ، وتحصيل المعرفة لا يكون إلّا بالحيوة الدنيويّة ، فتعمير هذه بقدر الضرورة لبقاء الحياة ، وبقاء النوع ليحصلوا به المعرفة ، ويعمروا فيها الدار الآخرة لازم ، ولكن لا يكون ذلك أزيد من قدر الحاجة ، فتعمير أهل الحقّ للدنيا واشتغالهم به من باب المقدّمة بقدر الضرورة ، و تعمير أهل الدنيا من جهة انّها بنفسها مطلوبة عندهم ، و معشوقة لهم ، يريدونها و يحبّونها لنفسها ، لا بشيء سواها ، و يقدرونها بجميع ما سواها ، هذا كما قد يرى من ذكر اهل الدنيا و اشتغالهم بأمر الآخرة تقيّة من أهل الحق ، حيث يرون حفظ سعاداتهم الدنيويّة في ذلك ، فذكرهم الآخرة انّما هو للدّنيا .

فصل ٥ ومن العبر عند ملاحظة آداب الوضوء من الدعوات ، ان يتأدّب الانسان في جميع أحواله ، و أفعاله بما علّمه الشارع من ذكر الله بما يناسب هذا الحال وهذا الفعل والدعاء للحفظ و البركة و لذكر ما يناسبه

من امور الآخرة والدعاء لها ، ومن هذا الباب الأدعية الّتي أنشأها السيّد ابن طاوس قدّس سرّه لبعض الأحوال ، والأفعال ، فانّه و إن لم يأخذها بالخصوص من الروايات ، الا انّه أخذها ممّا يفهم من الروايات والعمومات.

فصل ٦ والعبرة عندرؤية الماء واستعماله ، ما في مصباح الشريعة قال الصادق إذا اردت الوضوء ، فتقدّم إلى الماء يقدمك إلى رحمة الله ، فإنّ الله قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته ، ودليلاً إلى بساط خدمته ، وكما انّ رحمته تطهّر ذنوب العباد ، كذلك النجاسات الظاهرة يطهّرها الماء لا غيره.

قال الله تعالى : « وهو[1] الّذي أرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته » وقال : « أنزلنامن السماء ماءاًطهورا[2]»وقال ، « وجعلنا [3]من الماء كلّ شيء حيّ أفلا تعقلون » فكما احيى به كلّ شيء من نعيم الدنيا ، كذلك بفضله ورحمته جعل حيوة القلوب بالطاعات وتفكّر في صفاء الماء ورقّته[4] وبركته وطهوريّة ، ولطيف امتزاجه بكلّشيء وفي كلّ شيء ، واستعمله في تطهير الأعضاء الّتي أمر الله بتطهيرها ، وأت بآدابها فرايضه وسننه ، فانّ تحت كلّ واحد منها فوايد كثيرة ، إذ استعملتها بالحرمة انفجرت لك عين فوايده عن قريب ثمّ عاشر خلق الله كامتزاج الماء بالأشياء ، يؤدّى كلّ شيء حقّه ، ولا يتغيّر عن معناه معتبراً لقول رسول الله ﷺ مثل المؤمن الخاص كمثل الماء ، ولتكن صفوتك مع الله في جميع طاعاتك كصفوة الماء ، حين أنزله من السماء وسمّاه

---

(١) الاعراف : الاية ٤٨ .

(٢) الفرقان : الاية ٤٨ .

(٣) الانبياء : الاية ٣٠ .

(٤) وتزكيته وطهوريتة خ ل .

طهوراً ، وطهّر قلبك بالتقوى ، واليقين عند طهارة جوارحك بالماء .

وعن الرضا عليه السلام (١). انّما أمر بالوضوء ليكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبّار عند مناجاته إيّاه ، مطيعاً له فيما أمره ، نقيّاً من الأدناس والنجاسة ، مع ما فيه من ذهاب الكسل ، و طرد النعاس ، وتزكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبّار ، وانّما وجب الوضوء على الوجه واليدين ، والرأس والرجلين ، لأنّ العبد إذا قام بين يدي الجبّار فانّما يكشف من جوارحه ويظهر ما وجب الوضوء ، و ذلك انّه بوجهه يسجد ويخضع ، و بيده يسئل ويرغب ، ويرهب ويتبتّل ، وبرأسه يستقبله في ركوعه وسجوده ، و برجليه يقوم ويقعد الخ ، هذا .

ويلزم على العاقل بحكم عقله انّه إذا علم من الشريعة لزوم طهارة مكانه ، الّذى هو طرفه الابعد ثمّ ثيابه الّذي هو غلافه الأقرب ، ثمّ جلده الّذي هوقشره الأدنى ، فلا يسعه أن يغفل عن تطهير لبّه الّذي هو ذاته وهو قلبه ، فعليه ان يجتهد في تطهيره ازيد من غيره لأنّه موضع نظر ربّه ، وتطهيره بالتوبة النصوح ، فانّ الباطن انّما يطهر بها ، أما سمعت (٢) قول الصادق عليه السلام وطهّر باليقين والتقوى قلبك ، فإنّ اليقين يورث التقوى ، والتقوى لا يكون إلّا بالتوبة ، وإذ قد تمهّد ذلك فاعلم إنّ التوبة أهمّ من الطهارة في الصلوة فيجب أن يعلم حقيقتها فأقول: حقيقتها فهو ان يرجع العبد من غيرالله إلى الله وإن شئت قلت : من مكروه الله إلى رضاه ، وإن شئت قلت : من بعده إلى قربه ، و إن شئت قلت من الظلمة إلى النور ، و إن شئت قلت : من الجهل إلى العلم ، و إن شئت قلت : من الشقاوة إلى السعادة ،

---

(١) في العيون ، وعلل الشرايع للصدوق عليه الرحمة و اشار اليه في الوسائل.
(٢) في حديث مصباح الشريعة الذي مر انفاً .

وإن شئت قلت من المعصية إلى الطاعة .

و يكتمل من علم و حال و عمل ، و يتحقّق بكلّ منها لأنّ كلّها مطلوبة مستقلاً ، واضدادها بخلافها ، فالرجوع عنها يسمّى توبة .

أمّا العلم فاجماله ان يعلم انّ الحال الّذي فيه هو ، مورث الشقاوة أومانع من السعادة ، وتفصيله ان يعلم جميع مراتب العلوم النافعة من العلم بالله وملائكته و كتبه ورسله ، واليوم الاخر مع استشعار الحرمان من السعادات اللاّزمة لها ، والكائنة فيها .

وأمّا الحال فالتحسّر بالشقاء ، وقصد انّ السعادة في الماضي والحال والاستقبال والرغبة بالتدارك في الأحوال الثلاثة

وأمّا العمل فبالرجوع والخروج ممّا كان ، والعزم لادامته فيما يكون والرجوع اجمالا ان يحصل معنا يتدارك به ماتحسر بسببه للعاجل ، والآجل وهو ان كان متعلّقاً بحقّ من حقوق الله ، فله تداركه بالقضاء ومحو الآثار ، ومنه اذابة اللّحم الناشي من المعصية ، واذاقة النفس ألم الطاعة بقدر التذاذها بالمعصية ، و صفائها بالنور بقدر تكدّرها بظلمة المعصية ، و إن كان متعلّقاً بحقوق المخلوق ، فان امكنه الاداء فباداء حقوقهم، ولو بالاستعفاء والاسترضاء مع محو الاثار كما مضى ، وإن لم يمكنه ذلك كما إذا خان مثلا مؤمناً في عرضه ، فانّه لااداء له ، وقد يكون الاستعفاء والاسترضاء مورثاً للفتن ، فله ان يستغفر له ، ويعمل له اعمالا صالحة بقدر ما يتدارك به الخيانة ، ثمّ محو الآثار وان كان من قبيل الحيوانات ، فان امكنه أن يعوّضه من اضراره بنحو يقابله ثمّ محو الآثار ، فله ان يتداركه احتياطاً ، وهذا كلّه يفهم من التدبّر فيما روى [1] عن أمير المؤمنين ، أنّه قال ، لقائل بحضرته استغفر الله ثكلتك

(١) كما في نهج البلاغة وغيره .

أمـتك ، أتدري ما الاستغفار ؟ انّ الاستغفار درجة العلّيّين ، و هو إسم واقعٌ على ستّة معانٍ :

أوّلها النّدم على ما مضى .

والثاني العزم على ترك العود إليه أبدا .

والثالث ان تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم ، حتّى تلقى الله أملس وليس لك تبعة .

و الرابع ان تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها ، تؤدّى حقّها ،

الخامس ان تعمد إلى اللحم الّذي نبت على السحت ، فتذيب بالأحزان حتّى يلصق الجلد بالعظم ، فينبت بينهما لحم جديد ،

السادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة ، كما أذقته حلاوة المعصية ، فعند ذلك تقول : استغفر الله ، و في مصباح الشريعة قال الصّادق عليه السلام : التوبة حبل الله ، ومدد عنايته ولابدّ للعبد من مداومة التوبة على كلّ حال .

و كل فرقة من العباد لهم توبة .

فتوبة الأنبياء من اضطراب السر .

وتوبة الأولياء من تلوين الخطرات .

وتوبة الأصفياء من النفس .

وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله .

وتوبة العام من الذنوب ، ولكلّ واحد منهم معرفة ، و علم في أصل توبته ومنتهى أمره ، وذلك يطول شرحه هيهنا .

فأمّا توبة العام فان يغسل باطنه من الذنوب بماء الحسرة ، والاعتراف بجنايته دائماً ، واعتقاد الندم على ما مضى ، والخوف على ما بقى من عمره ، ولا يستصغر ذنوبه ، فيحمله ذلك إلى الكسل ، ويديم البكاء ، والأسف على ما

فاته من طاعة الله ، و يحبس نفسه من الشهوات ، و يستغيث إلى الله ليحفظه على وفاء توبته ، و يعصمه من العود على ما سلف ، و يروض نفسه في ميدان الجهاد والعبادة ، ويقضي الفوائت من الفرايض ، ويردّ المظالم ، ويعتزل قرناء السوء ، ويسهر ليله ، ويظمأ نهاره ، ويتفكّر دائماً في عاقبته ، و يستعين بالله سائلا منه الاستقامة في سرّاءه وضرّائه ، ويثبت عند المحن والبلا كيلا يسقط عن درجة التوّابين هذا ، وقد ذكر بعض السلف[1] من العرفاء للتوبة حقايق واسراراً ولطايف الاسرار ، و ذكر في الأوّل ثلاثة أشياء : تعظيم الجناية ، واتهام التوبة ، وطلب اعذار الخليقة ، والمراد من الأوّل ما أشار إليه الصادق عليه السلام من قوله : و لا يستصغر ذنوبه ، و المراد من الثّاني ما أشار إليه بقوله : ويستغيث إلى الله ليحفظه على وفاء توبته والمراد من الثالث ما اشار اليه بقوله و يردّ المظالم .

وذكر في السرائر تميز التقيّة من العزّة ، ونسيان الجناية ، والتوبة من التوبة ، والمراد من الأوّل أن يخلص توبته من الرياء ، والمراد من الثاني أن يشتغل بذكر الله بعد التوبة ، حتّى ينسى جنايته ، وتوبته من الجناية ، وهو و إن كان حالا ومقاماً سنيّاً ، إلّا أنّه لا يدخل في التوبة ، والمراد من الثالث على الظاهر التوبة من التوبة لنقصها ، أو التوبة من التوبة الّتي

---

(١) وهو العارف الكامل الخواجه عبدالله الانصاري الهروي ينتهي نسبه الى أبي ايوب الانصاري الصحابي المشهور ، صاحب التأليف والحافظ للاحاديث الكثيره المتوفى سنة ٣٨٣ او (٣٩٦) او (٣٩٧) ، ومن تآليفه : منازل السائرين الى الحق ، والمناجات الفارسية المشهورة ، و نقل الكلام المذكور في المتن من كتابه منازل السائرين ، الذى شرحه العارف كمال الدين ، المولى عبد الرزاق بن جمال الدين اسحاق الكاشانى ، صاحب تاويل الايات واصطلاحات العرفاء ، وشرح فصوص الحكم ، وشرح منازل السائرين ، وغيرها المتوفى سنة ٨٨٧ .

يراها بحوله وقوّته ، وكلاهما جيّد ، و لكن عدّ ذلك في تلو الثاني لايخلو عن شيء [١].

وذكر في الثالث أيضاً ثلاثة :

الأوّل ان تنظر بين الجناية والقضيّة ، فتعرف مراد الله إذ خلاك واتيانها فانّ الله انّما يخلي بين العبد والذنب لاحد معنيين :

أحدهما ان تعرف عزّته في قضائه ، وبره في ستره و حلمه في امهال راكبه ، و كرمه في قبول العذر عنه ، وفضله في مغفرته .

أقول : التفكّر في هذه الأحوال اشتغال عن جهة الذنب ، والتوبة بالله من جهة الصفات والأفعال ، وهذا من وجوه قوله ﷺ في بعض الروايات : مشغولة عن الدنيا بحمدك و ثنائك ، قال : والثاني ليقيم على العبد حجّة عدله ، فيعاقبه على ذنبه بحجّته ، واللّطيفة الثانية ان يعلم انّ طلب البصير الصّادق سيّئته ، لم يبق له حسنة بحال لأنّه يصير بين مشاهدة المنّة و تطلّب عيب النفس والعمل ، يعني انّ البصير الصّادق يرى جميع سيّئاته من جهة نفسه ، وخيراته من جهة الربّ فهو أولى بسيّئاته ، والله أولى بحسناته فلا يبقى له حسنة ، إذا طلب حقيقة الحال .

قال : واللّطيفة الثالثة انّ مشاهدة العبد الحكم ، لم تدع له استحسان حسنة ، ولا استقباح سيّئة لصعوده من جميع المعاني إلى معنى الحكم .

قال الشارح في شرح هذه الفقرة : مشاهدة الحكم ان لا يرى مؤثّر

---

(١) اى سرائر حقيقة التوبة ، حيث قال : وسرائرحقيقة التوبة ثلاثة أشياء : تميز التقية من العزة ، ونسيان الجناية ، والتوبة من التوبة .

والمراد من العزة الجاه بين الناس ، بان يتميز ان توبته منبعث من التقوى او الرياء والجاه بين الخلق والحشمة عندهم .

وان شئت توضيح كلامه وتفصيل مرامه فراجع الى الكتاب المذكور وشرحه .

إلّا الله ، ولا حكماً ولا أثراً ، ولا فعلا إلّا له ، فيتحقّق العبد عياناً معنى قوله كلّ شيء هالك إلّا وجهه له الحكم .

أقول : يحتمل أن يكون المراد من الاولى قوله تعالى : «ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيّئة فمن نفسك » و من الثاني قوله : « قل كلّ من عند الله » و كلّ ناظر إلى جهة .

قال : فتوبة العامّة لاستكثار الطاعه ، فانّه يدعو إلى ثلاثة أشياء : إلى جحود نعمة الستر والامهال ، ورؤية الحقّ على الله تعالى ، و الاستغناء الّذي هو عين الجبروت والتوثّب على الله ، اي العامّة ترى التوبة من حسناته ، فيقدم عليها من جهة تحصيلها ، ولا ينظر إلى جهة جناياته ، و نعمة ستر الله عليه و امهاله ، حتّى يتوب ، وأيضاً إذا نظر إليها من جهة انّها من حسناته يرى له المنّة والحقّ على الله ، فيستغني عن الله من جهة قبولها ، وعفو آثار الجنايات ، قال : توبة الاوساط من استقلال المعصية ، وهو عين الجرئة والمبارزة ومحض التديّن بالحميّة ، والاسترسال للقطيعة ، والمراد من الأوساط الّذين يعتقدون من بعض ما رأوا من الحالات ، بل و بعض ما سمعوا من الآيات والروايات ، ولم يصلوا إلى المراد منها : انّهم مجبورون في أفعالهم ، و انّ سيّئاتهم بحكم الله وقضائه وقدره ، وانّ ذالك يؤثّر في عدم استحقاق المذمّة لأنفسهم من جهة هذه الأفعال القبيحة ، وافتروا ببعض أوائل المعارف ، و وقعوا في خطر عظيم أعظم من جهل العامّة ، وهو عين الجرءة والمبارزة ، وعلّة وقوعهم في هذا الجهل حمية أنفسهم من قبول نسبة القبيح ، و ذلّ الاعتراف ، وهذا الحال استرسال للقطيعة .

قال : وتوبة الخاصّة من تضييع الوقت ، فانّه يدعو إلى درك النقيصة ويطفي نور المراقبة ، ويكدّر عين الصحبة ، أي حال التوبة للخواصّ من جهة

دركهم نقيصة الذنب ، يكثر لهم صفاء المراقبة الّتي يكون للمقرّبين ، قال : ولا يتمّ التوبة إلّا بالانتهاء إلى التوبة ممّا دون الحقّ ، ثمّ رؤية علّة تلك التوبة من رؤية تلك العلّة أي توبة أهل القرب يكون من كلّ ما يشغله عن الحقّ ، حتّى رؤية انّه تاب عن الاشتغال بغير الحقّ ، فيكمل لذّة الوصال عند نسيان الغير والغفلة عن النسيان .

أقول : وللمقرّبين أيضاً درجات بعضها فوق بعض ، فيشبه أن يكون هذا ، مقام توبة الخواص في كلام الإمام الصادق عليه السلام في مصباح الشريعة ، حيث قال : وتوبة الخاص من الاشتغال بغيرالله ، ويمكن تطبيقه بتوبة الأولياء أيضاً في كلامه ، وإذ قد عرفت بعض ما فيها من الأسرار ، فاعلم انّه لا يخلو أحد من الاحتياج إلى التوبة ، حتّى الأنبياء ، والشاهد على ذلك ما يرى من اختلاف أحوالهم ، فانّ وجود الاختلاف ، دليل على أنّ لهم أيضاً أحوالا بعضها فوق بعض ، فيكون الرجوع عن الأدنى توبة ، وقد سمعت ما في مصباح الشريعة : انّ توبة الأنبياء من اضطراب السرّ ، وكان[1] رسول الله يستغفر كلّ يوم مائة مرّة من غير ذنب ، على ما في الرواية ، وأنت إذا تأمّلت في معنى التوبة ، وكيفيّة خلق العباد وترقيهم ، علمت وجه احتياج الكلّ إلى التوبة فانّها عبارة عن الرجوع من حال ادنى إلى أعلا منه ، وليس في الوجود إلّا الذات الغني بالذات ، موجود وجد كاملا بحيث لا يحتاج إلى الترقّي والتكميل ، وذلك يصحّح معنى الحاجة إلى التوبة في الكلّ ، وأمّا الأغلب فلأنّ العقل الّذي به كمال الانسان ، وطاعة الرحمن ، لا يكمل في

---

(١) ففي الكافي « باب الاستغفار من الذنب » عن زيد الشحام عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان رسول الله يتوب إلى الله عزوجل في كل يوم سبعين مرة الحديث .

وفيه «في باب نادر» في رواية : انّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب الى الله ، ويستغفره في كل يوم وليلة مائة مرة .

المخلوق إلّا بعد كمال الشهوة والغضب ، وساير الأخلاق المذمومة ، والعلم لا يعمل إلّا بعد الجهل ، ومعلوم انّ الجهل وساير الصفات المذمومة أسباب المعصية ، بل هي من المعصية يجب التوبة عنها ، فإنّ العقل يظهر مباديه بعد سبع سنين ، وأصله عند مراهقة البلوغ ، والشهوة موجودة قبل التولّد ، والتوبة عبارة عن قبول حكم العقل في الزجر عن التوغّل في الشهوات ، هذا وجه حاجة الكلّ إلى التوبة ، وأمّا وجه دوام الحاجة إليها ، فهو انّ البشر لا يخلو من معصية بجوارحه ، او الهم بالمعصية و الخواطر ، والوساس المذهلة عن ذكر الله ، أو غفلة و قصور في العلم بالله ، و صفاته و بآثاره بحسب الطاقة ، و كلّ ذلك نقص ولها اسباب ، وتركها والاشتغال بأضدادها رجوع عن النقص إلى الكمال ، كلّ بحسبه كما سمعت انّ الأنبياء انّما يعرض عليهم اضطراب السرّ ، فيتوبون عنه ، ثمّ انّ قبول التوبة الصادقة من كلّ أحد ، حتّى المرتد بقسميه [1] مقتضى الأدلّة العقليّة ، والنقليّة ، و إنّما الكلام أنّها قد يكون الذنب بحيث يعسر منه التوبة ، بل قد يعتذر كما إذا انطبقت ظلمة المعاصي في القلب ، أو فعل فعلا لايمكن تداركه كما إذا أضلّ المسلمين ، فكفروا باضلاله ، وماتوا على الكفر ، نعوذ بالله و أمّا إذا امكنه التوبة بشرايطها ، فلا خلف في القبول ، هذا .

و روي عن أميرالمؤمنين [2] : انّه قال الذنوب ثلاثة : فذنب مغفور ، وذنب غير مغفور ، وذنب يرجى لصاحبه ، ويخاف عليه ، قيل : يا أميرالمؤمنين

---

(١) من الفطرى والملى .

(٢) كما فى نهج البلاغة ورواه فى الكافى عن على بن ابراهيم عن عبدالرحمان بن حماد عن بعض اصحابه رفعه قال : صعد أميرالمؤمنين بالكوفة المنبر ، فحمدالله ، و اثنى عليه ، ثم قال : ايهاالناس ا ه باختلاف فى بعض فقراته ، و سقط بعض جملاته ولم يذكرالذنب الثالث الذى يرجى لصاحبه ، ويخاف عليه فراجع .

فبيّنها لنا ، قال : نعم أمّا الذنب المغفور ، فعبد عاقبه الله على ذنبه في الدنيا والله تعالى احلم وأكرم من أن يعاقب عبده مرّتين ، و أمّا الذنب الّذي لا يغفره الله ، فظلم العباد بعضهم لبعض ، إنّ الله اذا برز لخلقه ، أقسم قسماً على نفسه ، فقال : وعزّتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم ، ولو كفّاً بكفّ ، و لا مسحة بكف ، ولا نطحة مابين القرناء والجمّاء فيقتصّ للعباد بعضهم من بعض حتّى لا يبقى لأحد مظلمة ، ثمّ يبعثهم الله للحساب ، وأنت إذا تأمّلت في الخبر الشريف ، علمت أنّ مراده ﷺ من غير المغفور ما لا يتدارك بردّ المظالم ، أو الاسترضاء ، وهذا الّذي في الخبر ابقى الظلم بحاله من الآخر ومن المرجوّ أمّا ما يكون التوبة فيه ناقصة من جهة محو آثاره أو الحكم لله تعالى بما وعده لعباده فهو سوء أدب لأنّه الزام بالفضل ، وأمّا عدم الحكم له بنفي القبيح عنه ، فهو أيضاً سوء أدب ، وان احكم في الأوّل ، و ترجي في الثاني كان حسناً ثمّ انّ الذنب امّا كبيرة أو صغيرة ، واجتناب الكبائر ، والصلواة الخمس تكفّر الصغاير ، كما ورد في الكتاب والسنّة ، قال الله تعالى [1] : « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ، نكفّر عنكم سيئّاتكم » و قال : « والّذين [2] يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ، إلا اللّمم » قال رسول الله : «الصلواة الخمس ، الجمعه إلى الجمعة تكفّر ما بينهن لمن اجتنب الكبائر» والروايات و كذلك الأقوال تختلف في تحديد الكبيرة والصغيرة ، عن الصادق عليه السلام في تفسير الآية الأولى قال : « الكبيرة ما أوجب [3] الله عليها النار » وعنه انّه سئل [4] عن الكبائر ، فقال : هنّ في كتاب علي سبع : الكفر

---

(١) النساء . الاية ٣١ .

(٢) الشورى . الاية ٣٧ .

(٣) الكافي باب الكبائر عن الحلبي عن الصادق عليه السلام .

(٤) في الكافي ايضا باب الكبائر عن عبيد بن زرارة عن الصادق عليه السلام .

بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين ، وأكل الربا بعد البيّنة ، وأكل مال اليتيم ، والفرار من الزحف ، والتعرّب بعد الهجرة ، قيل : فأكل درهم من مال اليتيم أكبر ، أم ترك الصلوة ؟ قال : ترك الصلوة، قيل : فما عددت ترك الصلوة في الكبائر؟ فقال : أيّ شيء أوّل ماقلت لك ؟ قال : الكفر ، قال : فانّ تارك الصلوة كافر .

أقول الاخبار مختلفة جدّاً و أنا اعد كلّما ذكر في الاخبار من الكبيرة فيعلم وجه الاحتياط ، ثم اذكر ما يقوى في نظرى . وقد مضى منها في الرّواية المزبورة سبع ، وذكر في [1] غيرها اليأس من روح الله ، والامن من مكر الله ، وقذف المحصنة ، والسّحر ، و الزنا ، واليمين [2] الغموس ، والغلول [3] ، ومنع الزكوة المفروضة ، وشهادة الزور ، و كتمان الشهادة ، و ترك الصلوة متعمّداً أوشيء ممّا فرض الله ، ونقض العهد ، وقطيعة الرّحم والسرقة ، وشرب الخمر ، وأكل الميتة والدم ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله ، من غير ضرورة ، والسحت ، و الميسر ، والقمار ، والبخس في المكيال والميزان ، واللّواط ، والقنوط من رحمة الله ، ومعونة الظالمين ، والرّكون اليهم وحبس الحقوق من غير عسر ، والكذب ، والكبر ، والاسراف ، والتبذير ، و الخيانة ، والاستخفاف بالحج ، و المحاربة لاولياء الله ، و الاشتغال بالملاهى والاصرار على الذّنوب ، و انكار حقّ اهل البيت ، وكل ما اوجب الله عليه النار .

(١) هي رواية عبدالعظيم عبدالله الحسنى المذكورة فى الكافى فراجع .

(٢) اليمين الغموس : هى التى تغمس صاحبها فى الاثم ثم فى النار والمراد منها اليمين الكاذبة .

(٣) الغلول : الذل و الغلل العطش اوشدته والمراد منه هنا هو الاكل من بيت المال قبل القسمة كما فى الاية الشريفه : ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة . وورد فى تفسيرها اخبار كثيرة بهذا المضمون .

أقول : أقل الروايات انها خمس ، وهى الشرك بالله ، وعقوق الوالدين واكل الربوا بعد البينة ، والفرار من الزحف ، والتعرّب بعد الهجرة ، وهذه الرواية صحيحة ، وفيها بعض تصريح على انّ السرقة ، والزنا ليس منها ، و في بعضها انّ الملاهى الّتي تصدّ عن ذكر الله مكروهة ، كالغنا وضرب الاوتار.

أقوال هيهنا امران :

الاوّل رفع الاختلاف من الاخبار ، وبيانه انّ من المعلوم بانّ الكبير والصغير أمران اضافيان فالزنا بالنسبة الى القبلة واللمس كبيرة قطعاً ، والقبلة واللمس بالنسبة الى النظر كبيرة ، وهكذا فلعلّ الاخبار كل يحد الكبيرة من جهة حكم خاص ، مثلاً بعضها ناظر الى الكبيرة الّتي لا يكفرها الصلوة ، وبعضها ناظر إلى الكبيرة الّتي يكفر اجتنابها الصغاير ، و بعضها ناظر إلى الكبيرة الّتي ناقض العدالة ، وهذه ايضا اختلافها باختلاف العدالة المشروطة مثلا في الشهادات ، و غيرها من الاحكام .

والثاني فقه المسألة ، وبيانه انّ الّذي صرّح باشتراط اجتنابها في قبول الشهادات ليست مطلقه ، بل اجتناب الكبيرة الّتي أوجب الله عليها النار ، هذا بحسب الواقع ، و اما بحسب الظاهر فالاخبار متظافرة في الاكتفاء بحسن الظاهر ، إذا لم يكن متجاهراً بالفسق ، والتزم الجماعة و عرف بين الناس بالستر والعفاف ، هذا في الشهادات والولايات ، غير ولاية الفتوى .

وأمّا صلوة الجماعة فليس في اخبارها ما يشرط فيه اجتناب الكباير ، بل ولا العدالة ، بل وقع النّهى عن الصلوة بمرتكبي بعض الكباير ، مثل قوله لاتصل خلف شارب الخمر ، وآكل لحم الخنزير ، ومن يقترف الذّنوب بل الاقوى جواز الصلوة خلف مجهول الحال من الشيعة ، فليس لتعيّن خصوص الكبيرة اهميّة للعمل ، بل الحكمة الالهيّة مع فضله لعلّهما

يقتضيان خفائها لأمرين .

أحدهما أن يجتنب المنقول إليه من جميع الذنوب من جهة الاحتياط ، و الاخر أن لا يكون المقترف مقترفاً عالما ، فيخفّ عقابه بجهله ، و هذا المقدار من الكلام في تحقيق الكبيرة كاف ، و الاهمّ بمرادنا و الانسب بكتابنا هو تحقيق أن الصغيرة إذا اعتقدها المقترف صغيرة ، و كان في نظره هيّنا كبرت بقدر اعتقاده صغرها ، كما انّ الكبيرة كلّما ازداد كبرها في نظر العارف ، صغرت عند الله ، وايضاً حكم الصغر في الصغيرة من باب الفضل ، و أمّا في الواقع بحكم العقل فكلّ مخالفة لامرالله كبيرة ، يجب على مرتكبها النار باستحقاق ، بل هذا حكم كل مامنع منه الشارع ، ولو بالكراهة الاصطلاحية بل وهذا حكم كل مباح يصير سبباً للغفلة عن ذكرالله ، بل الاشتغال بغيرالله ولو مع عدم نسيان الذكر فالعقل ، بعد تصور حضورالله ، و عظمته و لطفه و طلبه العبد الى أنسه وذكره ، يعد كلّ ما يخالف هذاالطلب ولو بعدم الاهتمام كبيرة .

وبعبارة اخرى الادبار على الملك المنعم في حضوره ، والاشتغال بعدوّه عند العقل كبيرة ، ولكنّ الله جل كرمه ، وعظم فضله بفضله لم يجعل للصغيرة ولا المكروهات الاصطلاحية ، ولا المباحات عقاباً ، وبملاحظة هذا الفضل ايضاً يشتدّ حكم العقل بقبح هذه المراتب كلّها ، وبالجملة كلّ المخالفات كبيرة في نظر العقل ، ولكن الفضل الالهى انّما صغر بعضها ولكن ذلك فيما إذا لم يعدها العبد صغيراً .

وقد ورد عن الصادق عليه السلام [1] أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله اتّقوا المحقّرات من الذّنوب ، فانّها لاتغفر ، قيل : وما المحقرات ؟ قال : الرّجل

(١) اصول الكافى باب استصغار الذنوب عن زيد الشحام .

يذنب الذنب ، فيقول طوبى لي لولم يكن لي غيرذلك ، وقال : ان الله يحب العبدان يطلب الله في الجرم العظيم ، ويبغض العبدان يستخف بالجرم اليسير وبالجملة مايكبر به الصغيرة الاصرار ، وقد [١] ورد لا صغيرة مع الاصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار ، والاصرار كما عن أهل اللغة الادامة للشيء ، ولكن الاستغفار يبطل حكم السابق ، فيكون الارتكاب ثانيا مع الاستغفار له ايضاً، وعدم العزم الذي بنا فيه الاستغفار ، بحكم الواحد الغير المتكرر .

عن الباقر عليه السلام [٢] في قوله تعالى : « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » قال الاصرار ان يذنب الذنب ، فلايستغفر . ولا يحدث نفسه بتوبة فذلك الاصرار .

أقول : يحتمل أن يكون المراد من الاستغفار التوبة ، كما هو المراد في بعض الاخبار ، فيكون ولا يحدث نفسه بتوبة من عطف التفسير ، ويمكن أن يكون بمعنى الدعاء بالمغفرة للذنب ، فيتحقق الاصرار حينئذ بشرطين :

أحدهما عدم الاستغفار ، والثاني التوبة ، فاذا وجد احدهما لا يكون العبد مصراً ، وليته كان كذلك ، ولكن جماعة افتوا بعدم كفاية الاستغفار ، وشرطوا العزم على الترك ، وان خالف عزمه الفعل ثانيا ، ولكن من الاستغفار و العزم على الترك يفاد من جملتها السرور بالصغيرة ، و اعتداد التمكن من ذلك نعمة ، لكن مع العلم بكونه ذنباً مكروها ، ولكن إذا جهل كونه معصية ولم يكن في جهله مقصرا ، وسر من اجل انه يحسبه حسنه ، ومقربة من رضا الله ، فلاأظن أن يكون هذا السرور سبباً لكونها صغيرة ، بل يمكن ان لا

---

(١) في الكافي باب الاصرار على الذنب عن عبدالله بن سنان .

(٢) ايضا الكافي - باب الاصرار على الذنب ولكن لم يسنده الى النبي صلى الله عليه وآله .

يكون محرماً بل ويمكن في بعض الموارد ان يكون راجحاً في حقه ، و مثاباً بسروره ، وبالجملة الفرح والسرور بالتمكن من المعصية الصغيرة ، يكبرها ، بل اللازم على المؤمن ان يتحسر بذنوبه ، ويتأسف عليها ، ويكون في مصيبة من ابتلائه بما يوجب بعده من رضاء الله جل جلاله ، ومن جملتها الاظهار لان فيه كفران لنعمة ستره تعالى ، وقد يكون تحريكاً لرغبة الغير ، بل قد يكون تهيئة لاسباب السرور ، ويتفاحش الامر بل مجرد الاظهار يلازم هتك النواميس الالهية ، و ان لم يكن فيه شيء مما ذكر ، وعن [1] الرضا عليه السلام ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : المستتر بالحسنة تعدل سبعين حسنة ، والمذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور له .

نعم هنا شيء ، وهو انه قد يكون الاظهار في بعض الموارد معظماً على النفس ، ولكن مع تأسف وتحسر ، وتعظيم للامر ، فلا يكون حكمه حكم سابقه ، ولكن ذلك ايضا امر ذوقي لم يرد به تعبد ، بل الوارد لنا بخلافه ، فالأحوط تركه أو اذا كان العبد في مقام الاستعلاج ، والاستفتاء من عالم ، و يرى استكماله في ذلك ، أظن ان لا يكون ذلك مرجوحاً كما قد اتفق امثال ذلك لبعض المؤمنين في الاستعلاج من الائمة ، ومن بعض العلماء ، ولم يتعرضوا لنهيهم ، ولا يذهب عليك ان هذا المرجوح من الاظهار انما هو مختص باظهار المعاصي بخصوصها ، وبعينها وأما اظهار التقصير والذنوب بالعموم باعظام واظهار تأسف وهو غير مرجوح بل هو من دأب الاكابر حيث يظهرون من انفسهم انهم من أهل الجنايات والتقصيرات ، لاسيما في المكاتيب ، بحيث صار المذنب والعاصي ، والجاني من القاب المؤمن عند ذكر نفسه في الكتب ، و الرسائل ،

(١) ايضا الكافي عن العباس مولى الرضا عليه السلام و عن اليسع بن حمزة عنه نفسه عليه السلام .

هذا ايضا بالنسبة إلى الناس ، وأمّا بالنسبة إلى الخالق باظهار التأسّف و التحسّر ، والاحتراق والاسترحام ، والاستغفار وذكر نعمة الامهال ، والستر والمغفرة ، بل الاقرار والاعتراف بالذنب ، وقلّة الحياء فهو من اعظم وجوه المناجات ، وله خاصية عظيمة في قبول التوبة ، و تنوير القلب بل الكمّل من الاولياء يعدون حسناتهم سيّئات بوجه من المعاريض يخرجه من الكذب الصّريح ، بل كان دأب جماعة من الاعاظم التعبير من عباداته ، و اعماله و مجاهداته وزراً ، والوجه في ذلك انّ عظمة الامر قد يجعل المحتمل محقّقاً في الانظار ، بل قد يجعل غير المحقّق كالمحقّق ، ومعروف انّ الّذى لدغته الحيّة يخاف من الحبال ، مع علمه بانّ الحبل لايلدغ ولعلّ من هذا الباب ما ورد في الاخبار انّ من تمام الاخلاق الحسنة أن يقطع الانسان انّ كلّ احدا تقى منه ، انّا لله وانا إليه راجعون من مصيبة الغفلة ، و العجب والدّلال الّذي يشهد عليه جميع احوالنا و حالاتنا ، وحركاتنا وسكناتنا ، و إلى الله الكريم المشتكى من شرور انفسنا ، و غرورها بربّنا الكريم ، فانّه قد غرّنا بالله الغرور ، فالمستعان من الربّ الغفور ، ومن جملتها أن يكون المذنب ممن يقتدى به كالعلماء ، وبعض المعروفين بالقدس والتقوى ، فانّ الصغيرة منهم قد يصير سبباً لكبائر الذنوب من العوام ، وذلك مايعمله من السيّئات بحيث يراه النّاس ، وان كان العلم بنفسه يكبر معه قبح المخالفة من بعض الوجوه ، ولكن المراد هنا مايكبر من جهة اقتداء العوام به ، فانّ للعالم وظيفتين :

الاولى ترك الذنب ، والثانية اخفائه إذا ابتلى هذا ومن المؤثر في محو آثار الذنوب اتباعها بالحسنات ، لاسيّما الخوف والبكاء والصدقات ، و اثر

من الكل التحابّ في الله لاسيّما محبة آل محمد ، و يتبعه محبّة شيعتهم و مواليهم .

والمؤمن انّما يغفره الله ، وان لم يتشبّث بهذه الاسباب وغيرها ، كان يبتليه بالمصائب ، والبلايا في نفسه واهله وماله وجاهه ، فيكون ذلك كفارّة لذنوبه كما في بعض الاحاديث القدسية اهل معصيتي لم اقنطهم من رحمتي فان ماتوا فانا حبيبهم و ان مرضوا فانا طبيبهم و ان لم يتوبوا فبالمصائب و البلايا اطهرهم و من هذا الباب وردان كل ما يصيبه الانسان حتّى ضرب العرق والصداع والنكبة فهو من ذنوبه ، فالبلايا كلها رحمة للمؤمن ، فله ان يستقبلها بقبول حسن ، كما وردانّه قال الله لبعض[1] انبيائه اذا رأيت الفقر مقبلافقل مرحبا بشعار الصّالحين وإذا رأيت الغنامقبلافقل ذنب عجلت عقوبته فاذا البلايا و المصائب الدنيويّة من نعم الله تعالى للصالحين ، كما ان النّعم الدنيوية عقوبة من وجه هذا .

وأمّا علاج الاصرار والدواء لتحصيل التوبة ، فهو بتحصيل اسبابها و هي العلم والذّكر والفكر والمجاهدة بالعمل أمّا العلم فبان يعلم انّ الاخرة خير وابقى ، وانّ الذّنوب موجبة للشقاوت العظيمة في الدّنيا و الاخرة ، و التوبة منجية منها ، ومورثة لمحبّة الله ، وموصلة الى جوار الله ولقائه ، و إنّ لذة اللّقاء هي التي لاعين رأت ولا اذن سمعت ، ولاخطر على قلب بشر ، ولها من اللّذة والبهجة والسرور والحبور ، ثم لاينفع العلم مع الغفلة حتى يتذكّر وعلامة الفكر النّافع أن يؤثر فكره في تغيّر حاله ، كتأثير فكره فيما

---

(١) في كتاب ارشاد القلوب للشيخ الزاهد أبي محمد الديلمي : فيما اوحى الله الى موسى عليه السلام اه .

يتفكّر فيه من عواقب السوء ، لتفريطه في المنافع العاجلة ، مثلا إذا سبّ أحداً من المؤمنين فله ان يعلم انّ سبّه يورث في الآخرة نكالا ، وعذاباً لا يقاس بشيء من نكال الدنيا ، وهذا العلم لا ينفع مع الغفلة عنه حتّى يكون ذاكراً له ، والذكر لا يكثر نفعه حتّى يديم فكره فيما يتذكّره من سوء عاقبته ، حتّى يؤثر في تغيير حاله ، مثل ما يعتبر حاله إذا سبّ ملكا مثلا في غيبته وسمع انّه وصله سبّه فدعاه إلى محضر التنكيل ، فكيف يكون حال هذا المسكين عند الفكر فيما يحتمل أن يفعل به السلطان في مجازاته ، وعقابه وكيف ينغص عيشه ويتحسّر بتفريطه ، ويندم على ماارتكبه ، وكيف يشتدّ حزنه وخوفه ، وكيف يتصوّر حاله في محضر الملك ، وانّه بأيّ عقاب يجازيه وبأيّة مثلة يمثله ، وكيف يكون حاله إذا أمر الجلاوزة لأخذه ، و امير الغضب لقطع لسانه مثلا ، و بالجملة لا يدع شيئاً من العقوبات إلّا و يتذكّر وقوع نكالها عليه من السلطان ، ويتألّم به حتّى انّه شوهد في بعض الأوقات انّه تلف الجاني المتوقّع للعقوبة من كثرة خوفه ، واختلّ عقله من شدّة حزنه ، والفكر الكامل الصحيح قد يؤثر في القلب بما لا يؤثره وقوع ما يتفكّر فيه .

وبالجملة إذا تفكّر الإنسان في عظمة أمر الآخرة من الحسنة والنار وتصوّر لذّات نعم الجنّة كلّها بأنواعها وأفرادها وتصوّر بهجتها وسرورها و كرامتها و تصوّر حسرة حرمانها ثمّ تصوّر ألم عذاب الآخرة بأنواعها و افرادها ، وتصوّر وقوعها على نفسه ، نظير ما يتفكّر في اللّذات الدنيويّة ، والمولمات الدنيويّة المتوقّعتين ، يؤثر ذلك لامحالة أثراً يصحّح توبته لامحالة والأنفع بحال المبتدى الفكر في الموت ، وشدّته وسكراته ، وفزعه وحرارته وألمه ، وحسرته وفراق جميع محابه ومألوفاته ، ووحشة القبر وظلمته وغربته و كربته ودوده وبلاه .

وفي ذكر هول الموت و القبر و البلا (١)
عن اللهو و اللذات للمرء زاجر

وقد رأيت بعض المستمعين حين مذاكرتي لأحوال الموت والموتى ، اختلّ دماغه عن الفكر في ذلك في أيّام قليله ، حتّى احتجت لعلاجه ممّا وقع به فمنعته من حضور مجلس المذاكرة ، والفكر في الموت ، وأمرته في الفكر في رحمة الله ووسعتها ، وفي اخبار موت الصالحين ولذّة ما يجد أولياء الله بالموت من الشوق إلى لقاء الله و كراماته حتّى أفاق ممّا كان .

و بالجملة لو تفكّر بهذا الترتيب في عواقب احواله ، و افعاله فأقلّ ما يؤثر فيه انقلاعه عن الذنوب ، وانّما عدم التأثير في الأغلب من جهة انّ الناس يتغافلون عن ذكر الموت ، والقبر والبلا وان عرضهم عارض فذكرهم الموت ، يشتغلون عن ذكره فراراً من تنغّص العيش .

و لكنّ الأكابر كانوا يتعاهدون قبورهم و ينامون فيها و يخاطبون أنفسهم بما يخاطب به الأشقياء ، ليتأثّروا بذلك أثراً يمنعهم عن الوقوع فيه بغير عدّة ، وكان دأب بعضهم انّه أعدّ لنفسه قبراً يأتيه وينام فيه ، ثمّ يقول ربّ ارجعون لعلّي أعمل صالحاً ، ثمّ يخاطب نفسه ، ويقول : يا فلان قم ارجعك ربّك ، فاعمل صالحاً من قبل أن يأتيك يوم تؤمّل فيه الرجوع ، ولا تظفر به ثمّ يبالغ ويجتهد في العبادة ، و بلغني انّ العلّامة الاشرفي المازندراني ، كان يحرق ناراً كثيرة ، ويأمر من يشدّه بحبل ، ويجرّه إلى النار و يذيق نفسه بعض ألمها ، وحكى عمّن رأى في البيت المقدس من العبّاد انّهم كانوا يمرّون بالسلاسل من اكتافهم ، ويخرجونها من ظهرهم ، ويشدّونها باسطوانة البيت ويشتغلون العبادة .

(١) البلا : بفتح الباء ناقص يائى بمعنى الرث والخلق ، ومن الناقص الواوى بمعنى الامتحان والابتلاء ، والمراد فى المقام هو الاول

وبالجملة يلزم في تأثير الفكر المبالغة فيه ، مثلا يفرض في نفسه جميع سكرات الموت ، والقبر والبلاء ، وينظر إلى طراوة صورته في حاله ، ثمّ ينظر بعين الخيال في قبره كيف يوقعه القبر في قبح المنظر ، يسيل احداقه و يتخلخل لحمه و يبلى شعره فانّه يبصر من قبح المنية منظراً يهتال المرء منه ويرتاع الناظر ، ثمّ يتذكر مفاجات الموت ، وان استقله بعد ذكر مفاجات الامراض وتعاقبه للموت ، فكم من نفس بات حياً صحيحاً واصبح ميتاً ، وكم من نفس بات صحيحاً واصبح بعد صحته مريضاً ، وبعد سلامته نقيصاً ، يعالج كرباً ويقاس تعباً في حشرجة السياق ، وتتابع الفراق وتردد الانين ، والذهول عن البنات والبنين ، والمرء قد اشتمل عليه شغل شاغل ، وهول هائل قد اعتقل منه اللّسان ، وتردد منه البيان وذاق وضعاً مكروها و فارق الدنيا مسلوباً لا يملكون له نفعاً ، ولالما حلّ به دفعا ، وليعلم الانسان ان الناس سيّارة قد حدى بهم الحادى ، وحدى بخراب الدنيا حاد ، وناديهم للموت مناد .

الا وانّ الدنيا غدّارة مكارة ، تنكح في كل يوم بعلا ، و تقتل في كلّ ليلة اهلا ، وتفرق في كلّ ساعة شملا ، فكم من منافس فيها ، و راكن إليها من الامم السابقة قدقذفتهم في الهاوية ودمّرتهم تدميراً ، وابرتهم تتبيراً ، واصلتهم سعيراً أين من جمع فاوعى ، وشدّ فاوكى ، ومنع فاكدى ، واين (١) من اسكر الاساكر وعسكر العساكر ، وركب المنابر ، اين من بنى الدّور ، وشرف القصور وجهر الالوف ، قد تداولتهم ايّاما .

وابتلعتهم اعواما ، وناهيك للانقلاع عن المعاصى التفكّر في اقسام الموت

(١) هذه الجملة لعلها من اغلاط النساخ ، أوالطبع ، وليست جارية على قانون اللغة فان السكر وهى الخمر لا تجمع على وزن الاساكر والمعنى واضح و لعله من مراعات القافية .

للصالحين والطالحين ، هذا وان وفق عبد للتوبة ، فله حينئذ ان يأخذ كتاباً لنفسه ، و يكتب فيه كلما توجه إليه من حقوق الله من عباداته ، و ساير فرايضه من الافعال ، و التروك و كلّما ابتلى به من حقوق النّاس في اموالهم ، واعراضهم و حقوقهم اجمالا ، ثمّ يكتب فصولا لاعضائه من سمعه و بصره ولسانه ومذاقه ومشامه ، ويده ورجله وبطنه ، وجميع جوارحه . وقلبه ثمّ ينظر في أقسام الطاعات من صلوته ، وزكوته و خمسه وصومه و حجّه ، والامر بالمعروف والنّهى عن المنكر ، والعهد واليمين والنذر ، و الكفارات ، وردّ السلام بل التحيّات كلّها ، وتسميت العاطس اذا حمد وصلّى ، وصلة الارحام وبرّ الوالدين ، واداء حقوق الاخوان وهى كثيرة .

في الخبر ماعبد[٢] الله بشيء افضل من اداء حقّ المؤمن ، و منها نفقة الزّوجة ، والمملوك ، وساير حقوقهما ، ونفقة الأقارب مع فقرهم وغنائه ونفقة الحيوانات الّتي حبسها ، و تقدير المعيشة من غير سرف ، ولا بخل و طلب الحلال ، ودفع الضرّر عن النفس والمال ، والختان للرجال ، والترويج مع خوف الوقوع في الحرام بدونه ، والصدق في الأقوال وقيل في الأفعال ايضا ، واداء الامانة الى البرّ و الفاجر ، والوفاء بالعهد والوعد . وصرف نعم الله تعالى فيما خلقت لاجله ، والسجود عند تلاوة العزائم واستماعها ، بل سماعها ايضا هذا كلّها من الفرائض العينيّة وأمّا الكفائية فكالجهاد ، والامر بالمعروف و النّهى عن المنكر ، و الافتاء والقضاء مع اضطرار الناس ، و تخليص المشرف على الهلاك ، واغاثة المستغيث مع القدرة ، واطعام الجائعين على ذوى اليسار مع قصور الصدقات الواجبة ، وتحمل الشهادات مع عدم تعيّنه عليه ، و الا فيكون عيناً ، و كذا تجهيز الموتى وتغسيلهم ، ودفنهم و ساير الولايات ، و

(٢) الكافى باب حق المؤمن على اخيه ، عن مزارم عن أبى عبدالله عليه السلام.

ابقاء ضروريّات البقاء للنّـوع .

ثمّ يتأمّـل في الطّـاعات القلبيّـة ، وهي ايضاً امّـا عينيّـة وامّـا كفائية

ومن الأولى معرفة العقايد الحقة الواجبة ، ولواجمالا ومعرفة الاحكام الشرعيّـة ، ولو تقليداًعندالعمل ، ومعرفته للاخلاق ، وآفات الاعمال والنفس والتوبة والشكر والصبر ، والخوف والرجاء ، والنيّـة والاخلاص وغيرهاممّا يجب على المكلف من الاعمال القلبيّـة .

ومن الثانية معرفة علم الكلام للرّد على المبتدعة ، و معرفة الاحكام الشرعيّـة زايداعلى الواجبة عيناً .

ثمّ يتفكّر في المعاصي ، وهي ايضاً على اصناف : منها ماهوحرام باصل الشّـرع كشرب الخمروالزنا ، وما يحرم بالقصد والنيّـة كالأكل والبيع مثلا للتقوى ، والاعانة على المعصية ، ومنها معاصي الجوارح ، ومنها معاصي القلوب وكلّ منها امّـا كبيرة اوصغيرة ، وفي تعيين الكبيرة اختلاف شديد روايةً و فتوى ، ولعل الصلاح في الابهام أن يجتنب المتّقي عن الاغلب ، وفي الصحيح[1] انّ الكبيرة ما وعد الله عليها النّـار ، وفيه [2] من أجتنب ماوعد عليه النّـار كفرعنه سيّـئاته إذا كان مؤمنا ، و روى [3] أنّـها السبع الموجبات وهي : قتل النّـفس الحرام ، وعقوق الوالدين ، و أكل الربوا ، و التعرّب [4] بعد

---

(١) الكافي ــ باب الكبائر ــ عن الحلبي عن ابي عبدالله عليه السلام في رواية الكبائر التي اوجب الله عزوجل عليها النار .

(٢) في الخبر الثاني في ذلك الباب .

(٣) أيضاً الخبر الثاني من ذلك الباب .

(٤) التعرب بعد الهجرة : هو ان يعود الى البادية ويقيم مع الاعراب بعد ان كان مهاجراً .

الهجرة ، وقذف المحصنة ، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف، وفي الحسن[1] هن في كتاب علي سبع : الكفر بالله ، وقتل النفس ، و عقوق الوالدين ، و اكل الربا بعد البينة ، و أكل مال اليتيم ظلما ، و الفرار من الزحف ، والتعرب بعد الهجرة ، وعينها الرضا في كتابه إلى المامون خمسة وثلاثين و اتمها بالاصرار على الصغاير .

ثم ينظر في اصناف المحرمات وهي كثيرة : معاصي القلب ، و معاصي الجوارح :

الاول كالحسد إذا اظهره ، والحقد ، و اضمار السوء للمؤمن ، والفرح بمصيبة المؤمن ، وقتله ، والفرح بضعف الاسلام ، وقوة الكفر ، و الركون الى الظالمين . وسوء الظن بالمسلمين في غير محله ، وحب اعداء الله ، قيل حب الدنيا ، ومنه حب الجاه والرياسة ، والعجب و الرياء ، و الكبر ، بمعنى تذلل القلب لقبول الحق ، والحرص القوى والسخط على قضاء الله ، و الغفلة عن التكليف ، والنفاق ، وتعلم العلوم المحرمة كالكهانة ، و السحر للعمل ، والبخل و الجبن ، و الامن من مكر الله ، و اليأس من روح الله ، و القنوط من رحمة الله ، والجهل كلها من معاصي القلب ، نعم بعض مراتبها لاتعد كبيرة بل ولامحرمة ، بل داخلة في المكروهات والثاني كالكبائر الّتي ذكرناها آنفا ، والبدعة ومنع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه ، والسعي في خرابها ، و السعي في كل معصية ، وكتمان الحق والرشا ، والوقوف في بلاد الكفر بعد التمكن من الخروج منها ، ومشاقة الرسول . و متابعة غير سبيل المؤمنين ، والاستكبار عن الدعاء ، وكل عبادة و قطع الطريق ، و تحريف الكلم عن

(١) هو الخبر الثامن من ذلك الباب ، و قد مضى شطر من الكلام في الكبائر و الصغائر .

مواضعه ، وتكذيب آيات الله ، و ايذاء رسول الله و المؤمنين و اهانتهم ، بل و ايذاء الحيوانات من غير اذن الشرع ، والاعراض عن آيات الله و ابطالها ، و التخلف عن الجهاد بل بعض اقسام الدّفاع ، والقعود في المساجد جنباً وحايضاً والمرور عن المسجدين ، ولبس الذّهب والحرير للرّجال عدا المشروط في حال الحرب ، والأكل والشرب من اواني الذّهب والفضّة ، بل واتّخاذهما، وعمل الات اللّهو و القمار .

ومنها الالات المذكورة ، وتصوير ذوات الارواح ، والاحوط ترك اتخاذها محترماً والبناء رياء وسمعة اى فضلا على مايكفيه ، واستطالةً على الجيران ، ومباهاةً للاخوان ، والاستخفاف لفقير مسلم ، و عدم اعفاء اللّحية ، و القمار والرهانات إلّا ما إستثنى ، وانشاء مايتضمّن هجاء مؤمن ، والتشبيب بامرئة معيّنة غير محللة ، أو بغلام على الاحوط . و النياحة بالباطل ، و الاستماع اليها ، والغناء بالصوت اللّهوى ، و القيادة و المساحقة ، و مباشرة المرئة مع الاخرى ليس بينهما ثوب ، وتحدثها بما تخلوبه مع زوجها ، و تزيينها لغير زوجها ، وخروجها من بيتها بدون اذن زوجها ، و النظر إلى الاجنبي مع ريبة ، حتّى نظر الرّجل الى الجميل من الولدان ، والمصافحة مع غير المحرم من النّساء ، والتزامهنّ ، ونظر الرّجل إلى عورة أخيه المسلم ، والمرئة إلى عورة المرئة ، و التطلع على دور الغير ، و الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر ، لعن [1] رسول الله الخمر ، و عاصرها و غارسها و شاربها و بايعها

---

(١) وسائل الشيعة :كتاب التجارة لعن رسول الله صلى الله عليه و آله في الخمر عشرة: غارسها ، وحارسها ، وعاصرها ، وشاربها ، وساقيها ، وحاملها ، والمحمولة اليه ، وبايعها ، ومشتريها ، وآكل ثمنها ، وما نقله قده ليس متن الرواية ، ولعله منقول بالمعنى ، مع اختصار.

ومشتريها وآكل ثمنها ، وحاملها ، والمحمولة اليه ، وقال ان الله لعن آكل الربا ، وموكله وكاتبه ، وشاهديه .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام (١)

إياك أن تكون عشارا ، أوشاعرا ، او شرطيا ، أو صاحب عرطبة وهي الطنبور وصاحب كوبة ، وهي الطبل

ومن المعاصي الاخبار بالمغيبات على البت ؛ لغير نبي أو وصي نبي سواء كان بالتنجيم ، أو الكهانة ، أو القيافة ، أو الرمل ، أو غير ذلك ، والشعبذة والسحر ، وفي الحديث إياكم وتعلم النجوم إلا ما يهتدى به في بر أو بحر ، فانها تدعو إلى الكهانة ، ، والمنجم (٢) كالكاهن ، والكاهن كالساحر ، والساحر كالكافر ، والكافر في النار ، وفي آخر من تكهن أو تكهن له ، فقد برء من دين محمد صلى الله عليه وآله .

والسحر (٣) هو كلام ، أو كتابة أو رقية أو اقسام ، أو عزائم ونحوها يحدث بسببها ضرر على الغير ، ومنه عقد الرجل عن زوجته ، و إلقاء البغضاء بينهما ، ومنه استخدام الملائكة والجن ، واستنزال الشياطين في كشف الغايبات وعلاج المصاب ، واستحضارهم ، وتلبسهم ببدن صبي أو امرأة ، و كشف الغائب على ذلك ، فتعلم ذلك واشباهه حرام ، والتكسب به سحت إلا للتوقي ، ودفع المتنبي ، ويجوز حله بالقرآن ، والاقسام ، أو مطلقا ، وفي الخبر (٤) : حل ولا تعقد ، و منها الغضب لغير الله ، والحمية ، والعصبية مع اعمالها ،

---

(١) كما عن نوف البكالي عن علي عليه السلام وقد نقلوه في الكتب الفقهية ايضا

(٢) كما في الوسائل عن نصر بن قابوس وغيره .

(٣) هو عبارة الشهيد في الدروس .

(٤) كما عن الكافي في رواية عيسى بن السقفي عن أبي عبدالله عليه السلام .

والتكبّر ، والتجبّر، والاختيال في المشي، والتفاخر حتّى بالولايم ، والبذاء والفحش، والبغي وتزكية النفس، والخرق والمراء ، والنميمة والاستماع إليها واشاعة الفواحش في المؤمنين ، وتجسّس عيوبهم، والبهتان والسعاية ، والسباب واللّعن، والطعن لغير مستحقّهما ، والمكر والخديعة، والغدر والغش والتدليس إلّا ما استثنى والغصب والنهب وأكل ما حرّمه الشرع بل مطلق التصرّف المحرّم والذهاب بحقوق المسلمين ، والظلم و القساوة والجفاء ، وكلّ ما نهى الله ورسوله عنه ، وترك الآداب والسنن النبويّة بالمرّة، و اعانة الظّالمين والاعانة بالكفر ، والإثم ، هذه اصول الطاعات والمعاصي ، و إذا أراد التوبة فلينظر بالتأمّل في جميعها ، واحداً بعد واحد في ثلاثة امور:

الأوّل في انقسام هذه إلى الأعضاء ، فيكتب لكلّ عضو صحيفة لما يجب عليه ، ولما يحرم ، وفي كلّ صفحة جدولين طويلين ، وفي ذيل كلّ جدول أيضاً جدولين ، ثمّ يتفكّر أوقاته من بلوغه إلى حين التوبة تفصيلا ، هل يجد فيها اخلالاً بالواجبات ، أوابتلاء بالمحرّمات ، ثمّ ينظر هل من المحرّمات ما ارتكب بها ومن الواجبات ما اخلّ به ، يثبت كلّاً منها في صحيفة ثمّ ينظر هل هو من حقوق الله ، أومن حقوق الناس ، ويكتب كلا منهما في جدول ، ثمّ ينظر في حقوق الله هل له قضاء ، أو كفّارة أولا ، يثبته تفصيلا في محلّه ، ثمّ إذا بالغ في تجسّس حالاته ، وأوقاته أيّاماً بهذا المنوال ، فيثبت كلّ ذلك في محلّه ، ثمّ ينظر في حقوق الناس هل له اداء ، وتبرئة أم ليس له إلا الاستغفار ، و هدية الأعمال ثمّ يتجسّس ما جنى في صغره في أموال الناس ، وثبت في ذمّته ضمان مالى لمسلم ، أو ذمّيّ فيثبتها في صحيفة أُخرى ، ثمّ يشتغل باستخلاص ذمّته ، ويغتسل غسل التوبة ، ويذهب إلى موضع خال ، ويعمل أولا بما رواه السيّد في الإقبال عن رسول الله للتائب ، ثمّ يسجد على الأرض ، و لو كان جلوسه

على الرماد كان أولى ، يدعو الله بأسمائه الحسنى ، و يكثر من ذكر أسمائه الجماليّة ، ويختمه بيا أرحم الراحمين سبعاً ، ثمّ يعترف بذنوبه ، و يعدهـا كلّما أمكنه ، ثمّ يحمد الله على امهاله ، وفتح باب التوبة ، ثمّ يصلّي على محمّد وآله ويبالغ فيها ، ثمّ يصلّي على جميع الأنبياء والمرسلين ، والملائكة أجمعين ، و جميع عباد الله الصالحين ، و جميع المؤمنين ، ثمّ يدعو لإمام زمانه حجّة الله صاحب الزمان ، أرواح العالمين فداه بالفرج ، والعافية ، والنصر ، ثمّ يكشف عن رأسه ، ثمّ يحثّ التراث عليه ، ويتمرّغ في التراب ، ويبكي بكاء الثكلى ، ويلحّ في الاستغفار ، ويقول : يا من أجاب لأ بغض خلقه إبليس اجب لي في قبول توبتي ، و وفّقني لاتمامه ، فإنّ الخير كلّه بيدك ، و أنت الفاعل لما تشاء ، وكيف تشاء : ثمّ يقول يا كريم العفو ، يا مبدّل السيّئات بالحسنات ، صلّ على محمّد وآله ، وبدّل سيّئاتي بأضعافها من الحسنات ، ويا قابل السحرة صلّ على محمّد وآله ، واقبلني ثمّ يقول : اللّهمّ إن كنت قبلت مثلي فاقبلني ياقابل السحرة اقبلني اللّهمّ و إن لم تكن قبلت إلى الآن مثلي ، فمن الآن اقبلني وأمثالي ، فليكن هذه أوّل ما ظهرت من وسعة رحمتك الّتي لم تظهر إلى الآن في الوجود ، فإنّ رحمتك وسعت كلّ شيء وانا شيء فامتعني رحمتك يا أرحم الراحمين ، ثمّ يكرّر هذا التفصيل ثلاثاً ، ويختم كلّ واحد منها بالصلوة ، وقول ما شاء الله لا قوّة إلّا بالله ، ثمّ يعزم على تركها فيما يأتي مستعيناً من الله ، ومتوكّلا عليه ، ويشرع في استكمالها على ما ذكرنا مبتدء بالأهمّ والأهمّ ، وليحسن ظنّه بقبول الله تعالى ، وان يرى توبته ناقصة يراقب في الوفاء بتوبته ، وان اتّفق إحياناً نقضها في بعض الامور ، فليعد إلى التوبة ، ويقرء على نفسه اخبار الرجاء ، ولا ييأس من روح الله و قبوله ، فما لم يسأم العبد من التوبة لا يمنع الله من المغفرة ، فإنّه هو التوّاب الرحيم ،

ويبالغ في الالحاح والمسئلة بالمغفرة ، على قدر عظمة الجنايات
وليتذكّر توبة أبيه آدم ، وما روي انّه بكى مأتي سنة .
وليتذكّر ما روى من توبة داود عليه السلام ، حيث روى انّه سجد أربعين يوماً ، لم يرفع رأسه من السجدة حتّى خرقت ركبته ، وجبهته و نبت حوله من دموع عينيه نبات ، واحرقه بنار نفسه ، حيث تأوّه من شدّة حزنه ، وكان بعد قبول توبته ينوح على نفسه ، ويبكي على خطيئته في البراري ، و روى انّه إذا أراد النياحة ، امر سليمان أن ينادى في الناس ، الامن أراد ان يسمع نوح داود عليه السلام على نفسه ، فليأت فيجتمع حوله من الناس ، والوحوش خلق كثير ، فيأخذ في ثناء الله تعالى ثمّ ذكر الجنّة والنار ، ثمّ في أهوال يوم القيمة ، وفي النياحة على نفسه ، فيموت من الهوام والوحوش ، ومن الناس جمع كثير ، فيقول سليمان عليه السلام : يا أبتاه قد مزقت المستمعين كلّ ممزق ، فيأخذ في الدعاء ، فبينا هو كذلك إذ نادى بعض العباد يا داود عجلت في طلب الجزاء على ربّك ، فيخرّ داود عليه السلام مغشيّاً عليه ، فيأخذ سليمان عليه السلام سريراً ، ويحمله عليه إلى داره ، وينادي المنادي في الناس : الا من كان له مع داود حميم أوقريب فليأت بسرير ، ويحمل جنازته ، فانّ الّذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنّة والنار ، فكانت المرئة تأتي فتحمل قريبه ، و يقول : يا من قتله ذكر النار ، يامن قتله خوف النار ، وهكذا يكون حال من كان عارفاً بعظمة ربّه ، مع انّ خطاياهم عليهم السلام ماكانت من ذنب كذنوبنا ، فانّهم معصومون عن ارتكاب الذنوب ، و خطاياهم ، انّما كان ترك الاولى ، وليتأسّ بالشابّ النبّاش ، ويذكر قصّته على[1] ما رواه في الصافي عن المجالس عن عبدالرحمن بن غنم الدوسي قال دخل معاذ على رسول الله صلى الله عليه وآله باكياً ، فسلّم فردّه ، ثمّ قال :

(١) سورة آل عمران الاية ١٣٥ نقلها قدس سره باختلاف يسير .

ما يبكيك يا معاذ ؟ فقال : يا رسول الله انّ بالباب شاباً طريّ الخد ، نقيّ اللّون حسن الصورة يبكي على شبابه ، بكاء الثكلى على ولدها ، يريد الدخول فقال النبيّ ﷺ : ادخل عليّ الشابّ يامعاذ ، فادخله عليه فسلّم فردّ ، ثمّ قال : ما يبكيك يا شابّ ؟ قال : كيف لا أبكي ، وقد ركبت ذنوباً إن أخذني الله ببعضها ادخلني نار جهنّم ، ولا أراني إلّا سيأخذني بها ، ولا يغفر لي ابدا فقال رسول الله ﷺ : هل اشركت بالله شيئاً ؟ قال : أعوذ بالله ان اشرك بربّي شيئاً ، قال : أفتلت النفس الّتي حرّم الله ؟

قال : لا ، فقال النبيّ ﷺ : يغفر الله لك ذنوبك ، و إن كانت مثل الأرضين السبع وبحارها ، ورمالها وأشجارها ، وما فيها من الخلق ، قال : فانّها أعظم من الأرضين السبع ، و بحارها ورمالها و أشجارها وما فيها من الخلق ، فقال النبيّ ﷺ : يغفر الله لك و إن كانت ذنوبك مثل السموات ، و نجومها ، و مثل العرش والكرسي ، قال : فانّها أعظم من ذلك ، قال : فنظر النبيّ كهيئة الغضبان ، ثمّ قال : ويحك يا شابّ ذنوبك اعظم أم ربّك فخرّ الشابّ بوجهه وهو يقول : سبحان ربّي ما من شيء أعظم من ربّي ، ربّي أعظم يا نبيّ الله من كلّ عظيم ، فقال النبيّ ﷺ : فهل يغفر الذنب العظيم إلّا الربّ العظيم قال الشابّ : لا والله يا رسول الله ، ثمّ سكت الشابّ فقال النبيّ ﷺ : ويحك يا شابّ الاتخبرني بذنب واحد من ذنوبك ، قال : بلى اخبرك انّي كنت انبش القبور سبع سنين ، اخرج الأموات وانزع الأكفان ، فماتت جارية من بعض بنات الأنصار ، فلمّا حملت إلى قبرها ودفنت وانصرفت عنها أهلها ، و جنّ عليها اللّيل ، أتيت قبرها ونبشتها ثمّ استخرجتها ، ونزعت ماكان عليها من أكفانها ، وتركتها مجرّدة ، على شفير القبر ، فمضيت منصرفاً فأتاني الشيطان فأقبل يزيّنها لي ، ويقول : أما ترى بطنها و بياضها ، أما ترى وركها ، فلم

يزل يقول لي هذا حتّى رجعت إليها ، ولم أملك نفسي حتّى جامعتها ، وتركتها مكانها فإذا أنا بصوت من ورائي يقول : يا شاب ويل لك من ديّان يوم الدين ، ويوم يقضي لي و لك كما تركتني عريانة في عسا كر الموتى ، و نزعتني من حفرتي ، وسلبتني اكفاني ، وتركتني أقوم جنباً إلى حسابي ، فويل لشبابك من النار ، فما أظنّ إنّي أشمّ رائحة الجنّة أبداً ، فما ترى لي يا رسول الله فقال النبيّ ﷺ : تنح عنّي يا فاسق ، إنّي أخاف أن احترق بنارك ، فما اقربك من النار ، ثمّ لم يزل يقول ويشير إليه حتّى مضى من بين يديه ، فذهب فأتى المدينة فتزوّد منها ، ثمّ أتى بعض جبالها ، فتعبّد فيها ، ولبس مسحا ، وغلّ يديه جميعاً إلى عنقه ، ونادى يارب هذا عبدك بهلول بين يديك مغلول يا ربّ أنت الّذي خلقتني ، وزل منّي ما تعلم سيّدي ، يا ربّ أصبحت من النادمين ، وأتيت نبيّك تائبا ، فطردني ، و زادني خوفاً ، فأسئلك باسمك و جلالك ، وعظم سلطانك ان لا تخيب رجائي ، سيّدي ولا تبطل دعائي ، ولا تقنطني من رحمتك ، فلم يزل يقول ذلك أربعين يوماً وليلة ، و رفع يديه إلى السماء وقال : « اللّهمّ ما فعلت في حاجتي ان كنت استجبت وغفرت خطيئتي فاوح إلى نبيّك ، فإن لم يستجب دعائي ، ولم تغفر لي خطيئتي ، و أردت عقوبتي ، فعجّل بنار تحرقني ، أو عقوبة في الدنيا تهلكني ، وخلّصني من فضيحة يوم القيامة ، فأنزل الله على نبيّه « والّذين إذا فعلوا فاحشة و ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلّا الله ، ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون ، اولئك جزاؤهم مغفرة من ربّهم ، وجنّات تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها ونعم اجز العاملين » أتاك عبدي يا محمّد تائباً ، فطردته فأين يذهب ، وإلى من يقصد ، ومن يسئل أن يغفر له ذنبه ، ولمّا نزل

الآية كان يتلوها النبيّ ﷺ ، وتبسّم فقال لأصحابه : من يدلّنا على ذلك الشاب قال معاذ : يارسول الله بلغنا انّه في موضع كذا وكذا ، فمضى رسول الله صلّى الله عليه وآله بأصحابه ، حتّى انتهوا إلى ذلك الجبل فصعدوا إليه يطلبونه ، فإذا هم بالشابّ قائمٌ بين الصخرتين ، مغلولة يداه إلى عنقه ، قد اسودّ وجهه ، وتساقطت اشفاره من البكاء ، ويقول سيّدي قد احسنت خلقي ، وأحسنت صورتي ، فليت شعري ماذا تريد بي في النّار ، تحرقني أو في جوارك تسكنني ، اللّهمّ انّك قد أكثرت الإحسان إليّ ، فأنعمت عليّ فليت شعري فماذا يكون آخر أمري إلى الجنّة تزفّني أم إلى النار تسوقني ، اللّهمّ انّ خطيئتي أعظم من السموات والأرض ، ومن كرسيّك الواسع وعرشك العظيم فليت شعري تغفر خطيئتي ، أم تفضحني بها يوم القيامة ، فلم يزل يقول نحو هذا ، وهو يحثّ التراب على رأسه ، وقد أحاطت به السّباع ، وصفّت فوقه الطير ، وهم يبكون لبكائه ، فدنى رسول الله فأطلق يديه من عنقه ، ونفض التراب عن رأسه ، وقال : ابشر ، فانّك عتيق الله من النار ، ثمّ قال : لاصحابه هكذا تداركوا الذنوب ، كما تداركها بهلول ، ثمّ تلا عليه ما أنزل الله عزّ وجلّ فيه ، وبشّره بالجنّة .

خاتمة اعلم انّ الّذي يفهم من اخبارنا ، انّ الكون[1] على الطهاره مستحبّ في جميع الأوقات ، لا سيّما لطالبي العلم فإذا كان الأمر على ذلك فلا وجه للاحتياط في الوضوء لتحصيل الطهارة قبل الوقت ، وإن كان غرضه من هذا التحصيل ان يصلّي بهذه الطهارة صلوته في الوقت ، لأنّ الدّاعي

(١) كما في الوسائل في حديث أنس « وان استطعت ان تكون بالليل والنهار على طهارة فافعل »

وكما في الحديث الاتي المروى عن ارشاد الديلمي ، و رايته مروياً في كتب العامة أيضاً : « من احدث ولم يتوضأ فقد جفاني الحديث » نقله ملخصاً قدس روحه

الأوّل أمر راجح مطلوب شرعاً ، وإن كان الداعي لهذا الداعي أمراً غير قربى وظنّي انّ هذه الاحتياط على اطلاقه ليس براجح ، حيث انّه كثيراً ما يؤدّي في الأسفار إلى الصلوة بالتيمّم ، و إلى ترك الكون على الطهارة ، وورد في الاخبار حثّ أكيد على الكون على الطهارة ، مثل ما ورد : انّ من احدث ولم يتوضّأ جفاني ، ومن توضّأ ولم يصلّ ركعتين فقد جفاني ، ومن صلّى هاتين الركعتين ، ولم يدع عقبيها فقد جفاني ، و من يتوضّأ و صلّى و دعى عقبيها ، ولم استجب له دعائه فقد جفوته ، و لست برب جاف ، ثمّ انّه كان بعض مشايخي[1] قدّس اللّه سرّه ، وجزاه عنّي خير جزاء المعلّمين المربّين ، كان يوصيني بالعمل بمضمون هذه الرواية ، ويقول اسجدوا بعد هاتين الركعتين وادعوا اللّه في السجدة ان يرزقكم معرفته ومحبّته .

فصل يجب الوضوء[2] للصّلوة الواجبة ، والمندوبة ، والطواف الواجب ، و لمس كتابة القرآن ، و الأحوط تركه لمسّ جلده وورقه ، و أسماء اللّه ، و أسماء المعصومين ، ولكتابة القرآن ، و يستحبّ للكون على الطهارة ، وللطواف المندوب ، أو شيء ممالايشرط فيه الطهور من مناسك الحج ولدخول المسجد ، و للتأهّب للصلوة الفريضة قبل دخول الوقت ، و قرائة القرآن ، ولطلب الحاجة ، وللنوم ، وجماع المرئة الحامل ، وللدخول على الأهل من السفر ، ولصلوة الجنازة ، ولادخال الميّت على قبره ، وللمتطهّر إذا مضى

---

(١) وهو آية اللّه في العرفان ، والزهد والتقوى ، الآخوند المولى حسينقلي الهمداني رضوان اللّه عليه قدمنا ترجمته فراجع .

(٢) كل ذلك مذكور في كتب الفقه والروايات ، فراجع اليها ، و قد اوجب العامة الوضوء في مثل الرعاف والقيء والتقبيل ومس الفرج والذكر ، و التخليل المخرج للدم بل لكل خروج الدم وغير ذلك ، ولا حاجة لإطالة الكلام ونقل الاخبار في ذلك .

من طهارته مدّة يصحّ بها اطلاق التحديد به ، وللمحدث بالرعاف والقيء ، والتقبيل بشهوة ، ومسّ الفرج ، وبما خرج من الذكر بعد الاستبراء ، وإذا توضّا قبل الاستنجا والتخليل[1] المخرج للدم مع كراهية الطبع ايّاه ، والمذي وانشاء الشعر الباطل زيادة على أربعة ابيات ، والكذب والغيبة والظلم والاكل الجنب ، ونومه وجماعه ، و تغسيله الميّت ، ولغاسل الميّت إذا أراد الجماع قبل الغسل ، وللحايض إذا أرادت الذكر وقت صلوتها .

فصل في الغسل حكمته وجوباً وندباً حكمة الوضوء ، وعبره مثل عبره و يزاد في عبره ان يعتبر الإنسان من وجوب غسل تمام البدن فيه ، انّ التطهير بقدر الكثافة ، فإذا يعرف تكليفه في تطهير قلبه ، وروحه ، و سرّه عن كلّ ما يدنسها ، بالجملة يستحبّ فيها التسمية ، والدعاء بالمأثور في اثنائه بقوله : اللّهمّ طهّر قلبي ، واشرح لي صدري ، واجر على لساني مدحتك ، والثناء عليك اللهمّ اجعله لى طهوراً وشفاء ، ونوراً انّك على كلّ شيء قدير وبعد الفراغ بقوله : اللّهمّ[2] طهّر قلبي وزكّ عملي ، وتقبّل سعيى ، واجعل ما عندك خيراً لى ، اللّهمّ اجعلني من التوّابين ، واجعلني من المتطهّرين وروي غير ذلك ، و هذه الاذكار كما ترى شاهدة على أنّ الغرض الأصلي ، والمقصود الأهم ، طهارة القلب ، و شرح الصدر وهو على ما روي عن النبيّ نور يقذف في القلب ، فينشرح منه الصدر ، وعلامته التجافي عن دارالغرور ، والانابة إلى دارالخلود ، والمراد منه على ما يراه بعض أهل التحقيق نور معرفة النفس ، وهوان يرى حقيقة نفسه ، بلاصورة ولامادة نوراً ذات حياة وعلم ، وهو النور الّذي اشير إليه في آخر مناجاة شهرشعبان : والحقني بنور عزّك الأبهج

---

(١) اى تخليل الاسنان مع خروج الدم و كراهته خروجه .

(٢) كما في رواية على بن الحكم رواه في الوسائل .

فأكون لك عارفاً كما ذكره بعض المشايخ ، و بالجملة إذا اعطى العبد نور معرفة النفس الّذي به يمكن الوصول إلى معرفة الربّ ، يرى بهذا النّور ملكوت هذه العوالم المحسوسة للناس ، فيكون انساناً ملكوتيّاً ، و يدخل في دار الخلود لغلبة روحانيّته ، وهذا هو المراد من الانابة إلى دار الخلود ، و كيف كان و كما ان طهارة الجوارح يرفع الموانع من دخول المسجد والصّلوة ، كذلك طهارة السرّ عن مقتضيات هذا العالم المحسوس ، عالم الطبيعة المظلمة يرفع الموانع عن الانابة إلى دار الخلود ، أى إلى دار السلام ، ودار الحيوان ، وجوار الله ، و بدخول هذه الدار يقرب العبد من الله ، و يحصل له المعرفة الكشفيّة ، فيكون ماعند الله خيراً ممّاعنده ، وعند الناس، ويرى هذا العالم عالم الغرور .

و يستحبّ الغسل في مواضع يذكر في الفقه لا يهمّنا ذكرها ، إلّا ما ذكر بعضهم من انّه يستحبّ لكلّ مشهد ، ومكان شريف ، ولكلّ يوم وليلة شريفة ، وعند كلّ فعل يتقرّب به إلى الله ، ويلجأ فيه إليه ، ولا بأس بذلك برجاء المحبوبيّة ، كما يستشعر ذلك من تضاعيف الاخبار ، و من خصوص بعضها .

مثل ما رواه في العلل عن الرضا عليه السّلام في علّة غسل الجمعة و العيدين ، وغير ذلك من الأغسال لما فيه ، من تعظيم العبد ربّه واستقباله الكريم الجليل ، وطلب المغفرة لذنوبه ، إلى أن قال : وجعل في ذلك الغسل تعظيماً لذلك اليوم على ساير الأيّام ، و زيادة في النوافل والعبادة ، و هذه الرواية تشعر بل تشهد على ما ذكر ، وهذا البعض الاسكافي[1] ، و كيف كان

---

(١) هو محمد بن أحمد بن الجنيد ، من اكابر علماء الشيعة الامامية ، متكلم ، فقيه ، محدث ، اديب ، واسع العلم صنف في الفقه والكلام ، والاصول ، والادب ←

لا بأس بالاتيان به في هذه المقامات برجاء المحبوبيّة ، هذا و يعلم بعض ما يلزم فيه من المراقبات ممّا أشرنا إليه ، ونزيد في ذلك لبيان عبرة لترتيبه يأتي في الوضوء أيضاً ، و هو انّ الإنسان إذا التفت لعدم اهمال الشارع لترتيب غسل الأعضاء في الوضوء والغسل ، علم من ذلك عزّة الحكمة الإلهيّة . وانّ لها في كلّ شيء مجرى ، وحكما في اهمّية امر المراقبة في جزئيّات حركاته و سكناته ، و إذا اهتمّ بذلك و عمل بما علمه من وجوه الحكمة في الافعال ، يورثه الله علم ما لا يعلم من الحكمة ، ومن يؤتى الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً ، وإذا تعمّق في ذلك ، ورأى انّ تقديم الرجل مثلا على الرأس خلاف الحكمة ، فيرضى بما يفعله الحكيم تعالى في جميع ما يحكم به ، ويرى انّ سخطه على ما لا يوافق هواه من احكام الحكيم تعالى من نقصانه ، واعوجاجه وإلّا فلا اشكال في حسن الحكمة وكمالها .

فصل في الحمّام ، عن [٢] أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : نعم البيت الحمّام يذكر النار ، ويذهب بالدرن ، و في الرواية مع وجازتها اشارات لطيفة إلى مطالب جليلة ، ومهمّات عظيمة .

منها انّه قدم ذكر النار على ذهاب الدرن، وفيه تأديب للمؤمنين في تقديم ذكر الآخرة على الدنيا، ولو في الأمور الدنيويّة، وكان هذا دابه عليه السلام في جميع اموره وأحواله بل وكان امره اعلى من ذلك ، وهو ان كل امرين وردا عليه وتساوى فيهما جهة رضا الرب تعالى من جميع الجهات، كان ينظر في أنّ ايّهما اشدّ على النفس ، و

وغيرها تبلغ مصنفاته خمسين كتابا ، والاسكافي منسوب الى الاسكاف من نواحي النهروان بين بغداد وواسط ، قيل مات بالري سنة ٣٨٠

ويطلق الاسكافي ايضاً على الشيخ ابي علي محمد بن أبي بكر ، همام بن سهيل ابن بيزان المعاصر للشيخ الكليني توفي سنة ٣٣٢ ، وعلى ابي جعفر محمد بن عبدالله المعتزلي المتوفى سنة ٢٤٠ .

(٢) كذا في رواية محمد بن أسلم ، ورواه في الوسائل .

على صاحبه ، و يمكن ان يكون تقديم ذكر الله في جميع الأشياء احد معاني قوله عليه السلام انّه ما نظرت إلى شيء إلّا ورأيت الله قبله ، وبعده ومعه ، هذا و إن كان له معنى آخر على ما قدم ، وهو الأصل ، ولكنّه لا ينافيه كون ذلك أيضاً في مرتبة من معانيه . هذا وكان لنا شيخ[1] له أصحاب من أهل التقوى و كان من جملتهم سيّد[2] من سادة بلدة همدان ، و كان شابّاً حسن السيرة بالفطرة ، مراقباً مجاهداً مستقيماً يشتغل لتحصيل الفقه ، و تزكية النفس في خدمة الشيخ فاتفق يوم ان شكى من أهل بلده من بعض اخوان هذا السيّد إلى الشيخ ، بانّه قصر في أمر من الامور المتعلّقة بالتجارة ، وامر الشيخ السيد ان يكتب في ذلك كتاباً لأخيه ، فكتبه وجاء به إلى الشيخ لينظر كيف كتبه وإذا فتح الشيخ كتابه ، وإذاً في الكتاب ملامة لأخيه من سوء معاملته ، وانّ امثال ذلك يضره في اعتباره عند الناس في كسبه ، وإنّه يضرّه في آخرته ، ولمّا رأى الشيخ كتابه ، وانّه قدم الضرر الدنيوي على الضرر الاخروى ، قال : هذا الكتاب يشبه كتاب الغافلين ، فإنّ المراقب لا يقدم ذكر الدّنيا على الآخرة .

و منها انّ الحمّام يذكر النار للمراقبين ، فمن لم يتذكّر النار في الحمّام ، فهو من الغافلين ، و وجه ذلك انّ المؤمن من جهة ايمانه باليوم الاخر لابدّ له ان يكون دائماً خائفاً من النار ، حتّى يجوز على الصراط ويأمن منها ، والخائف من شيء هائل منتظر ، انّما يتذكّر برؤية كلّ ما

---

(١) وهو الشيخ الجليل الاخوند ملاحسينقلي الهمداني قدس روحه ، قدمنا ترجمته فراجع .

(٢) ولعله السيد على الهمداني على ما ذكروه انه من تلاميذ الشيخ قده فراجع اعلام الشيعة للشيخ آقا بزرك الطهراني دام بقائه ، وذكرنا في ترجمته ايضا

يشبه ما يخافه ، والحمّام انّما يشبه في بعض الوجوه بجهنّم ، لأنّ النار من تحت، والظلمة من فوق ، وهو ماء حارّ .

ومنها الاشارة إلى أنّ المؤمن انّما يلزمه ان يكون متذكّراً في كلّ ما يراه ، ما يناسبه من امر آخرته ، فانّ الحمّام لا خصوصيّة له من هذه الجهة ، فالحكم عامّ فينبغي للمؤمن العاقل أن يكون له فيما يراه من جزئي أو كلّي عبرة ، و موعظة فاذا نظر الى النار ، يتذكّر منها نار جهنّم وإلى الظلمة ذكر ظلمة القبر ، وان استوحش من شيء ذكر وحشة القبر ، وإن رأى شيئاً بالياً ذكر منه بلائه . وهكذا .

ومنها انّ النظافة حتّى نظافة البدن امر مرغوب ، ثمّ انّه[1] يستحب ان يقول الانسان إذا دخل في البيت الثالث ، نعوذ بالله من النار ، و نسئله الجنّة إلى أن يخرج منها .

فصل في التنوير ، ورد في الحثّ عليه اخبار كثيرة ، وفي الزجر[2] عن تركه وتأخيره عن شهر أمر عظيم ، وللمراقب في امره عبرة شريفة ، وهي انّ هذه الشريعة لم يهمل الانسان من العمل بالحكمة في أمر اشعار معدودة على أسافل اعضائه ، وزجر عن عدم ازالتها بالتأكيد كيف يجوز ان يهمل هذا الحكيم الانسان في اصلاح صفات قلبه ، الّتي بها تميزه عن ساير الحيوان وينله إلى الدرجات العلى مع العليّين ، وتشبهه بالملائكة العالمين ، و أيضاً يجب على المؤمن باحكام هذه الشريعة ، إذا رأى ما روى في رواية التنوير انّ من تركها شهراً لم تقبل صلوته ، ان يعتبر من ذلك في الجدّ للعمل

(١) كما في رواية محمد بن حمران رواه في الوسائل .

(٢) كما في الوسائل « باب استحباب النورة و ان قرب العهد به » « و باب لااطلاء في كل خمسة عشر يوماً » .

بجزئيات احكام الشرع ، ولا يستحقر شيئاً من جزئياتها ، و يستحب لمن تنوّر ان يدعو بهذا [1] الدعاء : اللّهمّ طيّب ما طهر منّي ، وطهّر ما طاب منّي ، وابدلني شعراً طاهراً لا يعصيك ، اللّهمّ إنّي تطهّرت ابتغاء سنّة المرسلين ، وابتغاء رضوانك ومعرفتك ، فحرّم شعري وبشري على النار ، و طهّر خلقي ، و طيّب خلقي و زكّ عملي و اجعلني ممّن يلقاك على الحنفيّة السمحة ، ملّة إبراهيم ، ودين محمّد حبيبك ، ورسولك عاملاً بشرايعك ، تابعا لسنّة نبيّك ﷺ ، آخذاً به متأدباً بحسن تأديبك ، وتأديب رسولك ﷺ وتأديب أوليائك الّذين ادّبتهم [2] بأدبك ، واوعت الحكمة في صدورهم ، وجعلتهم معادن لعلمك ، صلواتك عليهم » فمن قرئه طهره الله من الادناس الدنيويّة ، والصفات الرذيلة من الذنوب ، وبدله من كلّ شعر أزال من بدنه شعراً لا يعصى فيه ، ويخلق بعدد كلّ شعرة في بدنه ملكاً يسبّح الله إلى يوم القيامة ، يسوّى كلّ واحد من تسبيحهم الف تسبيح من تسبيحات أهل الارض ويلحق بالنورة ازالة شعر الإبط ، وفيه أيضاً تأكيد شديد ، و يستحبّ ازالة ساير شعور بدنه غير المنشأة منها ، و يستحبّ لمن تنوّر أن يتحنّأ [3] موضع التنوير كلّه ، بل ساير جسده من الفرق إلى القدم ، كما يجب على من تخلّى من الرذائل ، ان يتحلّى بالفضائل :

فصل في تقليم الأظفار ، والعبرة في ذلك ان يعلم المراقب انّ ايذاء الغير ، والظلم والتشبّه بالسباع ممقوط عند الله ، بحيث لم يرض بما هو من

(١) كما في الوسائل عن سدير انه سمع على بن الحسين عليهما السلام يقول : من قال اذا طلى بالنورة : اللهم طيب الدعاء .

(٢) في نسخة الوسائل : غذوتهم بأدبك .

(٣) اى طلى الحناء والخضاب به ، كما في الوسائل عن محمد بن يعقوب ره .

آلتها في بدن الانسان ، فأمر بتقليم الأظفار ، ويكشف عن ذلك قوله تعالى في مواعظ [١] عيسى ﷺ : « قل لظلمة بني إسرائيل قلّموا أظفاركم من كسب الحرام ، واصمّوا اسماعكم من ذكر الخناء [٢] واقبلوا بقلوبكم ، فانّي لست أريد صوركم » فعلم من ذلك انّ المراد الأصلي من هذه الاحكام الصوريّة ، هو اصلاح القلوب بصفة العدل ، ليصلح لخلافة العدل الحكيم تعالى ، و يعلم من ذلك عناية الله في حقّ هذه الأمّة المرحومة ببيان هذه الجزئيّات ، و يعلم هذه المراتب من حكمة الظاهر والباطن ، و منّته عليه حيث جاء من الله بهذه الشريعة الكاملة الّتي لم يترك فيها شيء لأيسر ممّا يقرب [٣] من الله تعالى ، وما يبعد عنه حتّى ارش الخدش ، ويتفطّن من ذلك أنّ شريعته هو الصراط المستقيم ، الّذي هو أقرب الطرق إلى الله على التحقيق لا المجاز .

فصل في أخذ الشارب و اعفاء اللحى للعبد المراقب ان يتفطّن من هذا الحكم عناية الله في حقّ عباده ، بعدم رضاه ان يكون على صورة اعدائه فانّ ذلك غاية للاعتناء بالعبد من المولى ، و أن يتفطّن بخطر مخالفة هذا السيّد البرّ الودود ، و كيف يبدّل مقام التكريم ، والتشريف والودّ والعطف على الذلّ والهوان ، والبغض والعدوان ، حتّى يكون التشبّه به في الصورة أيضاً حراماً ، وبالجملة ورد في الحديث القدسي [٤] إنّ الله أوحى إلى بعض أنبيائه قل للمؤمنين لا تلبسوا ملابس اعدائي ، ولا تطعموا مطاعم اعدائي ، ولا

---

(١) كما في البحار ج ٥ في مواعظ عيسى عليه السلام نقلا عن الكافي والامالي .

(٢) الخناء : الفحش .

(٣) كما في خطبة حجة الوداع للنبي ص .

(٤) كما في الوسائل من الكافي باسناده عن اسماعيل بن مسلم في باب كراهة لبس السود.

تسلكوا مسالك أعدائي ، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي .

أقول : فانظر يا مسكين ، ان سيدك انما خصك واصطفاك لنفسه ، وميزك عن أعدائه ، حتى في الصورة والهيئة ، بدناً ولباساً ، ومسكناً وتزهك عن التشبيه بهم ، حتى في الصورة والهيئة ، فان خالفته في هذا الحكم ، و متنعت عن قبول هذه العناية ، وتلبست بعد ذلك بلباس اعدائه ، واخترت التشبه ما ذا يحكم عقلك بهذه المخالفة من الجسارة والقبح ، هل هذه إلا اظهار العناد برب البلاد والعباد ، وتفكر في هذه الجاهرة بالشقاق والعناد ، بالنسبة إلى ملوك الدنيا وساداتها ، مثلا اذاكان للسلطان لباس خاص بجنوده ورعيته . و لعدوه أيضاً لباس مخصوص ، و أعطى السلطان خلعته لواحد منهم، وقال اجعله لباساً لك على هيئة ألبسة جنودى ، ورعيتي ، و حذر أن يجعله على هيئة لباس اعدائه ، وخالف هذا و ذلك ، و جعل خلعة السلطان على هيئة لباس اعدائه ، ولبسه في حضوره ماذا يقول العقلاء لهذه المخالفة ، أيعده معصية ، أم يقول انه معاندة ، واظهار شقاق و طغيان ؟ ! فاحذر من مثله في امر ملك الملوك تعالى .

فصل في العطر ، روى في الكافي عن علي بن إبراهيم ، رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام في حديث قال : صلوة متطيب افضل من سبعين صلوة بغير طيب ، وروى الصدوق باسناده عنه عليه السلام ، قال : لمفضل : ركعتان يصليهما متعطر افضل من سبعين ركعة يصليهما غير متعطر ، و رواه في الخصال أيضاً .

أقول لا يذهب عليك ان مثل هذه الرواية ، و الفضل للطيب انما هو من جهة شرف العقل ، لأن العطر يقوى الدماغ ، ويحفظه من الفساد وفساده يفسد العقل ، والعقل أشرف اركان حقيقة الانسان ، و اشرف مراتبه

ومقاماته ، بل هو أشرف اجزاء العالمين كلّها ، وجميع الخيرات منسوبة إليه ، كما انّ جميع الشرور منشأه الجهل ، ولذا ورد الحثّ الأكيد ، و الترغيب لكلّما له دخل في تقويته،ودفع الموذيات عنه ، وأيضاً العطر مثال المتحلى الّذي هو شطر مقابل للمتخلى، الّذي يعبّرعنه في الاخبار بنصف الايمان ، فيكون هذا أيضاً مثلا بنصف الايمان ، فليتفطّن العاقل من امثال هذه الأحكام ، على درجة لطف الله جلّت آلائه ، و استحكام شريعة حضرت سيّد المرسلين ، انّهم لم يهملوا امثال هذه الجزئيّات من أسباب تقوية العقل الكاسب للايمان والتوحيد ، و الكمال ، والسعادة فيستحيى بعدهذا التفطّن ، عن اهمال احكام هذا العقل ، وتضييع هذه الألطاف الثمينة،و كفران هذه النعم الجميلة الجليلة ، فليخاطب نفسه العوّاد للكفران ، والتعرض للخذلان،ويقول : يا جاهل يا عدوّ نفسه إلى م هذا التواني والكسل ؟ والاهمال والتضييع ، والتعرّض للهلاك ؟ أما ترى انّ الربّ الودود لك في مقام هذا اللّطف اللّطيف ، والذكر الشريف ، بأن جعل لك شريعة ، وأحكاماً ، و تعرّض فيها لهذه الجزئيّات من جزائك ، و أرسل نبيّاً وأنزل كتاباً ، وجعل لذلك ملائكة ، و حفظة و أعواناً ، و جعل بتحصيل هذه الخيرات مثوبات جزيلة ، وأنت تضيعها كلّها بالاهمال ،

فصل في التيمّم قال الله تعالى [1] : « و إن لم تجدوا ماءً فتيمّموا صعيداً طيّباً » ،

أقول : ينبغي للعاقل ان يمعن النظر في أمثال هذه الأحكام الّتي لا سبيل للعقول العامّة إليها ، فانّ عقول العامّة ترى الوضوء والغسل مناسبة بل لازمة للصلوة حيث يرى فيها التنظيف ، و التطهير ، ولا ترى للتيمّم ذلك ، بل ترى خلافه ، ولكن إذا أمعن النظر في قوله تعالى بعد آية التيمّم

---

(١) النساء ـ الاية ٤٣.

«ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهّركم » انّ التراب أيضاً طهور ، كما قال رسول الله ﷺ : جعلت لي الأرض مسجداً ، و ترابها طهوراً ، ووجه كونه طهوراً لايدرك إلّا برؤية القذارات المعنويّة ، ورَوح هذه القذارات الظاهريّة ، ونور التواضع بمسّ التراب ، و مسحها على الأعضاء الشريفة . فانّ المقصد الأصلي من الوضوء أيضاً تطهير الأرجاس المعنويّة بمسّ الماء ، الّذي هو مظهر أصل الحيوة ، والعلم الّذي به الاستخلاص من جميع الأوزار ، والأرجاس ومسّه يؤثر في تطهير الظاهر والباطن ، و إذا فقد اوضرّ فبدله ما يحصل منه تطهير الباطن ، وهو مسّ التراب الّذي هو إشارة إلى الرجوع إلى حقيقته الّتي هي عدم محض ، وتواضع في الظاهر الّذي هو فناء عن الانيّة ، فيحصل به ما يحصل بالماء والعلم من طهارة الباطن ، دون الظاهر ، ولأنّ مقصود الأهم امر الباطن ، فعند عدم الامكان اكتفى بطهارته الّتي هي العمدة ، دفعاً للحرج ، ويمكن أن يقال انّ هذا عادة الله في جميع مراتب تذكية النفس ، وتهذيب الأخلاق ، فإنّ اخر المجاهدة ان يتواضع العبد من حوله وقوّته ، ويرى الحول والقوّة كلّه لله ، ولكنّ الخطب كلّه في صدق هذا الحال ، و عدم الغرور فيه ، و شاهده ان يكون هذا حاله بالنظر إلى الامور الدنيويّة ، والأسباب الظاهريّة أيضاً ، ولا يتمسّك في جلب منافعه ، ودفع مضارّه بالأسباب إلّا من جهة أمر الله ، لا لاعتقاد انّه ينفعه أو يضرّه .

فصل في اللّباس ويقع الكلام فيه في امور :

الاوّل في معرفة انّه تعالى انّما كرّم بني آدم به ، دون ساير أنواع الحيوانات ، وله شكر النعمة ، ولا اقل من أن لا يخالف العبد في كرامة الله من اللباس مراده ، فان المخالفة بنفس الكرامة اقبح لامحالة عند العقل ،

والمخالفة في اللّباس يكون من وجوه :

الأوّل بأن تخالفه في ذاته بأن تجعله من المغصوب ، أو جنسه بأن يلبس الحرير أوالذهب مثلا .

والثاني أن تخالفه في مقداره بالتبذير .

والثالث ان تخالفه في هيئته بالاطالة المنهيّة ، و نحوها أو بالتشبّه بالنسوان ، أوبالتشبّه بالكفّار وظنّي انّ هذا اغلظ صور المخالفة ، وأقبحها على العاقل لأنّ التشبّه بأعداءالله، والتلبّس بلباسهم في حضوره ، بعد نهيه بالخصوص ، كأنّه مبارزة ، ومعاندته في حكم العقل ، لا سيّما بعد ملاحظة ما ورد في الحديث القدسي [1] بهذا اللّفظ : قل لعبادي : لا تلبّسوا بلباس أعدائي، ولا تشبّهوا بأعدائيفتكونوا اعدائي ، ثمّ انّه يزيد قبحاً ، ووخامة أن يكون ذلك في بلاد المسلمين ، لأنّه يكون لا محالة مبغوضاً [2] لهم ، ومنكراً عندهم ، ومخالفاً لصورهم ، واللباسنفسه للستر ، والحفظ و كيفيّته ليس إلّا للتزيّن للغير ، فالتلبّس بلباسالكفّار في بلاد المسلمين ، مع كونه منكراً عندهم ، لايكون إلّا منمناسبة ذاتيّة ، وإلا فالعرضيّات هناك تقضى بتركه ، وذلك كتلبّس بعض أهل زماننا بلباس الافرنج ، فانّهم يتشبّهون بالافرنج بقصد الوجه فيما يضرّهم في دنياهم أيضاً ، بل وقد رأى أنّ بعضهم منجهة التشبّه بهم ، يعالجون شعرهمالأسود بالدواء ليكون اصفر ، ويشبه الافرنج مع انّأهلالذوق اجتمعوا انّ السوادفيالشعر أجمل ، نعوذ بالله من الخذلان في الدنيا والآخرة .

---

(١) كما مر في الحديث القدسي المروي في الوسائل .

(٢) قد صار التلبس بلباس اعداء الدين في زماننا هذا عزة و فخاراً والتلبس بلباس اهل الدين وشعار المسلمين عاراً وشناراً والى الله المشتكى .

ثمّ انّ الراجح في أمر اللّباس، الاقتصاد لا الفاخر الأعلى ، ولا الداني الأسفل بخلاف المأكل والمسكن ، وغيرهما ممّا يعيش به الانسان من عروض الدنيا ، لما في الأخبار في تعريف الشيعة ، التعبير بقولهم عليهم السلام مأكولهم القوت ، وملبسهم الاقتصاد ، فانّ الشهرة باللّباس مرغوب[1] عنه ، من كلا الطرفين ، وربّما يترجّح أحد الطرفين بالعرض ، هذا ويكره [2] الصّلوة في الثوب الّذي فيه تماثيل ، والخاتم الّذي فيه صور ، و لو كانت مستورة خفت الكراهة ، واو غيّرت بقطع الرأس مثلاً انتفت ، وكذا في الحديد إلا إذاكان مستوراً اوحال ضرورة ، وقيل بالحرمة ، وفي ثوب من لا يتوقّى النجاسة ومن يستحل الميتة بالدبغ ، والثوب الّذى يلاصق وبر الأرنب ، والثعالب ، والسود إلّا في الخف، والعمامة والكسا ، والمشبع اللّون والرقيق الغير الحاكي وفي السراويل وحده إلا أن يجعل على عاتقه شيئاً ، ولوحبلا ، ومع الخضاب وإن كانت خرقة نظيفة ، واللّثام للرجل، وتخف حالة الركوب وقيل بالتحريم والنقاب للمرئة ، وخلو جسدهنّ عن القلائد ، وفي الخلاخل المطلوبة لهنّ ، وظاهر القاضي التحريم ، وقيل لله اختصاصها بالصلاة ، واشتمال الصماء ، وهو ان يدخل الثوب من تحت جناحه ، ويجعله على منكب واحد ، و قيل هو جعل وسط رداءه تحت احدى ابطيه ، وطرفيه على المنكب الآخر ، والقميص الّذي ليس عليه رداء للامام ، والعمامة لاحنك لها ، وإن كان الظاهر من أكثر الاخبار كراهتها مطلقاً ، واستحباب التلحّي ، والتحنّك وهو ان يديره دوراً

---

(١) أى طرفى العلقان والخشن ، والفاخرة الثمينة . كما فى الوسائل ، فمن الكافى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ان الله يبغض شهرة اللباس ، وأبى سعيد عن الحسين عليه السلام قال ، من لبس ثوباً يشهر كساه الله يوم القيامة ثوباً من النار .

(٢) كل ما ذكره قدس سره مذكور فى الوسائل ومعنون فى الكتب الفقهية فلا حاجة لنا الى نقل ذلك كله واطالة الكلام فمن اراد فليراجع اليها :

منها تحت الحنك ، والابتدال و هو ان يجعل أحد طرفيها بين المنكبين من خلف ، أو خلف الاذن اليمنى ، والثاني في الصدر ، والجمع أولى بأن يجعل رأسها مسدولة خلف المنكب الأيمن ، و يديرها على رأسه على ما يشاء ثم يديرها دورة تحت الحنك ، و يجعل آخرها مسدولا على الصدر من طرف الاذن الأيسر ، ويكره أيضاً في القباء المشدود ، وظاهر المفيد التحريم ، وفيما يستر ظهر القدم ، ولا يستر شيئاً من الساق كالشمشك ، و عبّر بعضهم بالجرموق ، وهو معرّب سرموزه وقال جماعة بتحريمه ، والنعل السندي ، وحرمه بعضهم كلّها للنصّ ، إلّا الثلثة الأخيرة ، و في استحباب لبس الفاخر في الصلوة ، لأنّ الله جميل يحبّ الجمال ، أو لبس الخشن أقوال مختلفة كظاهر الاخبار يمكن الجمع بأن يقال باستحباب كلّ منها امّا الأوّل فلأنّ الله يحبّ الجمال ، و أمّا الثاني فبقصد التذلّل والتواضع ، واحتمل بعض المحدّثين حمل الثانية على التقيّة ولم يثبت ، وأمّا اسرارها فيكفى لمعرفتها التدبّر فيما قاله الصادق في مصباح الشريعة ، ازين اللباس للمؤمن لباس التقوى وانعمه الايمان ، قال الله تعالى : « ولباس التقوى ذلك خير » وأمّا اللّباس الظاهر، فنعمته من الله يستر بها عورات بني آدم ، وهي كرامة أكرم الله بها ذريّة آدم ما لم يكرم بها غيرهم ، وهي للمؤمنين الة لأداء ما افترض الله عليهم ، وخير لباسك مالا يشغلك عن الله ، بل يقربك من شكره وذكره وطاعته ، ولا يحملك إلى العجب والريا ، والتزيّن والمفاخرة ، والخيلاء فانّها من آفات الدين ، و مورثة القسوة في القلب ، و إذا لبست ثوبك فاذكر ستر الله عليك ذنوبك برحمته ، والبس باطنك بالصدق ، كما البست ظاهرك بثوبك ، وليكن باطنك في ستر الرهبة ، وظاهرك في ستر الطاعة ، واعتبر بفضل الله عزّ وجلّ ، حيث خلق اسباب اللباس يستر بها العورات الظاهرة ، وفتح باب التوبة والانابة

ليستر بها عورات الباطن من الذنوب ، واخلاق السوء ولا تفضح أحداً حيث ستر الله عليك أعظم منه ، واشتغل بعيب نفسك واصفح عمّا لا يعينك حاله و أمره ، واحذر ان يفنى عمرك بعمل غيرك ، ويتّجر برأس مالك غيرك ، وتهلك نفسك ، فانّ نسيان الذنوب من أعظم عقوبة الله في العاجل ومادام العبد مشتغلاً بطاعة الله ومعرفة عيوب نفسه وترك مايشين في دين الله فهو بمعزل من الآفات ، خائض في بحر رحمة الله ، يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة والبيان ومادام ناسياً لذنوبه ، جاهلا لعيوبه ، راجعاً إلى حوله وقوّته لايفلح إذاً ابداً انتهى» وللمؤمن في التدبّر باشارات هذا البيان المقدّس الوافي مجال واسع ، ولا بأس بذكر مايذكر ما يمكن ان يراد من بعض اشاراته الاجماليّة منها قوله ﷺ وخير لباسك ما لايشغلك عن الله - اه .

أقول : هذه العبارة من جوامع الكلم ، الّذي لا يبلغ على كنه ما فيه فطنة البشر ، وكلّما يتفكّر الانسان فيه يزيده المعرفة بحسنه وكماله ، ومن جملة ما فيه مع وجازة اللفظ اشتماله بجميع مراتب الخير في أمر اللّباس ، مع اشارة إلى علّتها ، لأنّ اللباس إذ كان أجود كثيراً يشغل القلب بالرياء ، والعجب والتفاخر ، وحفظه ، وإذا كان ادون أكثر من حدّه الشرعي ، وهو أيضاً يشغل القلب إمّا بالرياء أو بالخجل ، والتكلّف بستر بعض نواقصه عن الأنظار ، ويلجأ الانسان إلى أن يتحفّظ من وخامة ما يؤثر في خلق العالم من حقارته ودناءته ، فانّ في ذلك أيضاً وجوهاً للحكمة لا يعقلها ، ولا يصيب حقيقتها من دون شوائب الغرور ، إلا من أعطاه الله الحكمة لفضله العظيم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذوالفضل العظيم ، فانّ الانسان إذا لبس الأدون من اللباس ، يعامله الناس معاملة المجانين والأراذل ، وذلك قد يصير سبباً ، وعوناً للشيطان في بعض الاحوال ، فانّ الجاه مقدار منه من

أسباب الآخرة ، ولكن الخطب كلّه انّ الجاه من جهة انّه غذاء للروح وموافق لهوى النفس ، ولذّته روحانيّة فوق اللّذّات الجسمانيّة ، يعمى حبّه قلب الانسان ، فيغترّ في رعاية قدر الحاجة منه ، وإخلاص النيّة فيه ، فيحصل ما يضرّه ضرراً عظيماً ، فيتخيّل انّه نافع ، و يعتقد انّه يحصله الآخرة ، وهو يحصله للدنيا ، فهلك من حيث لا يشعر ، ويحسبه هيّناً ، وهو عند الله عظيم ، والكلمة الجامعة تحفظ هذه الحدود الدالّة للمريد على الصراط السوي والنمط الأوسط ، وجادة الاعتدال من طرفي التفريط والافراط ، هو ما عبّر عنه الامام عليه السلام من قوله : خير لباسك ما لا يشغلك عن الله ، نفاسة أو ردائة وأمّا قوله : بل يقرّبك إلى الآخرة ، اشارة إلى تفصيل اصول ما يستحبّ رعايته في اللباس ،

وأمّا قوله : فلا يحملك آه ، فهو إشارة إلى وجوه الاشتغال عن الله إجمالا ، ومن أراد تفصيلها فعليه ان يعمل بما القاه عليه السلام في هذا الباب [1]. من الأصول ، لينفجر على قلبه عيون الحكمة المودعة فيها .

وأمّا قوله : ولا تفضح أحداً حيث ستر الله عليك اعظم منه ، واشتغل بعيب نفسك عمّا لا يعنيك حاله وأمره ـ اه .

أقول : هذا الأصل من أعظم اصول المجاهدة ، واسلمها وانفعها ، وفيه أيضاً اشارة إلى علّة الحكم ، فانّ الانسان إذا اشتغل بعيب نفسه ، وإصلاحه يكون ذلك شغلا شاغلا له عن الالتفات إلى الغير ، وتجسّس عيوبهم ، فتسلم من جميع آفات ايذاء الناس إذا غلبها ، وأمّا إذا غفل عن نفسه ، فتراه لايسكت عن التعرّض للغير ، والاشتغال بتتبع عثرات الناس ، ويدخل تحت قوله عليه السلام

---

(١) وهو الباب السابع من مصباح الشريعة في آداب اللباس .

على ما رواه في الكافي [1] ، وغيره : يا معشر من أسلم بلسانه ولم يسلم قلبه لا تتّبعوا عثرات المؤمنين ، وإذا أعان الله عبداً على نفسه ، يعرفه عيوب نفسه وآفات عمله ، و مداخل الشيطان ، فيشتغل بنفسه عن غيره ، حتّى ينتهى أمره إلى أن لا يرى في الناس أحداً مثله ، في سوء الأعمال والاخلاق ، بل يعتقد في كلّ من رآه انّه اتقى منه ، و هذا الحال اسنى الحالات ، بل في بعض الأخبار انّه آخر الصفات الحسنة ، وهو تمام الأمر ، فإن اشكل عليك تصوير ذلك ، من جهة انّ المؤمن كيف يقطع بكلّ من رآه من الناس وفيهم هؤلاء الفسّاق ، والفجّار المعلنون بالكبائر انّه اتقى منه ، بل كيف يحتمله فضلا عن القطع .

أقول : وتصويره يظهر بعد التأمّل في من غلب على قلبه شيء من الخوف والحبّ والشوق ، بحيث ملك قلبه ، وغلب على سرّه ، فظهرت آثاره في جوارحه وجبّه ، فانّك تراه يحكم بخلاف الحس ، أما سمعت المثل المعروف : انّ الّذي لدغته الحيّة يخاف من الحبل ، مع قطعه بأنّ الحبل لا يضرّه ، وأما سمعت انّ الّذين غلب عليهم الشوق ، و المحبّة ربّما احرقوا بالنار ، و لم يحسّوا بالم الاحراق ، من غلبة لذّة الوصال ، فإنّ المؤمن إذا تجلّى عليه عظمة مولاه ، ومراتب عطوفته ، وعنايته وعرف موقع جناياته وعصيانه مع هذا الملك العظيم الرؤف ، و عرف شيئاً من حكم عدله ، و جلاله ، قد يبهر الخوف عقله ، ويؤثر في قلبه ، ويغلب على حسّه ، فيحكم بانّ ما هو فيه من قبح المعصية ، لا يمكن ان يوجد في العالم مثله ، وقد يؤثر من جهة الحياء والخجل بازيد منه ، ومن جهة الشوق والمحبّة بأزيد منهما ، ففي كلّ هذه

(١) الكافي ـ باب من طلب عثرات المؤمنين و عوراتهم : عن اسحاق بن عمار عن أبي عبدالله ، وكذا عن أبي جعفر عنه (ع) .

الأحوال ينتهى أمرهم ، بحيث يحكم بخلاف الحسّ فيقول [١] النّاس انّه خولط ، و ما هو بذلك ، و قد خامرهم من عظمة ربّهم ، و شدّة سلطانه ، فأذهبت به عقولهم ، يقولون مرضى ، وما بالقوم من مرض ، أم خولطوا هل شملهم الخبل ، وهؤلاء الأولياء هم الّذين لا يكون لهم ذكر ، وفكر و شغل سوى الله ، بل ولا همّ ومقصود إلاّ رضا محبوبهم ، ولا يعتنون بشيء غيره من دنيا و آخرة ، .

آنكس كه ترا شناخت جانرا چكند
فرزند و عيال و خانمانرا چكند
ديوانه كنى هر دو جهانش بخشى
ديوانهٔ تو هر دو جهانرا چكند

اقول ـ فوا سوأتاه إنّالله ، وإنّا إليه راجعون، ممّا نحن فيه من الغفلة والعزّة في هذه الدنيا ، والاسف والحسرة في الآخرة ، فانّها مصيبة عظيم رزئها ، وجلّ عقابها ، وبالجملة إذا كان المقصود الأقصى ، والهمّ الاسنى ان يكون العبد مشتغلا بربّه عن جميع من سواه ، وإن لم يقدر على ذلك ، فيما يمكنه من ذلك الأقرب فالأقرب ، لايكون له حدّ في لباسه ، بل وفي سايرما يتعلّق به ، إلّا ما يليق بهذا المقصد ، لأنّه قد يختلف أحوال السالكين في ذلك ، بل و يختلف أحوال الاعصار ، والامصار ، فالكلمة الجامعة هو ما أشار إليه أوّلاً ، ثمّ تفصيله ما أشار إلى جملة إلى آخر كلامه ، وفي ذلك كفاية لمن كان له قلب اوالقى السمع وهو شهيد .

فصل يستحبّ [٢] لمن يريد اللباس ، أو نزعه التسمية وان يبدء عند

(١) كما روى فى صفات المتقين فى نهج البلاغة والكافى وغيره .

(٢) كمافى الكتب الفقهية والسنن وكذا البسملة عندنزع اللباس مروى وانها أمان عن تصرف الجان و اما عند لبسه فلعله لدليل عام وكذا ما أورده قده مذكور فى الوسائل وغيره ولم اجد قوله : وان يقول : لا تلبسوا الحق ـ اه

اللّبس باليمين ، حتّى في النعل ، وباليسار عند النزع فيه ، و ان يقول عند اللّبس : ولا تلبسوا الحقّ بالباطل ، ولا تكتموا الحقّ ، و أنتم تعلمون ، ويقول : اللهم البسني لباس التقوى ، و جنّبني الردى ، و إن يقول بعده : الحمد لله الّذي كساني ما اوارى به عورتي ، واتجمّل به في الناس .

روى في الكافي في رواية [١] أمرأمير المؤمنين عليه السلام لمن كساه الله ثوباً جديداً الوضوء ، وصلوة ركعتين يقرء فيهما امّ الكتاب ، و آية الكرسي ، والتوحيد ، والقدر ، ثمّ يحمد الله الّذي ستر عورته (وزيّنه خ ل) وجعله في الناس ، واكثار قول لا حول ولا قوّة إلا بالله ، فانّه لا يعصى الله فيه .

وروى [٢] عن أبي عبدالله عليه السلام انّ من قرء القدر ثنتين و ثلثين مرّة في اناء جديد ، ورش ثوبه الجديد إذا لبسه ، لم يزل يأكل في سعة ما بقي منه سلك .

وروى الشيخ صلوة ركعتين في المسجد بعد لبسه ، وقول الحمد لله الّذى رزقني من الرياش ما اتجمّل به في الناس .

وروى غير ذلك أيضاً .

ثمّ انّه قد أشرنا فيما قدّمنا انّ الأمر في اللباس من حيث الجودة ، والردائة ليس مثل ساير اساس البيت ، والمأكل والمسكن ، وأمّا الّذي يستنبط من كلامهم فيها ، فهو ان يتواضع بقدر الوسع ، والطاقة ، ولا يزيد ـ فالاخبار الواردة في الجوع و التواضع لله في ترك لذائذ الاطعمة ، وذمّ بناء مالا يسكن وحرمة البناء للفخر ، وترك الشرفة للبيوت ، وذمّ تشييد البناء واعلائه ، و ذمّ

---

(١) كما في الوسائل باب ما يستحب ان يعمل عند لبس الثوب الجديد .

(٢) كما في الوسائل عن الصدوق في الخصال وروى غير ذلك ايضا في الوسائل وغيره لا حاجة الى نقله .

التكاثر في اسباب الدّنيا كثيرة فوق حدّ التواتر ، فمن ابتلى بمسئلة التجمّل في الاسباب واساس البيت وسلك هذا الوادى قدما يوشك الشيطان ان يوقعه في مالا نجاة لهمنه ولا خلاص لان التجمّل بالاعيان ، والعروض لاحدله، لأنّ لكلّ يوم جمالاً مخصوصاً لا يكفى له الجميل السابق من الأسباب والّذي كان في السابق يخلق وينكسر، ويتجدّد غيره، فيصير بعد كونه جمالا محبوباً ، منفوراً عنداهله وقوّة حبّ الجاه الّذي دعاه لذلك ، يستدعى في كلّ يوم زيادة على ماسبق ، ويقول هل مزيد والمصرّ في ذلك إنّما يهلك من وجوه مختلفة ، ايسرها و الزمها الاشتغال عن ذكر الله تعالى ، ولذاترى القرآن أكثره في مذمّة الدّنيا ، و الاشتغال بها ، والحثّ على الزهد فيها ، والرغبة في امر الاخرة ، وكفى من ذلك للمؤمن قوله تعالى : « من كان يريد الحيوة الدنيا ا ه » .

فصل ـ في الاوقات ، اعلم انّ الاوقات كالامكنة ، وساير الموجودات منها سعيد ، ونحس ، وشريف ، وغير شريف ، بالجملة فلها احكام مختلفة تظهر فيما يوقع فيها من الأفعال بل وما يوجد فيها من الموجودات ، بمناسبات ذاتيّة حقيقيّة ، يعرف من انطباق العوالم و عرضيه اعتباراته يعرف من العلم بالحوادث الزّمانيّة ، وحكم تأثير المجاورة ، و بالجملة لا يعرفها كلّها إلّا علّام الغيوب ، أومن ارتضى من رسول اوولىّ ، وكيف كان فقد ورد في الشرايع لها احكام ، لاسيّما شريعة نبيّنا الخاتم ﷺ ، فقد ورد فيها احكام ، ووظايف مفصّلة لسنيها ، و شهورها واسابيعها ، وأيّامها ، ولياليها وساعاتها ، ثمّ إنّه قد ورد في أخبار كثيرة انّه يؤتي بالاوقات يوم القيامة في صورة الاعيان ، بل في صورة الانسان ، وهكذا ورد في ساير الاعراض ، وهذا ينكره العقول الضعيفة ، ولكن على المؤمن ان لاينكر شيئًا من امثال ذلك ، بل يقول : هم اعلم بما قالوا ، ويستعين من الله الهادي ان يرزقه معرفته ، وأمّا تصوير امكان هذه الاخبار

فيعلم ممّا اسلفناه سابقا بانّ لكلّ موجود في كلّ عالم صورة متناسبة لذلك العالم ، ويشهد له تعبيرات المنامات ، فانّ من رأى في المنام انّه ينظم الدّر في جيد الخنازير ، قال له المعبر انّك تعلّم الحكمة للفاسق ، و من راى انّه يختم افواه النّاس و فروجهم ، قال : ذلك للمعبر ، و اجابه المعبر بانّك رجل تؤذن في شهر رمضان قبل الفجر ، وكان كماقاله ، فعلم من ذلك ان صورة الحكمة في عالم النّوم الّذي هو من العوالم المثاليّة ، صورة الدر في هذا العالم ، وهكذا الاذان الّذي قبل الوقت فيه بصورة الخاتم ، و هكذا ، بالجملة لكلّ معنى حقيقة صورتا وقالبا في كلّ عالم بحسبه ، و هكذا ، ولها آثار مختلفة باختلاف العوالم ، فانّ هذا العالم من جهة كونه عالم الطبيعة مظلمة ضيّقة ميّتة ، للحقايق فيه هذه الصوّر ، وهذه الاثار الّتي نراها بالعيان وفي عالم المثال مثلا من جهة انّه لامادّة فيه ، بل الحقايق فيه مصوّرة ، و مقدّرة بلامادّة طبيعيّة ، آثاره غير آثار هذا العالم المادّى ، و لذا ترى إنّ الإنسان يطير في النّوم ، يجوز عن الجدار .

و أمّا عالم العقلى ، من جهة انّه دار الحيوان يكون جميع الحقايق فيه ذات حيات ، وشعور كما وردانّ السرير في الجنّة يبتهج ، و يتحرّك من سروره إذا جلس عليه المؤمن ، و كيف كان لاوجه لاستبعاد احوال العوالم العالية في ميزان عالمنا هذا قال بعض من يدّعى الكشف : انّ كلّ ما في الرّوايات مما تجده بحكم هذا العالم مجازاً كان له في عالم المثال حقيقة بلا توسّع وتجوّز ، رأيناها فيها بعين هذه الصور المرويّة ، وقد ذكر والهذا العالم من الخواص مالا يقبله عقول أكثر النّاس ، واستشهد والها من الأخبار الواردة في حالات الكاملين وصفاتهم ، من قبيل قولهم ﷺ كلّنا محمّد ، و كلّنا

واحد ، وأنّه في شرب بعض انهار الجنّة طعم كلّ مطعوم [1] ، ومشروب ، يقولون : انّ هذا من جهة انّ موجودات هذاالعالم كلّها جنبية حاضرة عند كل واحد منها ، فانّ الانسان يجد في كلّ لحظة جميع اللّذات الموجودةفي كل شيء كل واحد بطعمه المخصوص ، و لذّته الخاصّة من غير بطلان للخصوصيّة ، يقولون اشياء غير هذا ، لاسبَيل لنا لردّهم ، فنذره في بقعة الامكان ، بل نظنّ صدقه بتقريبات و تنبيهات ذوقيّة ، و اشارات و تلويحات نقليّة ، حتّى يرزقنا الله معرفته بالعيان من فضله و كرمه ، و بالجملة يجب على العاقل اذا عقل ، انّ للاوقات والازمنة احكاما ، و اشارات ، و إنّ وقته في مدّة عمره بمنزلة رأس مال خطير ، بحيث يمكن ان يتجرّ به في كلّ نفس منافع عظيمة ، وممالك كثيرة ، بل سلطنة دائمة ، يضن ان يتلف منه شيئاً بلافايدم ، بل يجعله مكان هذه الأرباح الكثيرة الفاخرة ، سببا للشقاوةالدائمة والخلود فيالعذاب الأليم .

ثمّ له أن يعتبر ممّا مضى من عمره ووقته ، لمايأتى فيامور :

منها انّ مامضى فنى بلذّاتها والامها لم يبق لذّة ولا الم بل يبقى تبعة واجر .

ومنها ان الباقي منه لايصح الرّكون اليه ، جتّى الى آخر يوم

---

(١) كما فيالعيون باسناده الى عبدالسلام بن صالح الهروى ، قال قلت للرضا عليهالسلام : يابن رسولالله اخبرنى عنالشجرة التى اكل منها آدم و حواء ماكانت فقد اختلفالناسفيها ، فمنهم منيروىانهاالحنطه ، ومنهم من يروى انها العنب،و منهم من يروى انها شجرة الحسد ، فقال (ع) :كل ذلكحق قلت فما معنى هذهالوجوه على اختلافها ؟ فقال : ياابا الصلت شجرة الجنة تحمل انواعا ، وكانت شجرةالحنطة وفيها عنب ، ليست كشجرة الدنيا الحديث اقول : و فى هذا الحديث اشارات لطيفة لايسعها المقام .

وليلة ، فما لايقدّم همّ مثل هذاالامر محتمل الوجود الهين البقاء ، و سريع الزّوال على أمر قطعيّ الاتيان ، والدّائميّ العظيم الشّأن .

ومنها انّ السعادة والشقاوة ، واللّذة والالم فيه انّما هو بقضاء و قدر لابسعي وعمل . ولايتهيّؤ اسباب ، وبين السعي والوصول ، والاسباب والمأمول عموم من وجه ، وإذا اعتبر بهذه الامور ، وتذكّر به عند الهمّ بالامور المهمّة وتفكّر فيهما ، حتّى أثر في قلبه ، لايكون همالدنيا عنده أكبر من همّ الاخرة ليبتلي بما يورثه ذلك من الامور الاربعة الموجودة لصاحبه ، كماعلى ماروي ان من أصبحوا أكبر همّه الدّنيا فليس من الله في شيء ، والزم الله قلبه أربع خصال : همّا لاينقطع عنه ابدا ، وشغلا لايتفرّغ منه ابداً ، وفقراً لاينال غناه ابداً ، و املا لايبلغ منتهاه أبداً .

فصل – في الاهتمام بالاوقات الشريفة وفيه امور :

الاوّل فيما يقع في كل سنة مرّة .

والثاني فيما يقع في كلّ شهر مرّة .

الثالث فيما يقع في كلّ اسبوع مرّة .

والرابع مايقع في كلّ يوم وليله ، من الاعياد الشريفة ، وأيّام المواليد العزيزة ، وليالي القدر ، وايّام وقع فيه امر عظيم من الله بالنسبة إلى الخلق أمّا الاعياد ، فاللازم ان يعرف الانسان معنى العيد في الاقبال ، و منها ان يفهم معنى العيد الموجود انه من مقامات السّعود ، وانجاز الوعود ، واقبال الله على العبيد ، واحضار مّ بين يدى مقدّس سرادق ظلّه المجيد ، و اطلاق خلع الحبّ على القلب ، ونشر الوية القرب من الربّ ، و اشراق شموس الاقبال على وجوه الامال ، وتباشر الاعمال والابتهال بالقبول ، و اجابة السؤال ، و تقديم الممالك ، والاتّكاء على الارائك ، و تسليم مفاتيح الرّضا والرّضوان ،

و سطر كتب الامن و الامان ، و تهيّة ما يحتاج هذا العيد المسعود إليه في المنزل الّذي يقدم عليه ، و بالجملة يوم العيد يوم اطلق الله فيه الاحسان والأنعام بكلّ خاص وعام ، وهو يوم اظهار الجود والكرم ، و بذل الفضل و النّعم ، ومن البيّن انّ الجود والكرم من كلّ جواد بحسب جوده و يساره ، وبحسب قابليّة العبد واستعداده ، وإذا كان الامر بهذا المنوال ، ونشر الوية الأنعام والافضال من الله الكريم المتعال ، فليأت كلّ برّ و فاجر ، ومحسن و مسيء ولكن باعتراف وحياء ، وخجل ورجاء ، فانّه لاردّ له البتّة في مثل هذا اليوم عن جناب اللّطف والاحسان ، من الملك المنّان ، ولكن ذلك كلّه لمن اعتقد بالله وجوده ، ووعيده ، ولكن الكافر والجاحد والآيس ، والمعاند لا حظّ له بحكم العقل ، من شرب حياض الفضل ، بل مورده ومصدره من حياض العدل هذا فانظر كيف عكس الامر بين المسلمين ، فجعلوا يوم العيد عدة اللّهوات ، وشرب القهوات ، و اللّعب واللّهو ، و الغفلة و السهو ، روى رئيس المحدّثين في كتاب من لايحضره الفقيه ، قال : نظر الحسن عليه السلام (١) الى النّاس يوم الفطر ، يضحكون ويلعبون ، فقال لاصحابه انّ الله عزّ وجلّ خلق شهر رمضان مضمارا لخلقه ، يستبقون فيه بطاعته و رضوانه ، فسبق فيه قوم ففازوا ، و تخلّف آخرون فخابوا ، فالعجب كلّ العجب من الضّاحك اللاعب في اليوم الّذي يثاب فيه المحسنون ، و يخسر فيه المقصّرون و ايم الله لو كشف الغطاء ، لشغل محسن باحسانه ، ومسيء باسائته ، وفي غيرها بزيادة عن ترجيل شعر ، وتصقيل ثوب .

---

(١) اقول روى هذا الخبر في الكافي في كتاب الصوم في باب النوادر عن علي عليه السلام ورأيت ايضا في غيره باختلاف في العبارة و كيف كان فحقيقة المطلب هو ما افاده قده .

وكيف كان ، فليكن العبد لامحالة قبيل دخول العيد ، حاله كحال من ناداه منادى ملك ملوك الدنيا ، في معشرعام الى مجلس السلام ، والخلع والانعام وله جنايات عظيمة ، وسوابق امور وخيمة ، فانه لا محالة يكون في قلق ، واضطراب بين الخوف والرّجاء ، ويكون لامحالة عليه أثر الخجل و الحياء ، ويتفكّر في أن بعدله عدة ينفعه في هذا المجلس العظيم ، وينظر هل يهمّه أن يكون مقامه في هذا المجلس مقام الاعزّة ، ولباسه من لباس شرفاء الحاضرين ويكون شمول الطاف هذا الملك عليه مثل الاقران ، او يرضي أن يكون رأسه مكشوفاً عن تاج كرامات الله وعورته مكشوفة عن ستر الله، ومقامه مقام المقصّرين المستحقّين لاعراض الله ، ويتفكّر في ذلك ساعة ، ثمّ يستعلج في ذلك بالعلاجات الفورية لاهل التّقصير، أوّلا بالتوبة الحقيقيّة ، والانابة الصّادقة ، وان لم يقدر على ذلك ، ولم يعطه نفسه العوّاد للخبيثات ، الفرصة من الدّخول من باب التوّابين ، فلامحالة ترضيها للدّخول من باب الاستغفار ، بقدر الذّنب والدّعاء بالعفو ، والقبول ، و توفيق التوبة ، و يقول اللهى ان لم تسمح الامن اجازته برائة عمله ، فانّي لممّن لم تجب قبل القضاء ، واجابة المسئول ، وان لم تسمح نفسه بذلك ، فيعنه طاعة الرّحمان أن يبالغ في الدّعاء ، والاستغفار فلامحالة ان يدخل من الباب الّذي دخل منه ابليس ، وفرعون ، ولم يخيّبهما ارحم الراحمين ، واجاب دعوتهما ، وهو باب عدم اليأس والقنوط ، فالاولى ان يقول يامن أجاب لابغض خلقه ابليس ، حيث استنصره ، استجب لى كما استجبت له ، ويامن قضى حاجة فرعون اقض حاجة هذا الفرعون الثّاني بل الاوّل ثمّ يحسن ظنّه على التحقيق بالاجابة ، والقبول ، ونيل المراد و المأمول .

وتفكر فيما افاده السيّد الاجل ، معلّم أهل المراقبة السيّد بن طاوس في الاقبال ، بقوله : أيّها الاخ المقبل باقبال مولاه ليعلم كيف تحضر بين يديه

ارحم ضعف روحك، ماقبل مشورة نصيحك ، و فكّر في تعظيم من هو مقبل عليك ، وطهّر قلبك من الشواغل الّتي يحول بينك و بين احسانه اليك .

إلى أن قال: اعلم انّ المتوجّهين إلى الله في يوم الذي ، سمّاه جلّ جلاله عيدالعبيده ، وانجاز الوعده ، وأمرهم بالخروج إليه ، والوفادة عليه ، فانّ الناس المتوجّهين فيه على اصناف : صنف خرجوا وقد شغلهم هيبة الله جلّ جلاله وجلالة عظمته ، وذهول العقول عن مقابلة حرمته ، واجابة دعوته ، حتّى صاروا كما يصير من لم يحضر ابداً عند خليفته ، واستدعاء للحضور بين يدى عظمته الشريفة ، فانّه يكون متردّداً بين الحياء والخجالة للقاء تلك الجلالة ، وبين خوف سوء الأدب ، وبين أمواج العجز عن الجرئة بالخطاب، والتماس الجواب ، وبين الفكر فيما ذاعساه يكون قد اطّلع الخليفة عليه من أفعاله ، وسوء اعماله ، فيشغله هذه الشواغل ، عن بسط كفّ سؤاله، واطلاق لسان حاله .

ثمّ ذكر الصنف الثاني ، و هم الّذين تفكّروا في نعمته تعالى من خلق السموات والارضين ، ومافيهما من ابتداء خلقهما ، وحفظهما ، وترتيبهما لاجل انعامهم ، ورزقهم ، وتربيتهم ، وبالجملة لوجوه جميع خيراتهم الدنيويّة والدينيّه ، فاخجلهم ما مضى من انعامه ، و ما حضر من اكرامه عن طلب شيء آخر ، ومن شريف مقامه .

و ذكر الثالث : و هم الّذين تفكّروا في خياناتهم لهذا الملك المنعم المنّان في نعمه ، و تضيعها بالخسران حقّه ، فكساهم ذلّ الخيانة والامانة عار الخجل والوجل ، حتى ما بقى بينهم فراغ لرجاء وأمل .

وذكر [1] الرابع ، وهم الّذين على مراكب دالة باعمالهم في لباس

(١) هذا هو الصنف الثالث في كتاب الاقبال للسيد الاجل و الاصناف الذين ←

غفلتهم ، وجهالتهم في نعم خالقهم ، ورازقهم ، ومنن مولاهم وسيّدهم ، مدّة عمرهم ، وزمان حياتهم ، من الانشاء والحفظ ، والبقاء ، و وجوه النعماء ، و قال هؤلاء كالعميان ، وكالمرضى .

وذكر الخامس و هم الذين خرجوا ليطلبوا أُجرة أعمالهم في شهر رمضان ، ولسان حالهم طلب المحاسبة في معاملتهم مع ربّهم ، فأجابهم لسان حال عدله :

إذا كان كلّ منكم يطلب اجرة عمله ، فاذكروا افعالنا لاجلكم قبل وجودكم ، وهذه حيوتكم من لدن أبيكم آدم ، وعملنا مع آبائكم ، وامهاتكم وجدودكم ، فافكروا في اجرة كلّ من استخدمناه في مصلحتكم من الملائكة و الأنبياء و المرسلين ، و الملوك ، والسلاطين ، و غيرهم من جميع عبيدنا من الماضين ، والحاضرين ، فانظروا مقدار الفاضل من اجرة أعمالنا ، فادّوه إلينا ثمّ تعرضوا لسؤالنا ، حيث عدلتم عن باب الاعتراف لنا بالفضل ، و وقفتم على باب طلب الاجرة .

وذكر السادس و هم الذين عرفوا انّ أعمالهم لا تقابل نعمه جلّت آلاؤه ولم يطلبوا من باب الأجر سبباً بل مد واكف لسان الحال الّذي كان قبل الوجود أي لسان الفقر والاحتياج لطلب الكرم والجود المفضل .

وذكر السابع وهم الّذين لبسوا لباس المعرفة بقدر المنّة عليه ، باقباله تعالى عليهم ، وحضورهم للاحسان إليهم ، وليس بهم خاطر ولا ناظر يتردّد منذ

ذكرهم السيد في الاقبال ستة على ما في النسخة التي عندي ولكن المؤلف قده عدها سبعة مستنداً اليه رضوان الله عليه ولعله من اختلاف النسخ وراجعت بعد كتابة هذا المقام الى نسخة اخرى من كتاب الاقبال : فوجدته كما في المتن من كونهم سبعة و ذكر قده مضمون ما سرده السيد ره لا عين الفاظه وربما نقل بعض عباراته وقد صححنا بعض الاغلاط الموجودة في النسخة المطبوعة و نسأل الدعاء من الناظرين والقارين .

نشروا إلى حيث حضروا في غير طرق الاعتراف بالمنن لربّهم جلّت آلاؤه ، ويتمنّى لسان حالهم ان لوكان لهم قدرة ان يكونون موجودين في الأزل ، ولا يزال مع وجوده ، وكلّ منهم باذل غاية مجهوده في خدمة معبوده ، و شكر جوده لرأى ذلك قاصراً عن مقصوده ، و لولا خوف المخالفة لما يراه ، لتمنّى كلّ منهم إلّا يفارق باب الخدمة في دنياه و اخراه .

أقول إنّما اكتفى ره بما ذكر ، و اصناف الخارجين أكثر من أن تحصى ، لأنّ مقصوده الإشارة إلى بيان ما هو الغالب على المتعبّدين من اصحاب اليمين من الاحوال ، والأوصاف وإلّا فالسائرين الى الله من أهل التوكّل والرضا والتسليم ، والشوق والمحبّة ، والانس أيضاً لهم حالات سنيّة غير ما ذكر ، فانّ من الشوق والمحبّة من يحضر هذا المجلس ، و هو سكران من وجد ما أصابه من لذّة الدعوة والنداء ، ولا الالتفات له إلى العامل والعمل و الأجر ، و هو يلبّي داعي المجلس لسروره و بهجته ، و يفديه لروحه و مهجته .

ثمّ انّه ذكر السيد كلاماً ، وذكر أجميلا للمتشرّف باستقبال العيد ، وهو قوله :

«اللّهمّ إنّ الملوك والأُمراء قدوهبوا خلعاً لماليكم وعبيدهم ، وجنودهم ولوكان مماليكهم من الأغنياء ، والعبد المملوك رأسه مكشوف من عمايم المراقبة الّتي يليق بكم ، و من ميازر الاخلاص الّتي تجب لكم ، ومن سرّ الإقبال عليكم ، ومن الخلع الّتي يصلح للحضور بين يديكم ، وثياب العبد المملوك خلقة بيد الغفلات ، ودنسة من وسخ الشهوات ، ولباس سترعيوبه ممزّق بيد ايثاره عليكم ، و مغفر غفران ذنوبه ، مكسّر بيد تهوينه بالاستغفار الّذي يقرّبه إليكم ، وعوراته مكشوفة وعثراته مخوفة ، فهو متهتك في هذا العيد السعيد

بسوء ملبوسه ، وخجلان خذلان من ثياب منحوسة ، فما انتم صانعون بمملوك يقول لسان حاله : إنّا لله و إنّا إليه راجعون ، وأنتم علّمتم الملوك مكارم الأخلاق ، وعنكم ومنكم عرف ابتداء الخلع ، وإطلاق الأعناق ، والأرزاق وقد كان العبد المملوك لما ابتديتم بانشائه ، عرفتم ما يقع منه من سوء إبابه ووسعه حلمكم حتّى خلّعتم عليه خلع البقاء ، وخلع سلامة الأعضاء ، وخلع الشفاء من الادواء ، وكسوتموه لحماً وجلداً ، و بالغتم معه انعاماً ورفداً ، فبقي العبد المملوك عرياناً في حضرتكم ، فمن ذا يستره و يكسوه إذا رأوه قد ضاقت عنه سعة رحمتكم ومن يأويه أن تودي عليه اي طريد نقمتكم فيا من خلع عليه وقد عرف ماينتهي حاله إليه ، وربّاه وغذّاه وآواه ، فقد احاط علماً بجرأته عليه ، وما كان قد تشرّف بمعرفة مولاه ، ولا ارتضاه ان يخدعه في دنياه ، ارحم استغاثته بك ، واستكانته الك . واستجارته بظلك ، ووسيلته بفضلك إلى عدلك ، وأكسه من خلع العفو والغفران ، والأمان والرضوان ، مايكون ذكرها ، وشكرها ، وسرها منسوباً إلى رحمتك ، وجودك فقد انكسر قلبه ، وخجل واستحيى من وقوفه عرياناً في يوم عيدك ، مع كثرة من خلع عليه من عبيدك ووفودك ، وماله باب غيرك ، وهو عاجز عن عتابك ، فكيف يقوى على حرمانك وعقابك .

فصل قال ومن آداب العبد يوم العيد مع من يعتقد انّه امامه وصاحب هذا المقام المجيد [1] .

فأقول : واعلم انّه إذا كان يوم عيد الفطر ، فإن كان صاحب الحكم والأمر متصرّفاً في ملكه ورعاياه على الوجه الّذي أعطاه مولاه ، فليكن مهناه له بشرف اقبال الله تعالى عليه ، وتمام تمكينه من إحسانه ثمّ كن مهنا لنفسك

---

(١) ايضا من كلام السيد ره

ولمن يعزّ عليك ، وللدنيا و أهلها ، و كلّ مسعود بامامته بوجوده و سعوده ، وهدايته وفوايد دولته ، وإن كان من يعتقد وجوب طاعته ممنوعاً من التصرّف في مقتضى رياسته ، فليكن عليك أثر المساوات والمواساة في الغضب مع الله تعالى مولاك ومولاه والغضب والتأسّف على ما فاتك من فضله ،

وروى(١) قول أبي جعفر للراوي يا عبدالله ما من عيد للمسلمين أضحى ولافطر إلّا ويتجدّد لآل محمّد فيه حزن قال : قلت ولِم قال لأنّهم يرون حقّهم في يد غيرهم .

و أقول (٢) لو انّك استحضرت كيف كانت تكون اعلام الاسلام بالعدل منشورة ، واحكام الأنام بالفضل مشهورة ، والأموال في الله إلى ساير عباده مبذولة ، والآمال ضاحكة مستبشرة مقبولة ، و الأمن شامل للقريب والبعيد ، والنصر كامل للضعيف والذليل والوحيد ، والدنيا قد اشرقت بشموس سعودها ، وانبسطت يد الاقبال في اغوارها ونجودها ، فظهر من حكم الله جلّ جلاله الباهر ، و سلطانه القاهر ما يبهج العقول والقلوب سروراً ، و يملأ الآفاق ظهوراً و نوراً ، لكنت والله يا أخي قد تنغصت في عيدك الّذي أنت مسرور باقباله ، وعرفت ما فاتك من كرم الله وافضاله ، وكان البكاء والتلّهف والتأسّف اغلب عليك ، وأليق بك ، وأبلغ في الوفاء لمن يعزّ عليك ، وقد رفعت بك الان ، ولم اشرح ماكان يمكن فيه اطلاق اللّسان ، و هذا الّذي ذكرناه على سبيل التنبيه والاشارة ، لأنّ استيفاء شرح ماتريده يضيق عنه مبسوط العبارة ، اعلم انّ الصفاء والوفاء لأصحاب الحقوق والتفريق والبعاد ، احسن

(١) أى وروى السيد باسناده الى جعفر بن بابويه من كتاب من لا يحضره الفقيه وغيره باسناده الى حنان بن سدير عن عبدالله بن ديناو عن ابى جعفر عليه السلام انه قال يا عبدالله ما من عيد -اه .

(٢) أيضاً فى كلام السيد ره .

من الصفاء والوفاء مع الحضور واجتماع الأجساد ، فليكن الصفاء و الوفاء شعار قلبك لمولاك ، ، وربك القادر على تفريج كربك .

فصل - ومن مهمات الايام الشريفة ، ان يسلم المؤمن من امة نبينا على حصر يومه وليلته من ائمة الدين ، ويقول له بعد التحية والسلام يامولاى انت سيد كريم ، امام جواد عظيم ، تحب الضيافة ، و تكرم الضيف ومأمور من الله بالاجارة فاضفني ، واجرني وأنا اليوم ضيفك ، وجارك و اجعل جزائي منك ان تدخلني في همك وحزنك ، ودعائك ، وحمايتك ، وولايتك ، و شفاعتك ، وشيعتك وارغب إلى الله في ثوابي ، وخيري ، وهدايتي و ارشادي ، وتأييدى وتسديدى ، وتوفيقى ، و كل خير لى ، وأهلي وإخوانى المؤمنين لديني ودنياى وآخرتى ، وان يختم ليلتي و يومى ، و شهرى ، و سنتى ، و عمرى برضاه ، ويرضينى عنه ، ويجعلني معكم في الدنيا و الآخرة صلوات الله ، و سلامه عليكم أجمعين ، ويفعل ذلك في اول ليلته و آخرها ، و اول يومه و آخره .

وأما تفصيل حصر الايام فالسبت لرسول الله صلى الله عليه وآله ، والاحد لامير المؤمنين عليه السلام والاثنين لامامين الحسنين ، و الثلثا للامام أبي محمد السجاد ، و الامام أبي جعفر الباقر ، والامام أبي عبدالله الصادق ، و الاربعا للامام أبي إبراهيم الكاظم ، والامام أبي الحسن الرضا ، والامام أبي جعفر الجواد عليه السلام و الامام أبي الحسن الهادى عليه السلام ، والخميس للامام الزكى أبي محمد الحسن العسكرى والجمعة للامام الهمام نورالله التام ، فرج الله القريب ابوالقاسم ، الامام المهدى القائم صلوات الله ، وسلامه عليه ، وعلى آبائه الطاهرين ، و اولاده المنتجبين ، روحى وارواح العالمين فداه .

ومنها ليالى القدر ، وتتبعها النصف عن شعبان ورجب ، و أول رجب ،

ويلزم لمدّعي الإيمان بالله ورسوله ﷺ، والقرآن العظيم، ان يعامل معها مايظهر منه آثار التصديق، والايمان، ومن لوازم الإيمان أن يكون همّ هذه اللّيلة في قلبه، كهمّ الف ليلة، وازيد لأنّه خير من الف شهر، و يتفكّر في عظم هذه الليلة عندالله، بان جعل للعبادة فيها أبواب من النور، كنور عبادة الف ليلة، فيكون عظمته عنده أيضا بهذا المقدار، وإذا كان كذلك فلا بدّ له ان يعمل لها عدّة قبل وقتها أيّام سنته بالدعاء، والانتظار، ودفع الموانع ورفعها، وتهيئة الاسباب، حتّى تهيّأ غذاء مناسب، ومكان مناسب و لباس مناسب، ودعاء، ومناجات وغيرذلك، ممّا يكمّل عبادته وخلوته، ومناجاته مع الله، و من مهمّات ذلك ما اسلفناه آنفاً من سلام حماته في حضراته في اللّيلة، وان يتوسّل بهم في مهمّات اللّيلة، ويشفعهم في أن يقبله الله تعالى، وعمله و توفيقه برضاه، وحبه في جميع حالاته، وأن يبقيه له إلى يوم يلقاه سالماً، من الافات، ثم الاجتهاد بكلّ ماراه أقرب إلى رضا سيّده الكريم، ويكون همّه في جميع آنات ليله في مراقبة حضور مولاه، وأن لايغفل عنه في آن واحد، ولو بالغذاء، ولايأكل، ولايشرب ولاينقلب في شيء من اموره، الا بقصد صحيح ونيّة مقرّبة صادقة، ويكثر من الدعاء، و اللّطف مع مولاه العطوف الرؤف بمناجات لطيفة، مهيّجة مبكية، ويكثر السجدة على التراب والصلوة على سيّد المرسلين، وآله الطيّبين الطّاهرين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعبادالله الصالحين، والمؤمنين والدعاء لفرج حجة العصر وحفظه و نصره، و ان يرزقه الله رضاه، ويهديه بهداه، وتوفيقه لطاعته، وله أن يعمل ببعض ماحكي عن المجاهدين[1] من شدّ الايدي على الاعناق، والضّجعة في القبور،

(١) مثل مانقله قدہ سابقا من الزاهد العابد، الحاج الاشرفي ره و ذكرنا ترجمته رضوان الله عليه هناك فراجع.

وعرض النفس على النّار ، وعدّ كثرة حلم الله عند جناياته العظيمة ، و ذكر حسن صنع الله به مع قبح معاملته معه ، وان يكون كلّ لسان و مناجات لارباب الاحوال أصلح ، واسرع في اجلاب حاله واكثر تأثيراً في رقته : و هيجان احزانه واشواقه اثرعنده ممّا ليس كذلك ، وإن يكون في جميع حالاته بحسن ظنه بعفوالله و حلمه وجميل صفحه ، وكرم عفوه ، و حسن تجاوزه و وتبديله السيّئات باضعافها من الحسنات ، و أن يكون دخوله في مناجاته من كلّ باب انسب واليق بحاله ، وبمافيه من الوقت ، ويكثر من قول يامن اجاب لابغض خلقه ابليس ، يا من قبل السحرة بعدان اتواء معاجزين ، و لرسوله مخاصمين ، ومعاندين اقبلني ، ويقول : يامن قبل السحرة بموسى عليه السلام وهرون عليه السلام ، اقبلني بمحمّد و علي و آلهما الطّاهرين ، و ان ينقلب من حال إلى حال ، ومقال إلى مقال ، تارة يتشبّه بالخائفين ، واخرى بالرّاجين بل يتشبّه بأهل الرّضا و التمكين ، بل و أهل الشّوق و الأنس ، و يتفوّه بمناجاتهم ومقالاتهم ، ولكن عليه أن يستعلج في أن لا يبتلى بكذب صريح (١) ودعوى باطلة ، ويحتال في تصحيح المقال ، ولو بالتوسّع والمجاز ، وأن يدعو الله عند طلب المقامات الرفيعة يا أجود الاجودين ، و يا أقدر الأقدرين ، و إن يستدلّ ببعض استدلالات الأئمة عليهم السلام بقبول الله تعالى .

وأمّا الأيّام المواليد الشّريفة ، مثل مولد رسول الله صلى الله عليه وآله ، و ساير المعصومين ، ويتبعه يوم البعثة الشّريفة ، ويوم غدير خم ، ويوم دحو الارض ، ويوم المباهله فإنّ المؤمن بالله تعالى ، و بالائه العظيمة يعظم عنده هذه

---

(١) مثل اظهار التوكل والرجاء اوالخوف من جنابه عزوجل ، مع عدم تحقق حقائق هذه الخصال في قلبه ، واظهار التوبة والانابة مع عدم الارتداع و الانقلاع عن المعاصي ، وعدم الرجوع اليه تعالى .

الاوقات ، بقدرعظمتهاعندربه ، ويشكرربه بقدرعظمة انعامه في هذه المواقيت مثلا يتفكر في ليلة المولد الشريف فوائد وجود رسول الله صلى الله عليه وآله ، وانه مظهر رحمة الله الواسعة على الخليقة أجمعين ، وان الله تعالى بطفيل وجودهم اوجدنا ، وبهدايتهم هدانا ، ووضع عنا الاصار ، وخفف عنا في التكاليف ، و أكرمنا بما اكرمنا وتقبل شفاعته فينا و أنه عليه السلام تحمل في هدايتنا مالم يتحمل نبي قط عن امته ، ولم يدع علينا بعذاب حتى ساق الامة الى طرق الهداية في المعارف الربانية ، واتى من الحكم وبين من المعارف مالم يظهر من جميع الأنبياء ، و المرسلين .

وبالجملة صبر في تكميل هداية الامة ، و نجاتهم و اوذى حتى قال صلى الله عليه وآله ماأوذى نبي مثل مااوذيت ، حتى قتل أولاده وسبيت بناته وهتك حريمه وذبح اطفاله ، حتى انه ماسمع بأهل بيت نبي بل ولا أحد في العالم ، فعل بهم من القتل والاسر والسلب مثل مافعل بأهلبيت رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومع ذلك صبر ولم يدع على أهل الأرض بعذاب ونكال ، بل دعى ربه و قال اللهم أهد قومي فانهم لايعلمون ، فجزاه الله تعالى عن هذه الامة ما يليق بجميل فعاله ، بل بكرم نواله .

وبالجملة إذا تفكر المؤمن في أيام مواليدهم وخلافتهم ، و عظيم نعم الله تعالى في هذه الاوقات ، يرى ويعقل مايجب عليه من شكر هذه النعمة العظيمة .

و كل ماذكرناه من فوائد وجود رسول الله صلى الله عليه وآله يتلوه في جميع مراتبها بل يعدله فوائد خليفته ، وأخيه أمير المؤمنين عليه السلام الذي اخاه ، وفي الشدائد واساه [1] .

---

(١) رواه الفريقان متواتراً .

وقال من كنت مولاه فهذا علي ﷺ مولاه ، و كذا ساير المعصومين من أولادهما ، فانّ للمؤمن ان يفرح بفرحهم ويصلّي عليهم ، و يحذوحذوهم ويهتدي بهداهم ، ويوالي من والاهم ، ويعادي من عاداهم ، ويشكر الله لاسيّما في مثل هذه الايّام بنعمة وجودهم بقدر القدرة والاستطاعة ، و يعلم انّه لو عمّر أبد الابدين ، ويسجد لشكر هذه النّعمة ما اتى من حقّها عشر عشير معشارها ، وان يظهر آثار الفرح ويكثر من التّحاب مع اوليائهم ، ويتحبب إليهم بما يبلغه مكنته وفطنته من واجب حقوق الموالات ، والاخوّة في الولاية فانّ هذا باب عظيم من السعادة ، وفيه خير كثير ، وورد فيه اخبار متواترة فانّه من أعظم شعب الايمان ، بل في بعض الاخبار إنّ الايمان ليس إلّا الحب والبغض ، ولا بأس بالاشارة لبعض ماورد في فضلها .

روى في الكافي عن أبي جعفر ﷺ قال قال[1] رسول الله ﷺ المتحابّون في الله يوم القيمة على ارض زبرجدة خضراء في ظلّ عرشه عن يمينه و كلتا يديه يمين ، وجوههم اشدّ بياضا ، واضوء من الشمس الطّالعة ، يغبطهم بمنزلتهم كلّ ملك مقرب و كلّ نبيّ مرسل ، يقول الناس من هؤلاء ، يقال هؤلاء المتحابّون في الله ، وورد انّ[2] الحبّ في الله من أوثق عرى الايمان ، وفي رواية قال[3] هل الايمان إلّا الحبّ والبغض ، وورد[4] انّهم يدخلون الجنّة بغير حساب ، وانّ نور اجسادهم ونور وجوههم ، ونور منابرهم يضئ كلّشيء ، وانّهم من اصفياء الله .

---

(١) كما في الكافي عن أبي الجارود عن أبي عبدالله عليه السلام

(٢) كما في روايه سعيد الاعرج عن أبي عبدالله عليه السلام : من اوثق عرى الايمان ان تحب في الله وتبغض في الله الخبر .

(٣) كما في الكافي عن فضيل بن يسار . باب الحب في الله والبغض في الله .

(٤) كما في الكافي في رواية أبي بصير ورواية أبي حمزة الثمالي وغيره .

وورد انّ التحابّ في الله أفضل من الصلوة والصيام والزكوة والحجّ بل الّذي يفهم من أخبار المصافحة [١] انّ ساير الفضايل في جنب التحاب في الله وجودها كالعدم وانّ احد المتصافحين ان كان احبّ لأخيه منه كان هو أحبّ إلى الله من الآخر ، و أقرب عنده ، و لعمري انّ هذا الأمر عظيم ما اعظمه .

وليعلم انّ الغدير من أجلّ الأعياد ، وأعظمها لأنّه كالجزء الأخير للعلة التامّة في النجاة ، والفوز بالدرجات الرفيعة ، وقد روى فضله المخالف والمؤالف ، و عملوا لرواية فضله وتعظيم وقع فيه كتباً مفصلة ، وعلى الشيعي ان يعظّمه حقّ تعظيمه ، ويظهر فيه الفرح والانبساط ، ويتزيّن له ، ويتودّد مع الموالين بأنواع التلطفات بالزيارة ، والمصافحة والمعانقة ، والدعوة والاضافة والهبة والعطاء والمباسطة في الكلام ويكثر حمد الله ويذكر من الحمد ، ماورد [٢] عند لقاء المؤمنين ويصلّي [٣] ما ورد فيه من بعض الصلوات الجليلة و ورد في جزائها مثوبات جزيلة ، ويعلم من الأعمال الواردة فيه ، ما فيه أجر عظيم ، وإن كان جميع ما يصنعه المؤمن في هذا اليوم عظيماً عندالله ، و إن كان حقيراً عند نفسه ، ويزوره عليه السلام [٤] بالزيارة المفصّلة الواردة فيه ، ويهنى رسول الله وامام زمانه ، وخفير يومه بالخصوص ، والأئمّة عليهم السلام بالعموم ، ويناجي مع إمام عصره ببعض فقرات دعاء الندبة ويتحسّر من فقدان نعمة حضوره في مثل

(١) كما في الكافي في رواية ابي خالد القماط ورواية مالك بن اعين الجهني وغيرهما

(٢) وهو قوله : الحمد لله الذى جعلنا من المتمسكين بولاية اميرالمؤمنين والائمة عليهم السلام .

(٣) كالصلوة المروية في الاقبال للسيد الجليل رضي الدين بن طاوس قده .

(٤) كزيارة امين الله وغيرها .

هذا اليوم العظيم ، و يهنّي خواص أميرالمؤمنين عليه السلام ، والملائكة لا سيّما جبرئيل الّذي كان يكثر نصره في المواطن ، ويخدمه فيها ، ويتّبع ما ذكر من شكر هذه الأوقات الشريفة ، شكر سائر الاوقات التي ظهرت فيها من الله المنعم ، بعض النعم الجزيلة الخاصّة العامّة ، فإنّ لكلّ منها مراقبة خاصّة ، و فكراً مخصوصاً به ، مثلا يتفكّر يوم الدحو انّه يوم انعم الله فيه على أهل الأرض ببناء المسكن ، ومواد ّ وجوه الرزق كلّها ، ويقايسه بما إذا فعل به أحد من ملوك الدنيا شيئاً من هذه الوجوه ، وباشره بيده ، كما ورد في ذلك بسط الله الأرض ، ويتفكّر في نفسه انّه كيف يكون موقع هذا اللطف والاحسان عنده من هذا الملك ، فيجاهد في شكر المنعم تعالى ، الّذي لا يحصي نعمائه العادون بقدر الاستطاعة ، ثمّ انّ الّذي دلّ على تعظيم ايّام المواليد الشريفة ، والخلافة الظاهريّة ، والفرج فيها ، انّما يدلّ على تعظيم أيّام وفاتهم عليهم السلام وشهاداتهم ، ومصيباتهم باظهار الحزن والجزع ، واقلّه ان يكون أيّام مصيباتهم عند المؤمن ، اعزّ من أيّام مصيبته ومصيبة كلّ من يعزّ عليه ، ليكون معهم في درجتهم كما ورد بذلك (١) الاخبار لا سيّما أيّام العاشورا فانّه يوم عظيم عند الله وأهل ملكوت السموات والروحانيّين :

در بارگاه قدس که جای ملال نیست

سرهای قدسیان همه بر زانوی غمست

و عظمت مصيبتك في السموات على جميع أهل السموات ، قد ورد في بعض

---

(١) كما هو مذكور في كتب المقاتل ، كرواية شبيب وغيرها ، ومناجات موسى ابن عمران .

وقوله : يا رب لم فضلت امة محمد ص على ساير الامم فقال الله تعالى : فضلتهم بعشر خصال الى ان قال : والعاشورا قال موسى : و ما العاشورا ؟ قال : البكاء والتباكي على سبط محمد والمرثية والعزاء . الخبر .

الأخبار ما ينبؤ عن خطر هذا اليوم العظيم ، بما يبهر عنه العقول ، و يعلم من الروايات ان ذلك لم يكن مخصوصاً بما بعد الشهادة ، بل كان يعظم هذا اليوم في الأمم السالفة ، فان الله تعالى ذكر مصيبة هذا الامام المظلوم على الأنبياء فبكوا وجزعوا من هذه المصيبة العظمى ، وشاركوا بذلك رسول الله في عزائه ونالوا بذلك الأجر العظيم عند الله ، ثم ان اللازم على المؤمن في هذا الأمر ان يسلم للروايات الواردة في تعظيمه وجلالة أمره ، والاجور العظيمة المتعلقة به وإن أراد ان يصدقه من جميع الوجوه بالبرهان ، ليرفع استبعاد عقله بالحجة يتفكر فيما يحكى عن الشيخ العارف المحقق الكامل الشيخ حسين النجفي ، حين سأله سيد العلماء الربانيين سليل آل طه ويس بحر العلوم قدس سره العزيز عن حكمة عظمة هذا الأمر في هذه الدرجة وأجابه ره ، ان الحسين مع انه كان عبداً مملوكاً لله ، وممكنا بذل في سبيل محبة الله كله من المال ، والأهل والأولاد ، والعرض حتى جسده الشريف بعد الشهادة ، ورضى بشهادة الأهل أجمعين ، حتى عبدالله الرضيع ، وصبر فيما أصابه على بدنه الشريف من جميع وجوه المصيبات المتصورة ، وبالجملة بذل كله لله فالله تعالى أولى بأن يبذل له كله ، ولنعم ما أجاب ، فان الانسان إذا تفكر في وقعة كربلا وخصوص شهادته ، يجدها أمراً عظيماً ، مثلا الشهيد والمقتول في العالم كثير ولكن المقتولين والشهداء يقتل كل منهم بقتلة واحدة ، مثل الذبح والنحر ، والعطش والهم والحزن ، والجوع والصبر ، وهو قتل بجميع ما يقتل به جميع المقتولين ، وأصابه من العطش ما لو قال قائل : ان عطشه لو قسم لأهل العالم لماتوا لم يكن لأحد نفيه ، فان في شدة عطشه اليوم تعبيرات وبيانات من الله في الأحاديث القدسية ، ومن نفسه القادسة لا يقدر العقل قدرها ، وإن شئت تصديق ذلك تفكر في عبارة الحديث القدسي ، صغيرهم يميته العطش و كبيرهم

جلده منكمش ، وتعقّل عطشاً يصير مؤثراً في الجلد بالانكماش ، ثمّ تدبّر في قوله : يحول العطش بينه و بين السماء كالدّخان ، ثمّ تفكّر في قوله : عليه السلام : اسقوني شربة من الماء ، وقد تفتّت كبدى من الظمأ ، واويلا (ترجمة الفتت ريزه ريزه شدن است) اي صار كبدي قطعاً صغارا ، و كيف يكون الكبد قطعاً صغاراً من العطش ، قبل أن ينضج وحتّى لا يبقى فيه مع الرطوبة شيء ، وييبس بحيث يتقطّع من اليبس ، فسبحان الله العظيم من أمر عظيم ، ثمّ انّ من قتل أهله وولده كثير ، ولكن اين من له أهل نظير اهله ، و ولد نظير ولده فانّ ولده العزيز كان اشبه الناس خلقاً ، وخُلقاً ومنطقاً برسول الله وانّ ذلك امر عظيم[1] يتلو درجة الامام ، أو يقارنه ويساويه ، و هكذا من اسر اهله كثير : ولكن اين من اسر له مثل الحجّة الامام زين العابدين عليه السلام وزينب ، وسكينة ، وأمّ كلثوم ، ومن سمع جهد الاسر في أحد ، مثل ماسمع في أهله ، وأيضاً من رفع رأسه بالقناة كثير ، ولكن من سمع رأساً فعل به من الشدّة والظلم ، مافعل برأس ابن رسول الله ، وبالجملة إذا تفكّر العاقل في أمره عليه السلام ، يجده خارقاً للعادات في تحمّل المصيبات ، لذلك عجب من صبره ملائكة السموات ، فانّ الأبدان ولو فرضت اقويها لا تصبر بما أصاب بدنه الشريف ، والقلوب لا تصبر بما أصاب قلبه العزيز ، بمعنى انّ البدن والقلب يموت ، ويهلك من بعضما أصابه ، ويستريح بالموت ولكنّه بقى وصبر بامور عظيمة كلّ واحد منها من اسباب القتل فكأنّه قتل سبعين قتلة أو أزيد و بالجملة لا يقاس حكم العاشورا بغيره فعلى الموالى ان يكون حاله في هذه الأيّام بحيث لايقاس بشيء من أيّام مصيباته ، ويقتدى في ذلك بأهله ، ويتشبّه بهم

---

(١) فان الشباهة فى الخلق دليل على الشباهة فى الخلق « بفتح الخاء » .

أماسمعت ما حكى من أحوال بعض[١] الهاشميين إلى خمس سنين من شهادته عليه السلام؟ و أوما سمعت مصيبة زوجته الرباب[٢] ؟ و اوما سمعت نوح[٣] الإمام السجّاد عليه السلام أربعين سنة ؟ و إن لم يقدر على ذلك يتأسّي لا محالة ببعض الصغار الّذين كانوا في زماننا من اهلنا ، وقد رأيت منهم من كان يترك اللّذّات في تمام أيّام العاشورا ، ولا يأكل إلّا خبزاً خاليا ، بل رأيت من يستنكف من تقبيل أخيه الصغير ، مع شدّة محبّته له ، وإن كنت أضعف من ذلك أيضاً فلا محالة اجعل التاسوع و العاشور أيّام مصيبتك ، تترك فيه اللّذّة ، وتشارك لا محالة فيهما إمام زمانك ، فانّه روحي وأرواح العالمين فداه ، لا ينسى مصيبة جدّه في شيء من الأيّام ، بل الذي دلّ عليه بعض الكلمات انّه يندب على جدّه في كلّ صباح ومساء .

ومن الثاني[٤] أوّل الشهر ، وآخره ، وخميسه الاخر ، فأمّا الأوّل فعلى العبد المراقب أن يكون دخوله في الشهر ، كورود منزل من منازل السير إلى الله ، فله ان يذكر الله عند رؤية الهلال بماورد ، ويدعوه بجميع السعادات

---

(١) رواه المحدث القمي ره في نفس المهموم عن الصادق عليه السلام انه قال : ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت ، ولا رؤي في دارها دخان خمس حجج حتى قتل عبيدالله بن زياد لعنه الله .

(٢) بنت إمرء القيس وهي ام سكينة حملت فيمن حمل الى الشام ثم عادت الى المدينة فخطبها الاشراف من قريش، فقالت لهم ما كنت لاتخذ حمواً بعد رسول الله ص صلى الله عليه وآله ، و بقيت سنته لم يظلها سقف بيت ، حتى بليت و ماتت كمداً ولها في مجلس ابن زياد قصة تحرق القلوب والاكباد .

(٣) كما روى السيد ره عن الصادق عليه السلام : أن زين العابدين عليه السلام بكى على أبيه أربعين سنة صائماً نهاره قائماً ليله ، إلى آخر ما روى في ذلك طوينا عن ذكره اختصاراً .

(٤) وهو الذي يقع في كل شهر مرة .

المتوقّعة في هذا الشهر، لا سيّما السعادات المختصّة به ، وان يعيذ امام زمانه روحي له الفداء ونفسه ، وجميع من يعزّ عليه ، وإخوانه المؤمنين ، و جميع نعم ربّه في هذا الشهر بالله من جميع الشرور ، بل ويتصدّق عنه عليه السلام ، و عن جميع من ذكر ، و أمّا آخره ، والخميس الآخر منه ، فقد ورد انّه يعرض فيهما عمل الشهر على ربّه ، فله في هذين اليومين ان يحاسب أعماله في هذا الشهر اجمالا ، ويعالج ببعض المعالجات الدينيّة من التوسّلات ، والاستشفاعات ويكثر من التضرّع والابتهال ، والتوسّل والسؤال ، مع خفير يومه من ساداته في أن يستصلح أعماله ، و حاله مع الله ، ويدعوالله من حقّه بكرم عفوه ، و تبديله السيّئات بالحسنات ، و يدعو بما انشائه السيّد المراقب من الدعاء لذلك في كتاب محاسبة النفس ، لاواخر النهار من اليوم ، لاسيّما آخر الشهر بما يرجى معه ان يكون كفّارة لما صدر منه في الشهر كلّه ، ولا يترك ماورد(1) في كلّ يوم من قوله يا من ختم النبوّة بمحمّد صلى الله عليه وآله ، اختم لي في يومي هذا بخير ، وشهري بخير ، وسنتي بخير ، وعمري بخير .

ثمّ انّه من أهمّ ما يلزم العاقل عند محاسبة نفسه ، ان يتفكّر في خجل ما يعرضه عند الحساب إذا كوشف عن قبايح اعماله وسوء معاملته مع ربّه فانّه أمر عظيم لمن كان له القلب .

وقد ورد في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام : لو لم يكن للحساب مهولة إلّا حياء العرض على الله تعالى ، وفضيحة هتك الستر على المخفيّات ، لحقّ للمرء أن لا يهبط من رؤس الجبال ، ولا يأوى إلى عمران ، ولا يأكل ، ولا يشرب ، و لا ينام إلّا عن اضطرار متّصل بالتلف ، ومثل ذلك يفعل من

---

(1) وهوالذى يقع فى كل اسبوع مرة .

يرى القيمة بأهوالها وشدايدها قائمة في كلّ نفس ، و يعاين بالقلب الوقوف بين يدى الجبّار ، و حينئذ يأخذ نفسه بالمحاسبة كأنّه إلى عرصاتها مدعوّ ، و في غمراتها مسؤل ، قال الله : و إن كان مثقال حبّة من خردل اتينا بها ، و كفى بنا حاسبين - انتهى.

أقول : ويناسب المقام شرح حقيقة المحاسبة ، و كيفيّتها ولكن طوينا ذكرها هيهنا لعلنا نذكره فيما سيأتي .

ومن الثالث يوم الجمعة ومن أراد ان يعرف عظمتها ، فليراجع الاخبار الواردة في فضايلها ، وأعمالها ، ووظايفها وليس مقصودنا ذلك ، و لكن لنا في ذلك كلمة ، وهي انّ الانسان كيف لا يخلّ من خيرات العاجل والسعادات الدنيويّة ، فانّها كلّما ازدادت ازداد شوقه وحرصه على الاستيزاد منها ، و يقول هل من مزيد ، ولكن يخلّ من خيراته الآجلة ، والسعادات الاخرويّة و يكسل عن تحصيل كثيرها بعمل يسير ، ولا أرى إلّا من اجتماع امور شتّى ، عمدتها ضعف الايمان بالآخرة ، و بعدها عدم الاطميتان بقبول أعماله و بقائها سالمة عن الآفات ، حتّى يصل وقت بهجتها و لذّتها و بعده الف القلب و النفس بذكر هذه الدنيا و لذاتها و عشقها بشهواتها و زينتها ، و هذا العشق منع العاقل من التعقّل في عواقب الامور ، فاجتماع هذه الأسباب صار سبباً لكسل المؤمن عن الاجتهاد في تحصيل أنوار الجمعة ، و سعاداتها العالية ببعض الأعمال الجزئيّة ، و إلّافكيف يمكن ان يعتقد الانسان مثلا انّ الله يدعوه في ليالى الجمعة من أول اللّيل إلى آخرها ، و يقول هل من صاحب حاجة يسئلني ، فأقضي حاجته ، هل من مستغفر يستغفرلي فاغفر له ذنوبه ؟ و يقول ، هل من ، هل من إلى

الصبح ، ويدعوه إلى الخلوة به ، ومناجاته ، والتأنّس به ، ووعده ان قال العبد يا ربّ يا ربّ ان يقول له : لبّيك عبدي ، هل يعتقد الإنسان ذلك كلّه ، ثمّ ينام إلى الصبح ، ولا يقوم وردا من ليله ليحصل فيه شيئا من هذه المراتب الجليلة ، و لعمرى انّ ذا لا يكون إلّا من الجهات المذكورة ، و قد ورد في الحديث(١) القدسى يا بن عمران كذب من زعم انّه يحبّني ، فإذا جنّه الليل نام عنّي أليس كلّ محبّ يحبّ خلوة حبيبه ،

ثمّ انّ الجمعة ، و إن كان جميع آنائها شريفة عزيزة ذات أنوار بهيّة ولكن مع ذلك فيها ساعة اشرف من جميع ساعاتها ، يقبل فيها الدعاء و هى على ما يعلم من الأخبار ، ووصل إليّ من بعض الأكابر الموثوق بهم في امثال المقام .

آخر ساعاتها الّتي ورد فيها دعاء السّمات . ثمّ إنّي سألت بعض مشايخي (٢) الأجلّة الّذي لم أر مثله حكيماً عارفاً ، و معلّماً للخير حاذقاً ، وطبيباً كاملاً ، أيّ عمل من اعمال الجوارح جرّبتم اثره في تأثّر القلب ؟ قال : سجدة طويلة في كلّ يوم يديمها ، ويطيلها جدّا ساعة ، أوثلاثة ارباعها يقول فيها لاإله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين ، شاهداً نفسه مسجوناً في سجن الطبيعة ، ومقيّدة بقيود الاخلاق الرذيلة ، ومنزّهاً لله تعالى بأنّك لم تفعله بي ظلماً ، وأنا ظلمت نفسي وأوقعتها في هذه المهلكة العظيمة ،

وقرائة القدر في ليالي الجمع ، وعصرها مائة مرّة .

قال قدّس سرّه : ما وجدت شيئاً من الأعمال المستحبّة يؤثّر تأثير

---

(١) كما في الجواهر السنية لصاحب الوسائل ره عن مفضل بن عمر عن الصادق ع ونقل المؤلف بعض فقراته .

(٢) وهو المولى آخوند ملا حسينقلى قده قدمنا ترجمته فراجع .

هذه الثلاثة ، وقد و رد في الأخبار ما حاصله انّه ينزل يوم الجمعة مائة نفحة أو رحمة ، تسع وتسعين منها لمن قرئها مائة مرّة في عصرها ، وله نصيب في الواحدة أيضاً .

ومن الرابع [١] ساعات الصلواة الخمس في القسمة السادسة من النصف الاخير من اللّيل ، وقد ورد فيها انّه أفضل ساعات اللّيل للدعاء ، وهو مجرّب فعلى العبد المراقب ان يتعقّل معنى وقت الصلوة ، وإذا عقل فلا محالة يسعى في أدائها في وقتها ، فقد ورد [٢] في الأخبار الكثيرة الحثّ الأكيد إلى أوّل الوقت ، وفي بعضها انّ أوّله رضوان وآخره غفران ،

وورد انّ المضيع للعصر في الجنّة موتور لامال له ، يكون ضيفاً لاهله و باصطلاحنا (كلاش الجنّة) وقيل : وما المضيع ؟ قال : يدعها حتّى تصفر الشمس أو يغيبه .

و ورد عن رسول الله ﷺ انّه قال : لا ينال شفاعتي غداً من أخّر الصلوة المفروضة بعد وقتها .

وفي الصحيحين ليس لأحد ان يجعل آخر الوقتين وقتاً ، إلّا من عذر و علّة .

و ورد فيه الصلاة المفروضات في أوّل وقتها إذا اقيم حدودها ، أطيب ريحاً من قضيب الاس ، حين يؤخذ من شجرته في طيبه ، وريحه ، فعليكم بالوقت الاوّل ، وفيه فضل الوقت الأوّل على الاخير خير للرجل من ولده ، وماله واختلف الأقوال في كون آخر الوقت وقتاً للمضطر ، أو المختار ، فالأحوط

---

(١) وهو الذى يقع فى كل يوم .

(٢) وقد ذكر ذلك كله صاحب الوسائل قده فى كتاب الصلوة من الوسائل فى مقدمة كتاب الصلوة فراجع .

ان لم يكن أقوى عدم جواز تأخيرها إلى آخر الأوقات من غير عذر و علّة .
وإن كان العذر في ذلك يشتمل بعض الاعذار الهيّنة ، فالعذر الأدنى فيه كاف
كما يستفاد من بعض الأخبار والظاهر انّ آخر وقت الظهر الّذي حثّنا
في عدم التأخير عنه ، هو صيرورة الفيئ مثل الشاخص ، و آخر وقت العصر
صيرورته مثليه ، وأمّا القدم والقدمان ، فهما من وقت فضيلة الظهر و العصر
أيضاً ، كما انّ الزّوال ، و صيرورة الفيئ مثل الشّاخص أيضاً من وقت
فضيلتهما .

ثمّ انّ تقرب آخر فضيلة الظهر الّذي هو صيرورة الفيئ ، مثل الشاخص
و هي تعبّر عنها بالقامة و سبعة اقدام في بلاد يكون عرضها اثنين و ثلاثين
درجة ،كاصبهان ، وما قاربها في العرض ، يمضي ثلاث ساعات فثمان وعشرين
دقيقة في أوّل الحمل .

وأوّل وقت المغرب الغروب الشرعي ، وآخره ذهاب الشفق المغربي ،
وأوّل وقت العشاء الفراغ من المغرب إلى ثلث اللّيل ، والأحوط أو الأولى
تأخير العشاء إلى ذهاب الحمرة المغربيّة ، وأوّل الصبح طلوع الفجر الثاني
إلى اسفار الصبح .

وأمّا وقت النوافل فالاقوى انّ نوافل الظهرين يجوز من أوّل النهار
إلى آخره ، و أمّا وقت فضيلتها فللظّهر أوّله إلى أن يصير الفيئ ذراعاً ،
وللعصر إلى أن يصير ذراعين مقدّما لها على الفريضة وللمغرب بعده إلى آخر
وقت الفضيلة ، وللعشاء بعدها إلى الانتصاف ، و أوّل وقت صلوة اللّيل من
الانتصاف إلى الفجر الثاني الغير المضطر ، و يجوز تقديمها على الانتصاف
للضرورة ، ولكن قضائها أفضل ، وهكذا يجوز بعد الفجر لمن لا يتشاده لبعض
الصحاح ، وفاقاً للبعض إذا صلّى أربعاً قبل الفجر ، فله اتمامها بعده ، وفاقاً

للمشهور ، و وقت نافلة الفجر الفراغ من صلوة اللّيل للمختار إلى طلوع الحمرة ، والأولى تقديمها على الفريضة ، بل يكره تأخيرها عنها ووقت صلوة الكسوفين من ابتدائه إلى انجلائه ، وللزلزلة قبل تمام العمر ، وقيل غير ذالك والاحوط عدم التأخير اختياراً عن الفور العرفي ، وهكذا لغيرها من الآيات و أمّا صلوة العيدين فالأحوط انّ أوّلها ارتفاع الشّمس ، و آخرها الزّوال .

فصل في المكان أقول ومن الامكنة أيضاً شريف وغير شريف ، وسعيد ونحس ، وأمره في ذلك مثل الزمان ولهذه الأُمّة المرحومة أن يشكروا الله تعالى ، و يثنوا على رسول الله ﷺ في تسهيل امر المكان ، حيث جعل لهم الأرض كلّها مسجداً بمعنى جواز الصلوة كلّها فيها ، ومعذلك فقد ورد الحث الأكيد في تعاهد المساجد ، و عدم التخلّف في الصلواة المفروضات عنها ، لا سيّما لجيرانها ، حتّى ورد انّه لا صلوة لجار المسجد إلّا في المسجد ، فعلى العبد المراقب ان يعقل معنى المسجد و حق أدبه و تعظيمه و قبح التخلف عن حضوره و ان لله في جعل المساجد والاذن لحضورها شكراً عظيماً على العباد ، سوى ما جعل لهم من المثوبات بحضور ها ، و العبادة فيها ، فانّ المسجد بيت الله ، و المقصود من كون الكعبة و المسجد بيتاً لله ، مع أنّ نسبة الارض كلّها إلى الله سواء ، ليس مكان أقرب إليه من الآخر ، انّ الله يعامل معها معاملة البيت أى جعله من المكان في مكانة البيت ، بمعنى انّه جعلها محلاً للاقاته ، و مجلس انسه ، و زيارته أى يعامل فيها مع عبّاده وزوّاره معاملة الحضور ، والصحبة ، وإذا اتّخذ ربّنا كلّ مكان أردناه باختيارنا أى ننسبه إليه و نتّخذه محلاً للاقاته ، و حضوره و زيارته مسجداً ، اوعاملنا فيه ما أردناه يكون معنى ذلك انّه جعل اختيار مجلس

الملاقات، والحضور إلينا، و هذا من اجل المكارم ، ثم ان الّذي يفهم من معاملات الله مع عبيده في جميع الازمان والحالات، انّه تعالى يعاملهم، أوّلا بحلم و كرم و احسان، و فضل وانعام، ورضوان بما هو خارج عن حوصلة العقول، و ينعمهم قبل وجودهم، و بعد وجودهم بنعم لا تحصى، و يحلم عند معصيتهم، ويغفر لهم ذنوبهم وخطاياهم، ولا يغيّر عليهم نعمه، ويتمشّى معهم مشية الربّ الودود العطوف الكريم الجواد الرحيم الرؤف، ويدعوهم كلّما اعرضوا عنه، و يقبل إليهم كلّما ادبروا في جميع حالاتهم إلى أن يتجاوزوا في العناد والجحود، بحيث يجب في حكم الحكمة الالهيّة أخذهم، فعند ذلك يظهر سلطان الجلال والقهر، ولا يقوم له شيء

لطف حق با تو مداراها كند * چونكه از حد بگذرد رسوا كند

فإذاً يطالبهم بحكم العدل، و يفضحهم بقبيح فعالهم، و ينتقم منهم بأشدّ الانتقام مثلا، يدعو عباده في سمع عقولهم بلسان حال السموات والارضين وما فيهنّ وما بينهنّ من جميع الموجودات. و بلسان حال أنفسهم من عقلهم وروحهم ونفسهم و قلبهم و خيالهم، و حواسهم و ساير قواهم، و اعضائهم و جوارحهم كلّها، و بلسان الأنبياء و الاوصياء و العلماء، والحوادث الكونيّة ووجوه الحكمة المودعة في نظم العالم، وغيرها بالاقرار بتوحيده، و الايمان بوجوده، وقدرته و عنايته، ويحلم عنهم إذا استكبروا عن قبول هذه كلّها، حتّى يؤكّدها بانحاء الاعجاز بوجوه معجزات الأنبياء خلال هذه المدّة، برأفة ورحمة اشد وأكرم من رأفة الأمّ الرؤف والأب العطوف حتّى ينقضى عناده و جحوده للحقّ بحكم العقل والحسّ والعيان، فعند ذلك يأخذهم بما لا يقوم له السّموات و الأرضون، ويرسل عليهم عذاباً من ريح صرصر عاتية، أو صيحة أو نار أو ماء يهلكهم عن آخرهم، ويسوقهم بهذه الجنود

إلى عذاب الآخرة ، نار جهنّم إلى نار عذابها شديد. وحرّها صديد ، ومقامعها حديد ، و قعرها بعيد نعوذ بالله منها ، ومما يوقفنا فيها ، بوجود اوليائه السابقين واحبائه المقرّبين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وبالجملة كما أنّ الله هو الرحمن الرحيم ، ودود عطوف كريم كذلك هو شديد العقاب ، ذي البطش الشديد فلا تغرر بربّك الكريم ، وحسن صنيعه بك حتّى تتجاوز عن الحدّ ولا يجعل الشيطان الغرور كرم هذا الربّ الكريم، سبب غرورك حتّى يهويك في مكان سحيق ، فانّ من علائم الاستدراج ان يزيد الكرم والحلم في الجرئة على المعصية ، وهوان عظمة الله في نظر العبد ، وتفكّر في حسن صنع الله معك في دعوتك إلى بيوته ، و تكريمك بذلك بحسن الطلب ، والاصرار والتوفيق ، والوعد بالمثوبات والكرامات، وقبح صنيعك في الغفلة عن هذه المواهب الجزيلة والإعراض عن هذه الدعوة الكريمة الجميلة فاحذر من أن يكون حلمه عنك في اعراضك عنه استدراجاً ، وطالب نفسك ان يحمد هذه النعمة العظيمة ، و يشكرها ، و يستقبلها بحسن القبول ، فإنّ من علائم عدم الاستدراج [1] التوفيق بحمد النعمة ، كما ورد بذلك الرواية ، ثمّ عليك عند قصد المساجد و احرام حضور بيت الله ان تعرف أدب الحضور بقدر وسعك ، فانّ المعروف بقدر المعرفة ، والأدب سبب للقرب ، ومن احسن ادب حضور الرب الحقّ قربه والقرب سبب القبول ، بل هو نفس القبول وغاية القبول ونهاية كلّ مأمول ، ولكن مقياسك في معرفة حقّ أدب حضور هذا الملك العظيم ميزان ادب حضور سلاطين الدنيا ، فحقّ أدب حضور بساطه مابين نسبة العبد والربّ ، فكما أنّ

---

(١) كما في الكافي عن سماعة بن مهران قال ، سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل : سنستدرجهم من حيث لا يعلمون .

قال : هو العبد يذنب الذنب فيملي له ، ويجدد له عندها النعم فتلهيه عن الاستغفار من الذنوب الخبر وهكذا اورد في الكافي اربع روايات و دلالتها واضحة .

نسبة عظمة هؤلاء السلاطين مع عظمة الله لا يقدر بقدر ، فكذلك نسبة حقّ أدب حضوره مع حقّ ادب حضورهم .

وإذا تمهّد ذلك تعرف انّك لا تقدر على حقّ أدب حضوره ، ولا أحد غيرك ، فليكن هذا على ذكر منك .

ثمّ انظر معاملتك وأدبك في حضوره ، وانّك على تقصيرك ، وقصورك واستحيي عن قبح فعالك ، فليكن عليك رهبة الخاشعين، وذلّ اعتراف الخاطئين، حتّى يلجأك ذلك على الالتجاء بباب كرمه في طلب توفيق من ادب الحضور ، ويقول لسان حالك : « أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء » فينفتح بذلك أبواب القبول ، ويعرفك كاشف السوء بإجابة المأمول ، واعمل بالصدق بما حكى في مصباح الشريعة في ذلك عن الامام الصادق عليه السلام ، حيث قال وإذا بلغت باب المسجد ، فاعلم انّك قصدت ملكاً عظيماً ، لا يطاء بساطه إلّا المطهّرون ولا يؤذن لمجالسته إلّا الصدّيقون ، وهب القدوم إلى بساط خدمة هيبة الملك فانّك على خطر عظيم ان غفلت ، واعلم انّه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك ، فإن عطف عليك بفضله ورحمته قبل منك يسير الطاعة ، و أجزل لك عليها ثواباً كثيراً ، وإن طالبك باستحقاقه الصدق ، والاخلاص عدلاً بك ، حجبك وردّ طاعتك وان كثرت ، وهو فعّال لما يريد ، واعترف بعجزك وتقصيرك ، وفقرك بين يديه ، فانّك قد توجّهت للعبادة ، والمؤانسة به ، واعرض اسرارك عليه ، ولتعلم انّه لا يخفى عليه اسرار الخلايق أجمعين ، و علانيتهم ، و كن كأفقر عباده بين يديه ، واخل قلبك عن كلّ شاغل يحجبك عن ربّك ، فانّه لا يقبل إلّا الأطهر و الأخلص ، فانظر من أيّ ديوان يخرج اسمك ، فإن ذقت حلاوة مناجاته ، و لذيذ مخاطباته و شربت كأس رحمته و كراماته ، من حسن اقباله عليك ، واجابته ، فقد صلحت لخدمته ، فادخل

فلك الاذن والامان ، و إلّا فقف وقوف مضطر قد انقطع عنه الحيل ، و قصر عنه العمل، وقضى الأجل ، وإذا علم من قلبك صدق الالتجاء إليه ، نظر إليك بعين الرأفة والرحمة ، والعطف ، ووفقك لما يحبّ ويرضى ، فانّه كريم يحبّ الكرامة بعباده المضطرّين إليه المحدقين على بابه لطلب مرضاته ، قال الله تعالى : «أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء» .

هذا وحقّ الله انّه كلام صدر من عين صافية من عيون الحكم الربّانية، جامع الاصول عالم المراقبة ، و إذا عرف عبد مقام نكات تعبيراته ، و لطايف اشاراته ، يتعلّم منه فروع أكثر ابواب المراقبات في ساير العبادات، والمعاملات وإذا وفق عبد للعمل بما فيه انفتح له من كلّ باب من أبواب معارفه ألف باب والله الموفّق للصواب..

أقول : إذا سمعت هذه المراقبة لباب المسجد ، و علمت أدب حضور العبادات ، ووظايف العبوديّة في الطاعات ، لا يعظم عليك بعد ذلك ما ورد في الاخبار والروايات من فضل جزاء الأعمال فهذه الفضايل إنّما هي لهؤلاء العاملين ، لا مثلي و مثلك من الغافلين ، ثمّ انّك إن كسلت عن اتيان هذه الخدمة ، والتأدّب بهذا الأدب ، فلك ان لا تتركه كلّ الترك و تعمل منه بقدر الميسور ، ولا تنسى حقّ ما عليك في عملك ، ويكون عليك خجل التقصير ، ولتقف لا محالة عند باب المسجد ، وتقرء آية أمّن يجيب المضطرّ ، وتلتجيء اجمالا في اصلاح حال مسجدك ، وإن واظبت على ذلك أيضاً فانّك تجد فيه خيراً كثيراً .

فصل في آدابه الظاهريّة اهمّها تعميرها بالعبادة ،

ومنها قراءة (١) بسم الله الّذي خلقني فهو يهدين والّذي هو يطعمني

---

(١) رواه في كتاب مفتاح الفلاح شيخنا البهائي قدهمن عدة الداعي مع خواص ←

و يسقين وإذا مرضت فهو يشفين ، والّذي يميتني ثمّ يحيين ، و الّذى اطمع ان يغفرخطيئتي يوم الدين، ربّ هب لي حكماً والحقني بالصالحين ، واجعل لي لسان صدق في الآخرين ، واجعلني من ورثة جنّة النعيم ، واغفر لأبي عند المشي إليها .

وقد ورد لذلك فضل عظيم ، وأجر جسيم .

و منها [١] تعاهد النعل عند بابه ، والتسمية والدعاء عند الدخول والخروج يقول عند الدخول والخروج ، بعد التسمية : اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد ، اللّهمّ اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب فضلك ،

وعند الخروج [٢] بعد صلوة المكتوبة .

يقف على الباب ، و يقول : اللّهمّ دعوتني فاجبت دعوتك ، و صليت مكتوبتك ، وانتشرت في أرضك ، كما أمرتني ، فاسئلك من فضلك العمل بطاعتك ، واجتناب سخطك ، والكفاف من الرزق برحمتك ، وتقديم الرّجل اليمنى عند الدخول واليسرى عند الخروج ، وكذا كلّ مشهد شريف عكس المكان الخسيس ، وصلوة التحيّة بركعتين ، و يستحبّ كنسها و تنويرها بالاسراج ، ويكره تشريفها وتسقيفها كالعريش ، وزخرفها ، و تصويرها ، و قيل بتحريمها ، والاحوط الاجتناب ، والمحاريب وقيّدت الداخلة ، وفسّرت

لكل آية من الايات المذكورة فراجع واشار اليها المؤلف قده بقوله : و قد ورد لذلك فضل عظيم الخ .

(١) كما في الوسائل عن سماعة بعد الصلوة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك واذا خرجت فقل مثل ذلك .

(٢) كما في الوسائل عن أبي حفص العطار . ثم ان المكروهات والمستحبات التي ذكرها المؤلف كلها مذكورة في الوسائل وقد عقد لكل منها باباً .

وكذلك مذكورة في الكتب الفقهية ، فلا حاجة لنقلها وتطويل الكلام فيها .

تارة بالداخلة في المسجد ، واخرى في الحايط ، ولا نصّ على القيد من أصله ، وتطويل المنارة ، وجعلها في الوسط ، قيل بتحريم ذلك ، وتعليقها ، واخراج الخصامها ، والاحوط فيه الاجتناب ، فان فعل فيردّها إليه اوإلى مسجد آخر وانشاد الشّعر الباطل ، والبيع والشّراء ، و تمكين المجانين والصّبيان ، والاحوط في جميع ما ذكر الاجتناب ، و اقامة الحدود و رفع الصوت المتجاوز عن المعتاد ، و انشاد الضّالّة ، وحديث الدّنيا ، وهو كلّ مالا ينفع عند الموت ، وما بعده ، وعمل الصّنايع ، و كشف العورة ـ روى عن النّبيّ أن كشف السّرة والفخذ و الركبة في المسجد من العورة ، والاتّكاء والنوم في المسجدين ، بل جميع المساجد ، ولكن يدفعه الحسن ، والدّخول مع رايحة الثّوم والبصل ، والكراث ، و كلّما يؤذى ولو قليلاً ، والتبصّق وهو فيه خطيئة ، و كفّارته دفنه ، و كذا التنخّم وينزوى[1] به المسجد ، والحق بها قتل القمل ، وجعلها طريقاً ، ورطانة الاعاجم اى التّكلّم بما لايفهمه الجمهور والوضوء من البول ، والغايط ، وقيل بتحريمه للرّواية ، و تحريم ادخال النّجاسة فيه لظاهر بعضها ، و خصّص بالمتعدية منها ، وهو الاصحّ .

خاتمة ورد في الأخبار الكثيرة عن النّبيّ ﷺ واله الحث الا كيد في اتيان المساجد ، بل في بعضها استحباب اختيار الصّلوة منفرداً في المسجد على الجماعه في غيره ، هذا للرّجال ، واما النّساء

روى أنّ مسجد المرئة بيتها ، و يستحبّ للمؤمن أن يتّخذ في بيته مسجداً لعبادته ، ويعامل معه معاملة المسجد .

---

(١) و ينزوى به المسجد إلخ كما فى الرواية عن محمد بن الحسين الرضى ره فى المجازات النبويه ، عن النبى صلى الله عليه و آله قال : ان المسجد لينزوى من النخامة كما تنزوى الجلدة فى النار الخ رواه فى الوسائل .

الباب الثانى

في الصلوة وفيه فصول

الأوّل في معنى الصلوة ،

اعلم إنّ للصلوة أربعة آلاف حدّ ، وانّه تنهى عن الفحشاء والمنكر وان ما لم تنه عن الفحشاء منها عدمها خير من وجودها ،

أمّا المعنى فيمكن أن يكون مأخوذاً من صلى بالفتح ، من صليت العود على النار ، ومن المصلى ، ومن الوصلة ، أو بمعنى الزيارة ، كما ورد عن عليّ عليه السلام في تفسير قد قامت الصلوة ، أى حان وقت الزيارة ، أو الرحمة ، و كلّ هذه المعاني لها مناسبة مع هذا المعجون الالهى .

وأمّا حدودها :

فعن العيون والعلل باسناده عن زكريا بن آدم ، عن الرّضا عليه السلام قال : سمعته يقول : للصلوة أربعة آلاف باب .

و عن المناقب لابن شهر آشوب ، عن حمّاد بن عيسى ، عن الصّادق عليه السّلام قال : للصّلوة أربعة آلاف حدود ، و في رواية أربعة آلاف باب .

أقول جمع الشهيد من واجباتها ألفاً وصنّف فيه الألفيّة ، ومن مندوباتها ثلثة آلاف ، وصنّف فيه النفليّة .

أقول : يمكن أن يكون المراد من الأبواب ابواب السماء الّتي تعرج منها الصلوة ، وروح المتصّل ، أو أبواب الفضل ، والفيض ، ومن الحدود مسائلها المتعلّقة بأجزائها ، و شرايطها في الصحّة ، والكمال ، و يكون المراد منها

أسباب ربطها المعنوي إلى جناب قدسه تعالى، أو ربطه عند الصلوة.

وأمّا نهيها عن الفحشاء والمنكر، يكفي في الدلالة عليها قوله تعالى إنّ الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

وأمّا ما لم تنه منها عن الفحشاء،

فعن النبي صلى الله عليه وآله إنّه[1] قال: من لم تنهه الصلوة عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلّا بعداً.

وعنه صلى الله عليه وآله لاصلوة لمن لم يطع الصلوة، وإطاعة الصلوة ان تنهى عن الفحشاء والمنكر.

و روي انّ من الأنصار من كان يصلّي الصلوة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، و يرتكب الفواحش يوصف ذلك له صلى الله عليه وآله، فقال صلى الله عليه وآله: إنّ صلوته تنهاه يوماً ما، فلم يلبث ان تاب.

وعن أبي عبدالله عليه السلام [2] قال: من أحبّ ان يعلم انّ صلوته قُبلت أم لم تُقبل، فلينظر هل منعته صلوته عن الفحشاء والمنكر، فبقدر ما منعته قبلت منه.

أقول: هذا هو الحقّ الّذي لامحيص عنه، لأنّ القرآن ورد بثبوت هذه الخاصية للصلوة، فالّتي لم تكن فيه هذه الخاصية، ووجد فيه الصورة، فلا محالة يكون العمل من النفاق الخالص، لأنّه لو وجد فيه شيء من الروح فبقدره يؤثر في النهي عن الفحشاء، فما لم يوجد فيه شيء من التأثير، علم عدم وجود شيء من الروح فيه، فعمل لم يوجد من حقيقة الصلوة فيه حتى جزء يسير، فهو من النفاق الخالص والنفاق إنّما هو مبعد بلا شك، لايتوهّم

---

(١) كما في تفسير البرهان في تفسير الاية الشريفة عن علي بن ابراهيم (ره).
(٢) كما في تفسير البرهان ايضاً.

ان النفاق إنّما يتحقّق بمجرّد زيادة خشوع الجوارح على القلب، فيجب حينئذٍ أن يكون جميع الصلوة حتّى من المتّقين أيضاً غير مقبول ، بل غير راجح ، لأنّ صلوة لم يوجد فيها غفلة ، ولو في شيء يسير من أجزائها لم يتأتّ ، حتّى من الأوحدى من النّاس ، وهذا الجزء الّذي وقع فيه الغفلة مخالف للصورة لا محالة ، فيكون من النفاق ، فيكون مرجوحاً مبعداً عن الله ، لأنّا نقول إنّ المبعد القطعي ، مايكون جميع اجزائه خالية من جميع مراتب الروح وهو قليل في المعتقدين للصلوة ، حتّى العوام ، فانّ صلوتهم إذا عملوا بها من جهة الاعتقاد ، لا للرياء فلامحالة يكون أوّل جزئها حين الدخول فيها واجداً للرّوح ، مع انّ جميع أجزائها أيضاً ليست فاقدة بجميع مراتب الحضور ، ولو في ظاهر القلب أو باطنه ، فانّ الحضور له مراتب ، فانّ القلب قد يحضر بكلّه ، حقيقته وسرّ ظاهره ، وباطنه عند عمل ، وقد يكون بظاهره عند شيء وباطنه مشغول بشيء آخر ، وقد يكون بباطنه عند شيء وظاهره مشغول بآخر وهكذا فالفاقد بجميع مراتب الحضور ، وهو عمل الساهي والنائم ، ونحوهما وامّا فاقدة الرّوح من جميع الجهات ، و جميع مراتب الرّوح ، فهي الّتي لا تؤثر في النهى عن الفحشاء أبداً ، لا في جزئي ولا في كلّي ، و امّا واجدة في بعضها ، فلا محالة تؤثر بقدر ما فيها من الروح ، ولكن ليس كلّما يوجد فيها شيء من الروح مقبولة أيضاً ، ومرفوعة إلى السماء ، بل الّذي يفهم من بعض الروايات ، انّ ما يكون بقدر عشرها مع الاقبال والحضور ، يرفع منها بقدر[1] ما اقبل فيها ، وما نقص عن ذلك فلا يرفع ، فتحصل من جميع ماذكر

---

(١) كما في الوسائل في باب استحباب المداومة على النوافل ، عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام وباب استحباب صلوة الف ركعة في كل يوم وليلة عن حمزة بن حمران .

ان ّ الفاقدة للروح بجميع وجوهها ، من جميع الجهات ، فهي الّتي يورث البعد من الله ، وهو كعمل المرائي والمستهزء ، ونحوهما ، و ما كان فيها من الاقبال بقدر العشر ، وما فوقه يقبل منه بقدر الاقبال .

فإن قيل : هذا يخالف حكم المركّبات ، فانّها تنتفي بانتفاء بعض اجزائها ، ولازمها ان يبطل ، ولو بفقدان الروح في جزء منها ، لأنّ المطلوب مثلاً عشرة أجزاء ، ذات الأرواح ، فإذا تخلّف روح شيء من الأجزاء انتفى الحقيقة بحكم العقل .

قلت : هذا مقتضى القاعدة ، ولكن في بعض الأخبار [١] أنّ الناقص منها يتدارك نقصها بالنوافل ، فلا بأس إذاً بحكم الفضل ان يقيّد حكم المركّب بها . ولايذهب عليك انّه يمكن ان يكون المراد من النوافل ، الصلوة الغير الواجبة ، لا نوافل خصوص الفريضة الناقصه ، بل ويمكن أن يكون المراد مطلق النوافل العبادية ، ولكن يشبه أن يكون هذا أيضاً مقيّد بالتجانس بمعنى أن يكون المتدارك من جنس المتدارك مثلاً يتدارك روح سجدة الصلوة بسجدة ذات روح ، واقبال ، و إن لم تكن في صلوة ، أو غيرها من العبادات الّتي فيها روح السجدة ، وهكذا .

فصل في الآيات الدالّة على أنّ المراد من الصلوة ليست مجرّد الاعمال الظاهرة ، وهي عدّة آيات .

منها قوله تعالى [٢] : « ويلٌ للمصلّين الّذينهم عن صلوتهم ساهون » .

قيل : ذمّهم على الغفلة عنها ، مع كونهم مصلّين .

---

(١) كما في ذيل الرواية المذكورة : وانما امرنا بالنافلة ليتم لهم بها مانقصوا من الفريضة .

(٢) س ١٠٧ . ى ٤ .

ومنها قوله تعالى : « اَلّذينهم [١] في صلوتهم خاشعون ».

ومنها قوله تعالى[٢] : « أقم الصلوة لذكري ».

ومنها قوله تعالى[٣]: « ولاتقربوا الصلوة وأنتم سكارى ، حتّى تعلموا ما تقولون ».

قيل فيه تنبيه على سكر الدّنيا ، إذ بيّن فيه العلّة ، يعنى انّ العلّة في المنع عن الصلوة ، مع السكر ، انّ السكران لا يفهم ما يقول : وهذا يعمّ سكر الدنيا ، والخمر معاً .

وأمّا الأخبار فهي كثيرة متواترة في ذلك .

منها ما مضى في أوّل الكتاب .

ومنها ما مضى في الفصل المتقدّم من قولهم ، انّما لا تنهى عن الفحشاء لا يزداد من الله إلّا بعداً .

ومنها قوله ﷺ : [٤] لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرّجل فيها قلبه مع بدنه .

ومنها قوله إنّما الصلوة[٥] تمكّن وتواضع و تضرع ، وتبأس ، وتندم وتقنع ، تمدّ يديك ، وتقول اللّهمّ فمن لم يفعل فهى خداج .

ومنها قوله[٦] إذا صلّيت صلوة فريضة ، فصلّ لوقتها صلوة مودع ، تخاف

---

(١) س ٢٣ - ى ٢ .
(٢) س ٢٠ - ى ١٤ .
(٣) س ٤ - ى ٤٦ .
(٤) لم نجده .
(٥) لم نجده .
(٦) كما في باب استحباب صلوة الف ركعة في كل يوم وليلة في حالات السجاد عليه السلام وباب وجوب اتمام الصلوة عن ابن ابي يعفور عن الصادق عليه السلام .

ان لا تعود فيها ، وبالجملة الأخبار في هذا المعنى فوق التواتر .

فصل في بعض ما روى من صلوة المعصومين عليهم السلام في الحقايق .

روى [١] انّ إبراهيم الخليل عليه السلام يسمع تأوّهه على حدّ ميل ، وكان في صلوته يسمع له أزيز كأزيز المرجل .

وكذلك كان يسمع من صدر سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله مثل ذلك .

و قال بعض ازواجه : كان النبيّ صلى الله عليه وآله يحدّثنا و نحدّثه فإذا حضر الصلوة فكأنّه لم يعرفنا ولم نعرفه .

و كان أمير المؤمنين عليه السلام [٢] إذا أخذ في الوضوء يتغيّر وجهه من خيفة الله

وكان عليه السلام إذا حضر وقت الصلوة يتزلزل ، ويتلوّن ، وقيل له : ما لك يا أمير المؤمنين ، فقال جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض ، فأبين أن يحملنها واشفقن منها .

وكانت فاطمة تنهج [٣] في الصلوة من خيفة الله وكان [٤] الحسن عليه السلام إذا فرغ من وضوئه تغيّر لونه ، فقيل له في ذلك ، فقال : حقّ على من أراد أن يدخل

---

(١) كما في عدة الداعي لابن فهد الحلي رحمه الله تعالى ورواه في البحار أيضاً في كتاب الصلوة مع الروايات تليها .

(٢) مشهور و معروف رواه المخالف والمؤالف و رواه في البحار أيضاً مع الروايات التي وردت في ساير الائمة عليهم السلام في حال صلواتهم ووضوئهم و غيرها .

(٣) النهج بالسكون : الطريق الواضح ، و بالتحريك البهر وتتابع النفس .

(٤) رواه المؤالف و المخالف في حالاته عليه السلام ورواه ايضاً في البحار و كذا ماروى عن السجاد عليه في وضوئه و صلوته من خشية الله تبارك و تعالى و تغير حاله و كذا ماروى في ساير الائمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم فلا حاجة لنا الى ايراد جميع ذلك مع تظافرها بل تواترها و وضوحها

على ذى العرش أن يتغيّر لونه .

وروي مثل ذلك عن السجّاد عليه السلام .

وعنه ، إذا توضّأ اصفرّ لونه، فيقول له أهله : ما هذا الّذي يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدى من اريد ان أقوم ؟ .

قيل ورأيته يصلّي فسقط ردائه عن منكبه ، فلم يسوّه حتّى فرغ من صلوته ، فسئلته عن ذلك فقال ، ويحك اتدرى بين يدى من كنت ، انّ العبد لا يقبل منه صلاة إلّا ما اقبل فيها . فقلت : جعلت فداك هلكنا ، قال : كلّا انّ الله يتمّ ذلك بالنوافل .

وعن الصّادق عليه السلام قال : كان عليّ بن الحسين عليه السلام إذا قام إلى الصلوة تغيّر لونه ، وإذا سجد لم يرفع رأسه حتّى يرفض عرقاً .

وعنه عليه السلام قال : كان أبي يقول : كان عليّ بن الحسين عليه السلام إذا قام إلى الصلوة كأنّه ساق شجرة ، لا يتحرّك منه إلّا ما حرّكت الريح .

وعنه عليه السلام انّه سئل عن حال تخصّه في الصلوة حتّى صار مغشيّاً عليه ، فلمّا أفاق قيل له في ذلك فقال : ما زلت اردّد هذه الآية على قلبى ، حتّى سمعتها من المتكلّم بها ، فلم يثبت جسمى لمعاينة قدرته .

قال لا يجتمع الرغبة والرهبة في قلب ، إلّا وجبت له الجنّة ، فإذا صلّيت فاقبل بوجهك على الله ، فانّه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله في صلوته ، ودعائه إلّا اقبل الله عليه ، بقلوب المؤمنين ، و أيّده مع مودّتهم إيّاه بالجنّة .

وعن الباقر [١] قال : انّ العبد ليرفع له صلوته نصفها ، و ثلثها ، وخمسها ، وربعها فما يرفع له ، إلّا ما اقبل عليها بقلبه ، وانّما امروا بالنوافل

(١) كما مرفى رواية محمد بن مسلم قبيل هذا و غيرها .

ليتمّ لهم ما نقصوا من الفريضة.

فصل في الأحوال التي يكمل بها الصلوة ، ويحكم العقل بلزومها ، ووردبها الشرايع ، وهي ستّة : حضورالقلب ، والتفهّم ، والتّعظيم ، والهيبة ، والرجاء ، والحياء .

والمراد من الأوّل أن يكون القلب عند الصلوة ، لا شيء آخر ، بحيث يغفل عن الصلوة ، وإن كان حضوره عند ظاهر الأحوال ، والأقوال غيرمتعمّق فيها ، وهذا المقدار كاف في تحقق حضور القلب ، وله أنواع شتّى ، و أقسام مختلفة ، وهو انّه قد يكون القلب حاضراً في وجه من وجوهها ، ككونه في حضورالله ، ويشغله ذلك عن الحضور عند فعل بالخصوص ، أو قول ، و ككونه مقيّداً و مشغولا بتصحيح اداء الحروف من مخارجها ، أو باللّحن العربي ، و ككونه حاضراً في تصحيح صورة الافعال ، وقد يكون حاضراً ومشغولا بالفكر في معنى فعل ، أو قول إلى آخرها ، كاشتغاله في معنى التكبير ، أو القيام ، أو الركوع ، أو غيرها مع بقاء الفكر إلى آخر الصلوة ، وأكمل هذه الانواع أن يكون القلب حاضراً عند كلّ فعل ، وقول بخصوصه ، راعياً حضور ربّه ، وشاعراً و ملتفتاً بادائها عنده ، ولا يشغله الفكر في جزء عند الاتيان بجزء آخر ، عن هذا المأتي الفعلي ، فيشتغل عند كلّ عمل ، أو ذكر بفكره بالخصوص بل عند كلّ جزء انّه مأمور من الله بهذا مستعيناً منه بتوفيق ، كما امره .

وهذا الفنّ الكامل جامع للمعنى الثاني أيضاً ، وهو التفهّم لأنّه عبارة عن حضور القلب عند معاني الأقوال والأفعال ، وللمبتدى فيه ان يلاحظ معنى كلّ فعل ، وقول اجماله قبله ، ثمّ يبتدء به ملتفتاً وقاصداً بحقيقته ، ثم الانتقال بلحاظ معنى الجزء الآخر قبل الدخول به ، واتيانه كما ذكر ، وهكذا ولا يذهب عليك انّ قصد معاني الافعال ، عند أوّل العمل تفصيليّ وعند التلبس

بالذكر في الاثناء اجمالي ، والفكر تفصيلي حينئذ في الاستغراق بتفهّم حقايق الاذكار، ولبيان كيفيّة تفهّم حقايق الافعال والاذكار ، مقام آخر ، وهو العمدة في تكليف المصلي ، وبه يحصل أغلب الآثار الجلية المودعة في هذا المعجون الالهي ، لأنّ القلب يتقلّب بالفكر في هذه الاسرار الجليلة ، و أحوال سنيّة من الصفات ، ومقامات رفيعة من المعارف ، فيحصل له الترقّي من حضيض عوالم الطبيعة إلى الملكوت الأعلى ، فيستعدّ قلبه لتلقّي الحقايق القرآنيّة والأسرار الكونيّة من اهل عالم الملكوت ، أو من فوقهم ، و هذه الأحوال هي التي تنهى المصلّي عن الفحشاء والمنكر ، وإن كان يحصل بعض مراتبها بدون ذلك أيضاً .

ثمّ انّ هذه الدرجة من التفهّم ، لابدّ وان تكون مع الأمر الثالث، وهو التعظيم لأنّ التعظيم حال منشائه العلم بعظمة الله العظيم ، وحضوره و قدرته على مايفعل به ، من الردّ والقبول والاكرام والتوهين ، وإذا استشعر العبد في صلوته عظمة من يناجيه في حضوره ، و انّه امّا ان يتفضّل عليه بالقبول ، فيكرمه اكراماً جميلا جزيلا ، او يطلبه بعدله واستحقاقه الصّدق والاخلاص ، فيحجبه ويعذّبه به عذاباً أليماً ، فلابدّ ان يخاف من خطر المقام ، وهذا الخوف الّذي منشائه التعظيم عبارة عن الأمر الرابع ، وهو الرهبة ، وإذا تفطّن مع ذلك بجميل فعاله مع عبده ، وساير الصفات الجماليّة ، فيقوّى قلبه بالرجاء ، ويستحيي من سوء فعاله وتقصيره ، واستقباله الاحسان بالكفران وجميل الصنايع بقبايح الأعمال ، وهذا هو تمام الأمر ، وبالرجاء والحياء يتمّ الخصال الستّ ، وأولها وأهمّها الهمّة ؛ فانّ همّة الرجل إذا كان عند عمله يكون قلبه أيضاً حاضراً عنده ، لأنّ القلب تابع للهمّة ، ومهما اهتمّ الانسان امراً حضر قلبه عنده ، شاء أم أبى ، فبدو أسباب هذه الخصال كلّها الهمّة

وسببها الأيمان والتصديق بان الاخرة خير و ابقى ، وان الصّلوة (وسيلة اليها) فاذا وجد الايمان فهو مقتضى لحصول الهمّة ،

إن لم يمنع عنه الدنيا ، و مجرّد الايمان لا ينفع في بقاء الهمّة ما لم يقو بالنزوع عن محبّتها ، وأسبابها الشاغلة للقلب عن الآخرة والصلوة ، و كلّ منافر معها من الذكر ، والفكر ، فانّ المحبّة والمحبوب يجذب الخواطر إليه ، لأنّ من أحبّ شيئاً اكثر ذكره ، وذكر المحبوب اهجم على القلب بالضرورة ، ولهذه الخصلة الواحدة ترى انّ صلوة سالمة عن الخواطر لا يتأتّى لنا ، و لو بمجاهدة شديدة ، و أمّا القلوب السليمة عن حبّ الدنيا ، فجميع حالاتها صلوة [1] ، وذكر ، بل قرّة عينها في الصلوة ، بل لا يصفو له شيء من لذائذ الدنيا أبداً ، بل لا علم له بالدنيا ، ولا شغل له بها ، حتّى يحتاج إلى مجاهدة دفع خواطرها ، بل لوسهى قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه كما هو صريح عبارة [2] مصباح الشريعة ، فاذاً العمدة في استحضار همّه ، رفع المانع أى تبديل حبّ الدنيا بحبّ الآخرة أو محبّة الله ، نعم المانع قسمان : قسم يندفع أثره بالمسكّنات ، وتقوية المقتضى ، ومثله فيما نحن فيه من كان حبّه للدنيا قليلا لم يملك نفسه ، وحيث يصعب للقلب الغفلة عنه ، و ذكر شيء آخر مكانه ، و مثل هذا المؤمن إذا سدّ طرق الحواس الظاهر بأن يصلّي في الخلوة ، والمكان المظلم حتّى لايسمع ما يشغله عن التدبّر في

---

(١) خوشا آنان كه دائم در صلاتند ❊ بحمد و قل هو الله كارشان نى

قوله : وقرة عينه الصلوة اشارة الى قول النبى صلى‌الله عليه وآله و قرة عينى الصلوة .

(٢) و هو قول الصادق عليه‌السلام : العارف شخصه مع الخلق و قلبه مع الله لو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً اليه ، باب الخامس و التسعون من مصباح الشريعة .

صلوته ، ولا يرى شيئاً كذلك يكفيه ذلك لرفع الشواغل الداخلة من الأسباب الخارجة ، ومنع النفس عن التفكّر فيما يحضره من طريق الملكات ، ان يستعدّ له أوّلا قبل الصلوة بتجديد ما علم من الدين ، من عظمة الصلوة ، و خطر موقفها والوقوف بين يدي الله ، وخطر قبولها وردّها ، وهول المطّلع ، ويفرغ نفسه وقلبه عمّا يهمّه ، مثلاً إذا كان به عطش يشرب الماء ، ثمّ يصلّي حتى يفرغ نفسه عن ذكر الماء في الاثناء ، وهكذا حتّى لايترك لنفسه قبل التحريم شغلا يلتفت إليه قلبه ، وان يتدبّر في معنى كلّ فعل و قول عند الابتداء به اجمالاً ، ثمّ الشروع فيه مع التدبّر ، والتفهّم تفصيلاً ، وقسم لاينفعه المسكّنات ، بل يلزمه المسهل الّذي يقطع الداء والاخلاط الرديّة من عروق أعماق قلبه ، بالنزوع عن الشهوات ، و علايق الدّنيا ، و هي كثيرة يجمعها قوله تعالى ، « زيّن للنّاس حبّ الشّهوات من النّساء والبنين ، والقناطير المقنطرة من الذهب و الفضّة ، و الخيل المسوّمة ، و الانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدّنيا ، والله عنده حسن المآب » ومن كثر فيه حبّ الدنيا ، وعلايقها بحيث ملك نفسه ، وشغل قلبه عن صلوته وهمها ، فانّه من جند الشيطان ، والدّنيا المذمومة ، وحبّها كما في الروايات رأس كلّ خطيئة ، ولا ينفعه التلطّف بالمسكّنات الّتي كانت تنفعه في الشهوات الضعيفة الّتي لا تشغل إلّا حواشي القلب ، لاحقيقته وسره ، لأنّه كلّما أراد ان يرد القلب إلى الحضور عند صلوته والتفكّر في أفعالها ، وأقوالها ، يردّ الشهوات إلى الفكر فيها ، و في طرف تحصيلها ، ودفع موانعها والاشتغال بها ، فلا تزال تجذب قلبك إلى صلوتك وتجذبه الشهوات إلى الفكر فيها ، حتّى يتمّ صلوتك ، و ينقضي جميعها في شغل التجاذب ، فيغلبك الشيطان ، ومثال ذلك مثال رجل تحت شجرة ، يريد ان يجمع همّه للفكر فيما أراده ، فيصفو له فكره ، وكانت أصوات العصافير

الّتي على الشجرة ، يشوّش عليه ، فلم يزل يطردها بخشبة ، و يعود يجلس إلى فكره ، فيعود العصافير ، ويعود هو بالخشبة ، فينفرها بها ، فقيل له هذا الشغل يشغلك عن قصدك ، ولا ينقطع ، فان أردت الخلاص ، فاقطع الشجرة . و كذلك الشهوات إذا قويت ، و كثرت فروعها و أغصانها ، انجذب إليها الأفكار ، والخواطر من وجوه مختلفة ، كانجذاب العصافير إلى الاشجار القويّة الكثيرة الأغصان ، وهذه الشهوات كثيرة ، وهي مغناطيس الخواطر ، والافكار الردية وأصل شجرتها حبّ الدنيا ، و لذا قال الحكيم الإلهي [1] انه رأس كلّ خطيئة ، فمن انطوى باطنه بحبّ الدنيا ، واشتهى شيئاً من عروضها ، وزينتها وهمّ بتحصيلها ، واشتغل بحفظها ، وتكميلها لا للضرورة ، بل للمحبّة واللذّة وهذا هو المذموم من الدنيا المانع من ذكر الله ، فلا يطمعن هذا ان يجد طعم حبّ الله على ما ينبغي ، ولذّة المناجات الّتي يجدها الزاهدون في الدّنيا في صلوتهم ، أو غيرها من عباداتهم ، ونسكهم ، فانّ من فرح بالدّنيا ، فلا يفرح بالله وبمناجاته ، وهمّة الرجل مع قرّة عينه ، فان كانت في الدنيا ، فهمّه فيها وإن كانت في الصلاة فهمّه فيها ، هذا هو العلاج الكامل ، ولكنّ الميسور [2] لا يترك بالمعسور ، فعلى الضعفة ، والعجزة أمثالنا ، أن لا يترك المجاهدة رأساً وينبغي له ردّ القلب بقدر الامكان إلى الصلوة ، و تقليل الأسباب الشاغلة ، و بالجملة أعمال المسكّنات ، فانّها و إن لم تنفع في حسم المادّة أو كمال الصلوة ، إلّا أنّها ليست خالية عن النفع بالمرّة ، وربّما يدركه من نفحات الربّ ، فيكثر فايدته ، فانّ المجاهد متعرّض [3] للنفحات ، فينتفع بها

---

(١) كما فى مصباح الشريعة فى باب ٣١ وغيره .

(٢) كما فى الرواية ويقتضيه العقل ايضا .

(٣) ان لله فى ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها كما فى الحديث .

نفعاً عظيماً ، بخلاف المأيوس والغافل ، فانّه لا ينتفع بها نفعاً كاملا ، بل ربما يصير مضيّعاً لها ، فيكثر بذلك حسرته يوم الآخرة ، فيتألّم بها عذاباً أليماً نعوذ بالله من الخذلان ، هذا ، والأمر في رفع الخواطر اصعب و اشكل ممّا ذكرنا والداء عضال ، لأنّ الخواطر متلازمة مع علايق الدنيا ، وبعضها أيضاً ضروريّة للإنسان ، لا يجوز له تركها ، و معذلك قد يزيد على العلايق الضروريّة لحفظ النفس ، والنوع من الاعراض والإمراض اللّازمة لعالم الطبيعة فيشتدّ الأمر ، فالانسان يبتلى بأسباب الخواطر ، وعللها ضرورة ، فلا يخلو أحد منها لا محالة ، فيلزم في رفعها مجاهدة عظيمة ، واللّجاء إلى الله تعالى عن حقيقة الاضطرار ، حتّى يدفعها بأسباب غيبيّة ، واطّلاع سلطان المعرفة في قلبه ، حتّى يشتغل قلبه بربّه شغلا ينسيه ما سوى الله ، حتّى نفسه هذا وقد انقدح ممّا ذكرناه انّ الحضور ، والتفهّم ، منشائها الهمّة ، وكمالها ، والتعظيم منشائه معرفة عظمة الله وجلاله ، ومعرفة حقارة الدنيا والنفس ، و خسّتهما ، و كونه عبداً مسخّراً مربوباً ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ، و لاموتاً ولا حيوةً ولا نشوراً .

وأمّا الهيبة فمنشائها العلم بعظمة الله ، وجنايات نفسه ، والفكر فيما أصاب الأمم السّالفة من آثار قهره ، و شدّة سلطانه من العذاب والهلاك الدائم ، بل فيما أصاب الأنبياء والأولياء من المصائب الدنيويّة ، و تحمّلهم في ذاته لهذا الرزايا الجليلة .

والرجاء منشائه أيضاً معرفة لطف الله ، ورفقه وعنايته في معاملة عبيده وطول اناته و كرم عفوه ، وجميل صفحه ، وغنى ذاته عن ان يصيبه ضرر من العاصين بمعصيتهم ، و عظيم جوده وقدرته ، و انّه سبقت رحمته غضبه ، و لا يفوته أحد اذا طلبه ، وبالجملة معرفة صفاته الجماليّة ، و حسن صنعه مع

المؤمنين والموحدين ،

والخجل والحياء منشائه معرفة عظمة الرب ، والنعمة والحق والتقصير وآفات العمل وعيوب النفس ، وحضور الرب ، فان ذلك يوثر لا محالة في الحياء والخجل ، كيف إذا حضر إنسان عند ملك عظيم ، محسن إليه ومنعم عليه مدة عمره ، وعرف انه عالم الساعة بتقصيره ، وسوء سريرته ، ورأى انه معذلك مقبل عليه بكرم وجهه ، يدعوه بحلمه إلى التوبة ، ويعده جميل القبول والعافية ، ورأى نفسه المعوّاد للكسل متخلفة عن القيام بحق دعوته ، فلا محالة يستحيي من قبح فعاله ، وشنيع أعماله .

ثم ان هذه الخصال الست التي ذكرناها ، انما هي لازمة في الصلوة من حيث انها صلوة ، وإن كان لبعض اجزائها خصوصية يناسب بعض هذه الخصال ازيد من البعض الآخر ، فحال التشهد والسلام لامحالة انسب للحياء والرجاء من غيرها ، وحال القيام والركوع والسجود انسب للتعظيم والرهبة ولأجزائها من الأقوال والافعال كل واحد منها حال أيضاً مخصوص به ، فان الحمد والتنزيه صفتان للحامد والمسبح ، لا زمان عند الحمد والتسبيح لامحالة وكذلك الاخلاص لازم لمن يقول إياك نعبد ، فانك لو قلت الحمد لله معناه ان جميع النعم من الله ، وله الحمد والثناء من أجل جميع نعمها ، وعليك ان يكون قلبك وفقا لما تظهره بلسانك ، ولا يتأتى ذلك الك عند قولك الحمد لله ، إلا بأن ترى النعمة كلها من الله ، لا من الوسايط ، ومن يكون هذا حاله فلا يتملق على المخلوقين لجلب النعم ، وهكذا وسيجيء تفصيل ذلك عند التعرض لكل جزء من أجزائها إن شاء الله .

فصل في الاستقبال لابد للمؤمن من معرفة ان جميع الأمكنة بالنسبة إلى وجوده ، وإحاطته تعالى على السواء ، و جميع الجهات في ذلك واحدة ،

ولكن له في كلّ عالم أيضاً وجهاً بالنسبة إلى أهلها ، واقتضى عظيم لطفه ان لايترك أبداننا أيضاً غير متشرّف بشرف التوجّه نحوه ، كما لم يترك قلوبنا فعرفنا بيته في هذه الأرض أيضاً ليكون توجّهنا إليه ظاهراً ، وباطناً بابداننا وقلوبنا ، و له الحمد على عظيم لطفه ، كما هو أهله ، و بما هو أهله ، و لا يتوهّم ان الاستقبال بالقلب لادليل عليه ، لأنّك ان راجعت الكتاب والسنّة والعقل ، تريها مجتمعة على لزومها ، بل كونها أهمّ من الاستقبال بوجه البدن إلى جهة البيت ، افترى انّ صرف الأمر عن ساير الأمور إلى أمر الله ليس مطلوباً منك ، هيهات بل هو الاهمّ ، بل هذه الظواهر انّما أمر بها للتحريك إلى الأمور القلبيّة ، والباطنيّة ، ولعلّ العمدة في حكمة الأمر بالاستقبال ، هو ضبط الجوارح ، وتسكينها بالاثبات في جهة واحدة ، حتّى لاتبغى على القلب ، لأنّها إذا بغت وظلمت في حركاتها إلى الجهات ، استتبعت القلب ، فانقلبت به عن وجه الله .

ثمّ انّ جميع ما دلّ من النقل على ذكر الله ، وتقوى الله ، والتوجّه إلى الله ، والاقبال إليه كلّها ، من أدلّة لزوم التوجّه القلبي .

هذا ولتعلم انّه كما لا يتحقّق الاستقبال ظاهراً إلّا بصرف التوجّه عن ساير الجهات إلى جهة بيت الله ، و كذلك القلب لايتمّ اقباله إلّا بالانصراف والتفرّغ عمّا سوى الله ، ونسيانه إلى الله وذكره .

و في النبوي إذا قام العبد إلى صلوته ، و كان هويه و قلبه إلى الله ، انصرف كيوم ولدته امّه .

وفي مصباح الشريعة ،

قال الصادق عليه السلام : إذا استقبلت القبلة ، فآيس من الدّنيا ، وما فيها والخلق ، وما هم فيه ، و فرّغ قلبك عن كلّ شاغل يشغلك عن الله و عاين

بسرّك عظمة الله ، واذكر وقوفك بين يديه قال الله تعالى « هنالك تبلو كلّ نفس ما اسلفت ، وردوا إلى الله مولاهم الحقّ » وقف على قدم الخوف والرّجاء ·

أقول : لابدّ للمؤمن من الخوف والرجاء ، وهما أصل كلّ خير بعد الايمان ، لأنّ المراد لكلّ أحد السعادة ، وهي سعادة عندالمؤمن كلقاء الله ، والأُنس به ،ولا سبيل إليها إلّا بتحصيل محبّته ، ولا تحصل إلّا بعدالمعرفه ، ولا تحصل إلّا بدوام الفكر ، ولا يحصل غالباً ، ولا يصفو إلّا بالذكر ، و لا يتيسّر الذكر والفكر إلّا بالنزوع عن هشاغل الدنيا ، والالاف بشهواتها ، ولا يمكن إلا بالانقلاع عن حبّها ، وحبّ مشتهياتها ، ولا تنقمع اصولها إلا بالصبر عنهما ، ولا يعمل بالصبر إلا بالخوف والرجاء ، و حقيقة الخوف هو تألّم القلب ، واحترافه بسبب انتظار مكروه فيما يأتي ، سواء كان المكروه بحصول شقاوة ، أو فقدان سعادة ، ولا تنافي بينه و بين الرجاء ، بل بينهما تلازم ، والّذي بينهما تناف هو القنوط ، والرجاء والأمن والخوف .

ثمّ انّ الخوف امّا عن نفس المؤلم ، أو عن سببه .

الأوّل كالنار وساير أنواع ما يعذّب به الانسان ، سواء كان في الدنيا اوالآخرة .

والثاني كالكفر والمعاصي ، ومنشئهما كلّه و يختلف خوف الخائفين في كلا القسمين.

أمّا الأوّل فقد يكون خوف مؤمن من تعجيل العقوبة في الدّنيا ، وقد يكون الموت وسكراته ، وقد يكون من القبر ووحشته وظلمته ، وضيقه وضنكه ، وقد يكون من السؤال ، وقد يكون مْن هول المطلع ، وقد يكون من أهوال القيامة ، و مواقفها ، و قد يكون من الحساب ، و قد يكون من

الصراط ، وقد يكون من حياء العرض على الله ، وقد يكون من فضيحة هتك الستور على رؤس الإشهاد ، وقد يكون من نار جهنّم ، وحيّاتها و عقاربها ، و زقّومها و ضريعها ، وغسلينها ، و حميمها و مقامعها ، وقرينها و اغلالها ، و سلاسلها ، وقد يكون من حرمان الجنّة ، ودار النعيم ، والملك العظيم المقيم ، وقد يكون من نقص الدرجة ، وهي أيضاً كثيرة خوف الوقوف ، خوف الاعراض خوف الحجاب ، خوف الغضب ، خوف المقت .

وأمّا الثاني فقد يكون خوف احدهم من الكباير الّتي قارفها ، وقد يكون من ملكاته السيّئة ، من شدّة شهوته وغضبه ، وقد يكون من حقوق الناس ، وطبقات العباد ، وقد يكون من البطر بكثرة النعم ، اوخوف الاستدراج بها ، و قد يكون من الوقوع في معصيته ، أو الموت قبل التوبة ، أو نقض التوبة ، أو من القساوة أو من الاعوجاج ، والميل عن الاستقامة ، أو خوف اطّلاع الله على سريرته في حال معصيته ، أو غفلة أو من عدم قبول عباداته أو ردّ مناجاته ، كأن يقال عند تلبيته : لا لبّيك ، ولا سعديك ، أو من ضعف القوّة عن الوفاء بتمام حق الله ، أو من سوء الخاتمة ، أو السابقة ، والصالحين والطالحين والعبّاد والزهّاد ، والمتّقين والصدّيقين ، والعارفين مختلفة في هذه المخاوف .

ولا يذهب عليك انّ الكاملين من العباد يخافون من جميع هذه المخاوف ومخصوصون ببعضها أيضاً ، والله تعالى يتولّى رياضة قلوبهم في كلّ وقت ، بخوف ورجاء ، وأخصّ ما يخافون منه خوف الوقوف ، والاعراض ، وخوف السابقة المؤدّية بسوء الخاتمة .

ثمّ أعلم انّ اخوف الناس من الله اعلمهم بالله .

لذا قال رسول الله : أنا أخوفكم من الله ، فانّهم يخافون من الله بجميع

ما ذكر ، ولا لشيء من هذه المخاوف ، بل بسرّ قوله تعالى : ويحذّركم الله نفسه ، ولكن قد يشغلهم الله من مقتضى خوفهم ، فلا يظهر من أحدهم ، أو في بعض حالاتهم ، آثار الخوف ، وقد يكون بالعكس رجائهم و خوفهم في بعض حالاتهم ، ، فيظهر منهم ما يكاد يتقطّع منه القلوب ويبهر منه العقول ، وقد يكون في بعضهم ظهور سلطان الخوف أكثر من بروز حقايق الرجاء .

فصل في لزوم الخوف [1] ، وفضيلته قال الله تعالى : رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشى ربّه .

وقال : إنمّا يخشى الله من عباده العلماء ،

وقال : « ويحذّركم الله نفسه » .

وقال : « اتّقوا الله حقّ تقاته » .

وقال : « واخشوني » .

---

(١) فاعلم ان الاخبار المذكورة فى فصل الخوف من الكتاب ، مذكورة فى كتب الاخبار كالكافى الشريف ، والارشاد للشيخ المفيد (ره) ، والخصال للصدوق (ره) وكتب التفاسير كالصافى للمحقق القاسانى (ره) ، وغيره ، راجعنا بعضها تصحيحاً للاغلاط الواقعة فى طبع الكتاب ، فانها كثيرة جدا ، ولكن طوينا عن ذكرها ، والاشارة اليها ، خوفاً من الاطالة ، وحذراً عن الاطناب ،وتعجيلا للطبع والنشر، هذا ولكنك ايها القارى، هل آمنت بهذه الاخبار ؟ واحتملت ان تكون مصداقاً للهالكين ، وماورد فى تفسيرالاية الشريفة : « ولها سبعة ابواب »

ام همك بطنك وفرجك ، وجاهك ومقامك الفانى عن قريب ، ومفارق عنك غير بعيد ، ولكن ضعف الايمان او عدمه ، بما ورد عن معادن العصمة ، و خزان الوحى ، الذين سمعت خوفهم ، وحزنهم ، وتغير حالهم عن ذكر النار ، والبعد عن قرب رب الارباب ، حملك على تحصيل رغيد العيش ، وحفظ المقام ، والاعراض عن تحصيل هذه السعادة ، والغفلة عن مفاجاة الموت ، وفوت الوقت وحلول الاجل وأنت مكب على الدنيا .

عن النبي ﷺ رأس الحكمة مخافة الله .

وروي من عرف الله خاف الله ، ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا .

وروي انّ من العبادة شدّة الخوف من الله .

و روى انّ حبّ الشّرف ، والذكر لا يكونان في قلب الخائف الهارب .

و روى انّ المؤمن بين مخافتين : ذنب قد مضى ، لا يدرى ما صنع الله فيه ، وعمر قد بقي لا يدرى ما يكسب له فيه من المهالك ، فهو لا يصبح إلا خائفاً ولا يصلحه إلا الخوف .

وروي لايكون المؤمن مؤمناً ، حتّى يكون خائفاً ، راجياً ، ولايكون خائفاً راجياً حتّى يكون عاملا بما يخاف ، ويرجو .

وروي من خاف أخاف الله منه كلّشيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كلّ شيء .

و قال الصّادق عليه السلام لاسحاق بن عمّار : يا إسحاق خف الله كأنّك تراه ، وإن كنت لاتراه فانّه يريك ، فإن كنت ترى انّه لا يريك فقد كفرت و إن كنت تعلم انّه يريك ثمّ برزت له بالمعصية ، فقد جعلته من أهون الناظرين إليك .

وقال السجّاد عليه السلام في دعائه : سبحانك عجباً لمن عرفك ، كيف لا يخافك .

وروى انّ قطرة من الدمعة في خشية الله ، يطفى بحاراً من النار .

روى مامن مؤمن تخرج من عينيه دمعة ، وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله ، ثمّ يصيب شيئاً من وجهه ، إلا حرمه الله على النار .

وروى إذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله ، تنحت عنه خطاياه كما

تنحت من الشجر ورقها .

وعن الباقر عليه السلام قال صلى أمير المؤمنين بالناس الصبح بالعراق ، فلمّا انصرف وعظهم ، فبكى وأبكاهم من خوف الله .

ثمّ قال أما والله لقد عهدت اقواماً على عهد خليلي رسول الله ، وانّهم ليصبحون و يمسون شعثا ، غبرا ،خمصا،بين اعينهم كركب البعير ، يبيتون لربّهم سجّداً وقياماً ، و يراوحون بين اقدامهم وجباههم ، يناجون ربّهم في فكاك رقابهم من النار ، والله لقد رأيتهم معهذاوهم خائفون ـ اه .

و في بعض الروايات كان زفير النار في آذانهم ، إذا ذكر الله عندهم ، مادوا كما يميد الشجرة كأنّما القوم باتوا ، غافلين .

قال فما رأى بعد ذلك ضاحكاً ، حتّى قبض عليه السلام .

وفي حديث موسى عليه السلام : وأمّا الخائفون ، فإنّ لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه .

وروى لا يلج النّار أحدٌ بكى من خشية الله ، حتّى يعود اللّبن في الضرع .

وروي ما من قطرة احبّ إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله ، أو قطرة دم اهريقت في سبيل الله .

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله سبعة يظلّهم الله يوم لا ظلّ إلا ظلّه ـ

وذكر منهم رجلا ذكر الله خائفاً ففاضت عيناه من الدمع ،

وروى انّ فتى من الأنصار دخلته خشية الله ، حتّى حبسه ذلك في البيت ، فجاء النبي فدخل عليه فكان يبكي ، واعتنقه فخرّ ميّتاً .

وروى عن بعضهم : انّه ما رفع رأسه الى السماء اربعين سنة ، و انّه رفع رأسه يوماً ففزع ، فسقط فانفتق في بطنه فتق ، وكان يمس بدنه في

جوف الليل مخافة أن يكون قد مسخ ، وكان إذا أصاب الناس ريح أو برق أو بلاء غيرها ، قال هذا من اجلي يصيبهم ، لو متّ لاستراح النّاس من هذه البلايا .

وكان بعضهم ينظر إلى طرف انفه في خلال اوقاته ، ليطمئن ان لم يسودّ وجهه من ذنوبه .

وروي عن المجالس :

قال بينما رسول الله صلى الله عليه وآله مستظلّ بظل شجرة في يوم شديد الحر ، إذ جاء رجل فنزع ثيابه ، ثم جعل يتمرّغ في الرمضاء ، يكوي ظهره مرّة وبطنه مرّة ، وجبهته مرّة ، ويقول يا نفس ذوقي ، فما اعظم عند الله ممّا صنعت بك ، ورسول الله ينظر إليه ما يصنع ، ثمّ انّ الرجل لبس ثيابه ، ثمّ أقبل فاومأ إليه النبيّ صلى الله عليه وآله بيده ، ودعا فقال له : يا عبد الله لقد رأيتك صنعت شيئاً ، ما رأيت أحداً من الناس صنعه ، فما حملك على ما صنعت ، فقال الرجل حملني على ذلك مخافة الله ، فقلت لنفسي يا نفس ذوقي فما عند الله أعظم ممّا صنعت بك ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : لقد خفت ربّك حقّ مخافته ، وانّ ربّك ليباهي بك أهل السماء ، ثمّ قال لأصحابه يا معشر من حضر ، ادنوا من صاحبكم ، حتّى يدعو لكم ، فدنوا منه ، فقال : اللّهمّ اجعل أمرنا على الهدى ، واجعل التقوى زادنا ، والجنّة مآبنا .

وحكي انّ اويس القرني (ره) كان يحضر القاص ، فيبكي من كلامه ، و إذا ذكر النّار صرخ اويس ، ثمّ يقوم منطلقا ، فيتبعه النّاس يقولون : مجنون ، مجنون .

وحكى أمير المؤمنين عليه السلام خوف شيعته في حديث الهمام ، وقال : فلولا الاجال الّتي كتب الله لهم ، لم تستقرّ أرواحهم في أبدانهم طرفة عين أبدا شوقاً إلى

لقاء الله والثواب ، وخوفا من أليم العقاب ، عظم الخالق في أنفسهم ، وصغر ما دونه في أعينهم ، فهم والجنّة كمن قد رآها ، فهم على ارائكها متكئون وهم والنار كمن قد رآها ، وهم فيها معذّبون ، صبروا أيّاماً قليلة فاعقبتها راحة طويلة ، أرادتهم الدنيا ، فلم يريدونها ، وما طلبتهم ، فأعجزوها ، أمّا اللّيل فصافون اقدامهم ، يتلون لأجزاء القرآن يرتّلونه ترتيلا ، يعظون أنفسهم بأمثاله ، ويستشفون لدائهم بدوائه ، تارة ، وتارة ، ويفترشون جباههم وأكفّهم ، وركبهم وأطراف أقدامهم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، يمجدون جبّاراً عظيماً ، و يجارون إليه في فكاك رقابهم ، هذا ليلهم ، و أمّا نهارهم فعلماء صلحاء ، بررة أتقياء ، برئهم خوف بارئهم ، فهم كالقداح ، تحسبهم مرضى ، وقد خولطوا ، وما هم بذلك ، بل خامرهم من عظمة ربّهم ، وشدّة سلطانه ، ما طاشت له قلوبهم ، وذهبت منه عقولهم اه ، وإذا فرغ من كلامه ، فصاح همام صيحة ، و وقع مغشيّاً عليه ، فحرّكوه ، فإذا هو قد فارغ الدّنيا .

وروى عن رسول الله ﷺ قال : إذا جمع الله الأوّلين ، و الآخرين لميقات يوم معلوم ، فاذا هم بصوت يسمع ، اقصاهم كما يسمع أدناهم ، فيقول: يا أيّها النّاس انّي قد انصتّ لكم منذ خلقتكم ، فانصتوا إليّ اليوم ، انّما هي أعمالكم ترد إليكم ، أيّها النّاس إنّي قد جعلت نسباً وجعلتم نسباً ، فوضعتم نسبي ، ورفعتم نسبكم ، قلت: إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ، وأبيتم إلّا ان يقولوا فلان بن فلان ، و فلان أغنى من فلان ، فاليوم اضع نسبكم ، وارفع نسبي أين المتّقون ، فيرفع للقوم لواء فيتبع القوم لوائهم ، إلى منازلهم ، فيدخلون الجنّة بغير حساب ، والتّقوى عبارة عن إجتناب الشّبهات من مخافة الله .

و كان من مناجات الإمام السجّاد عليه السلام : يا إلهي لو بكيت إليك

حتّى ينقطع صوتي ، وقمت لك حتّى تنتشر قدماى ، و ركعت لك حتّى ينخلع صلبي ، وسجدت لك حتّى تتفقّاء حدقتاى ، و أكلت تراب الأرض طول عمري ، وشربت ماء الرماد آخر دهري ، وذكرتك في خلال ذلك حتّى يكلّ لساني ثم لم أرفع طرفي إلى آفاق السماء استحياء منك ، ما استوجبت بذلك محو سيئة واحدة من سيّئاتي .

روى الأصمعي قال : خرجت إلى الحج إلى بيت الله ، وزيارة النبي صلّى الله عليه وآله فبينما أنا أطوف حول الكعبة ، وكان ليلة مقمرة ، و إذا بصوت أنين ، و حنين ، و بكاء ، فتبعت الصوت ، و إذا بشاب حسن الوجه ، ظريف الشمايل ، وعليه ذوائب ، وهو متعلّق باستار الكعبة ، و هو يقول : يا سيّدي ومولاى ، قد نامت العيون ، و غارت النّجوم ، و أنت حيّ قيّوم ، إلهي غلّقت الملوك أبوابها ، و قام عليها حجّابها و حرّاسها ، و بابك مفتوح للسائلين ، فها أنا ببابك انظر برحمتك لي يا أرحم الراحمين .

ثمّ أنشأ يقول :

يا من يجيب دعا المضطرّين في الظلم * يا كاشف الضرّ والبلوى مع السقم

قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا * و أنت يا حيّ يا قيّوم لم تنم

أدعوك ربّ حزيناً خائفاً قلقا * فارحم بكائى بحقّ البيت والحرم

إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرف * فمن يجود على العاصين بالنّعم

ثمّ قال : رفع رأسه إلى السماء ، و هو ينادي إلهي أطعتك بمشيتك ، فلك الحجّة عليّ باظهار حجّتك إلّا ما رحمتني ، وعفوت عنّي ، ولا تخيّبني يا سيّدي .

ثمّ قال : إلهي وسيّدى الحسنات تسرّك ، والسيّئات ما تضرّك ، فاغفر لي فيما لا يضرّك .

ثمّ أنشأ يقول :

ألا أيّها المأمول من كلّ حاجة * شكوت إليك الضرّ فارحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت كاشف كربتي * فهب لي ذنوبي كلّها واقض حاجتي
فزادي قليلٌ لا أراهُ مبلّغي * على الزاد ابكي أم على بعد سفرتي
أتيت بأعمال قباح رديّة * وما في الورى عبد جنى كجنايتي
أتحرقني بالنّار يا غاية المنى * فأين رجائي منك و أين مخافتي

قال الأصمعي : كان يكرّر هذه الأبيات حتّى سقط مغشيّاً عليه ، فدنوت منه لأعرفه ، فإذا هو زين العابدين بن الحسين بن عليّ عليه السلام .

قال الأصمعي : فأخذت رأسه ووضعته في حجري ، و بكيت فقطرت قطرة من دموعي على خدّه ، ففتح عينيه ، و قال : من هذا الّذي شغلني عن ذكر ربّي؟ قلت : عبدك ، وعبد أجدادك الأصمعي ، فما هذا الجزع والفزع والبكاء ، والأنين ، وأنت من أهل بيت النبوّة ، وموضع الرسالة ، وقوله تعالى إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهّركم تطهيراً ، قال: فاستوى قاعداً ، وقال : هيهات هيهات يا أصمعي ، إنّ الله خلق الجنّة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشيّاً وخلق النار لمن عصاه و لو كان سيّداً قرشيّاً ، أما سمعت قوله تعالى : فإذا نفخ في الصّور فلا أنساب بينهم .

وروى أبو الدردا انّه رأى أمير المؤمنين ليلة تخلّى من الناس ، وهو يناجي ويبكي ويقول : إلهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقمتك ، و كم من جريرة تكرّمت على كشفها بكرمك ، إلهي لإن طال في عصيانك عمري و اعظم في الصحف ذنبي ، فما أنا مؤمّل غير غفرانك ، ولا انا براج غير رضوانك ، إلهي افكّر في عفوك ، فتهون عليّ خطيئتي ، ثمّ اذكر العظيم من اخذك ، فيعظم عليّ بليّتي آه ان أنا قرأت في الصحف سيّئة أنا ناسيها ، وأنت محصيها

فتقول خذوه ، فياله من مأخوذ لاتنجيه عشيرته ، ولاتنفعه قبيلته ؟ . من نار تنضج الأكباد والكلى ، اه من نار نزّاعة للشوى ، آه من غمرة من لهبات لظى .

ثمّ قال : إذا قد خمد صوته ، قلت له : نام فذهبت لأوقظه ، وحرّكته فإذا هو كالخشبة اليابسة ، قلت إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، مات أمير المؤمنين و ذهبت إلى أهله ، و أخبرت فاطمة عليها السلام بذلك ، فقالت : هذه الغشية الّتي تعرضه كلّ ليلة ، من خشية الله ، ثمّ اتوه بماء فنضحوه على وجهه ، فأفاق ونظر إليّ ، وأنا أبكي ، فقال ، ممّا بكاؤك يا أبا الدردا ، فقلت ممّا أراه تنزله بنفسك ، فقال : يا أبا الدردا فكيف ، ولو رأيتني ودعي بي إلى الحساب ، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب ، واحتوشتني ملائكة غلاظ ، و زبانية فظاظ ، فوقفت بين يدي الملك الجبّار ، قد أسلمني الحياء ، ورحمني أهل الدنيا لكنت أشدّ رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية ، فقال أبو الدرداء ، فو الله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ،

و روي أنّه إذا نزلت من أوّل سورة الحجّ زلزلة الساعة ليلاً ، في غزوة بني المصطلق والناس يسيرون ، فنادى رسول الله صلى الله عليه وآله فحثّوا المطي ، حتّى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقرأها عليهم ، فلم ير أكثر باكياً منه تلك اللّيلة ، فلمّا أصبحوا ، لم يحطوا السرج عن الدواب ، ولم يضربوا الخيام والناس بين باك ، وجالس حزين متفكّر الخ ، فتفكّر في أحوال قوم يسيرون إلى الجهاد ، في خدمة النبيّ صلى الله عليه وآله ، في هذه الدرجة من الخوف ، وقس عليه حوالنا اليوم في هذه النعمة .

وروي أنّه إذا نزلت آية ، ولها سبعة أبواب ، انّه سئل النبيّ صلى الله عليه وآله جبرئيل عليه السلام أهي كأبوابنا ؟ فقال : لا ، ولكنّها مفتوحة بعضها أسفل من

بعض ، من باب إلى باب مسيرة سبعين سنة ، كلّ منهما أشدّ حرّاً من الّذي بينه سبعين ضعفا ، يساق أعداء الله إليها ، فإذا انتهى أبوابها استقبلتهم الزبانية بالاغلال والسلاسل ، فتلك السلسلة في فيه ، ويخرج من دبره ، و تغلّ يده اليسرى إلى عنقه ، وتدخل يده اليمنى في فؤاده ، ويخرج من بين كتفيه ، و يشدّ بالسلاسل ، ويقرن كلّ آدميّ مع شيطان في سلسلة ، و يسحب على وجهه ، وتضربه الملائكة بمقامع ، من حديد كلّما أرادوا ان يخرجوا منها أعيدوا فيها ، فقال النبيّ ﷺ : اخبرني من مكان هذه الأبواب ؟ قال :

فامّا الباب الأوّل ، ففيه المنافقين ، ومن كفر من أصحاب المائدة ، و آل فرعون ، واسمها الهاوية .

والباب الثاني ، ففيه المشركون واسمه الجحيم .

والباب الثالث ، ففيه الصابئون ، وإسمه سقر .

والباب الرابع ، ففيه إبليس ، ومن تبعه ، والمجوس ، و اسمه لظى .

والباب الخامس ، فيه اليهود ، واسمه الحطمة .

والباب السادس ، فيه النصارى ، واسمه سقر ، ثمّ أمسك جبرئيل عليه السلام فقال النبيّ ﷺ : ألا تخبرني من مكان الباب السابع ؟ قال : يا محمّد لا تسئلني عنه ، فقال : بلى يا جبرئيل أخبرني عن الباب السابع ، فقال : هي أهل الكباير من اُمّتك ، الّذين ماتوا ولم يتوبوا ، فخرّ النبيّ ﷺ مغيشّاً عليه ، فوضع جبرئيل عليه السلام رأسه في حجره ، حتّى أفاق فلمّا أفاق قال : ياجبرئيل عظمت مصيبتي واشتدّ حزني ، أو يدخل من اُمّتي النار؟ قال : نعم أهل الكبائر من اُمّتك ، ثمّ بكى رسول الله ﷺ ، وبكى جبرئيل عليه السلام ، ودخل رسول الله ﷺ منزله ، واحتجب عن الناس ، وكان لايخرج إلّا إلى الصلوة ، يصلّي ويدخل ولا يكلّم أحداً ، ويأخذ في الصلوة ، ويبكي ويتضرّع إلى الله تعالى ، فلمّا

كان من اليوم الثالث، أقبل أبو بكر حتّى وقف بالباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة هل إلى رسول الله ﷺ من سبيل؟ فلم يجبه أحد، فتنحى باكياً، فأقبل فصنع مثل ذلك، فلم يجبه أحد فتنحى، و هو يبكي، أقبل سلمان، فوقف بالباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة، هل إلى مولاى رسول الله ﷺ من سبيل؟ فلم يجبه أحد، فأقبل يبكي مرّة، ويقوم اُخرى، حتّى، أتى بيت فاطمة عليها السلام، فوقف بالباب، وقال، السّلام عليكم يا أهل بيت المصطفى، وكان عليّ عليه السلام غائباً، فقال سلمان: يا بنت رسول الله، رسول الله ﷺ احتجب عن الناس، فليس يخرج إلّا إلى الصلاة ولا يكلّم أحداً ولا يأذن لأحد أن يدخل عليه، فاشتملت فاطمة عليها السلام بعباءة قطوانية، وأقبلت حتّى وقفت على باب رسول الله ﷺ، ثمّ سلّمت، وقالت: يا رسول الله أنا فاطمة، ورسول الله ﷺ ساجد يبكي، فرفع رأسه، فقال ﷺ: ما بال قرّة عيني فاطمة حجبت عنّي، افتحوا لها الباب، ففتح الباب فلمّا نظرت إلى النبيّ ﷺ بكت بكاءً شديداً، لما رأت من حاله مصفرّاً، متغيّراً لونه مذاباً لحم وجهه من البكاء، والحزن، فقال: يارسول الله ما الّذي نزلت عليك؟ فقال النبيّ ﷺ: جائني جبرئيل عليه السلام، ووصف لي أبواب جهنّم، وأخبرني بأنّ في أعلا بابها أهل الكبائر من اُمّتي، فذلك الّذي أبكاني، وأحزنني، قالت: يا رسول الله، أو لم تسئله كيف يدخلونها، قال: يسوقهم الملائكة إلى النار، لا تسودّ وجوههم، و لا تزرق عيونهم، و لا تختم على أفواههم، ولا يقرنون مع شيطان ولا يوضع عليهم السّلاسل والاغلال، قالت عليها السلام: يا رسول الله كيف تقودهم الملائكة؟ قال النبيّ ﷺ: امّا الرجال فباللّحى، وأمّا النساء فبالذوائب والنواصي، فكم من ذي شيبة من امة قد قبض على شيبته، يقاد إلى النار، وهو ينادى وا شيبتاه، وا ضعفاه،

وكم من شاب من أُمّتي يقبض على لحيته ويقاد إلى النار ، وهو ينادي وا شباباه واحسن صورتاه ، وكم من امرئة من أُمّتي تقبض على ناصيتها يقاد إلى النار وهي تنادي وا فضيحتاه ، وا هتك ستراه ، حتّى ينتهي بهم إلى مالك ، فإذا نظر إليهم المالك ، قال للملائكة من هؤلاء ؟ فما ورد عليّ من الأشقياء أعجب من هؤلاء ، لم تسوّد وجوههم ، ولم توضع السّلاسل والأغلال في أعناقهم ، فتقول الملائكة هكذا أمرنا ان نأتيك بهم ، فيقول لهم يامعشر الأشقياء من انتم وفي رواية لمّا قادتهم الملائكة ، فتنادون وا محمّداه ، فلمّا رأوا مالك نسوا اسم محمّد من هيبته ، فيقول لهم : من أنتم ، فيقولون : نحن ممّن نزل عليهم القرآن ونحن ممّن نصوم شهر رمضان ، فيقول المالك : وما نزل القرآن إلّا على محمّد فإذا سمعوا اسم محمّد صاحوا وقالوا نحن من أُمّة محمّد ، فيقول المالك: ما كان لكم في القرآن زاجراً عن معاصي الله ؟ فإذا وقف بهم على شفير جهنّم ، و نظروا إلى النار ، وإلى الزبانية ، فقالوا : يا مالك ائذن لنا نبكي على أنفسنا فيبكون الدموع حتّى لم يبق لهم الدموع ، فيبكون دماً ، فيقول مالك : ما أحسن هذا لو كان في الدنيا ، لو كان هذا البكاء في الدنيا من خشية الله ما مسّكم النار اليوم ، فيقول للزبانية . القوهم في النار ، فنادوا بأجمعهم لا إله إلّا الله فرجع عنهم النار ، فيقول مالك للنار خذيهم فتقول النار كيف اخذهم ؟ وهم يقولون : لا إله إلّا الله ، فيقول مالك : نعم بذلك أمر ربّ العرش ، فتأخذهم فمنهم من تأخذه إلى قدميه ، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه إلى حقويه ، ومنهم من تأخذه إلى حلقه ، قال : فإذا أهوت النار إلى وجهه قال مالك : لا تحرقي وجوههم ، فطال ماسجدوا للرحمن في الدنيا ، ولا تحرقي قلوبهم ، فطال ما عطشوا في شهر رمضان فيبقون فيها ما شاء الله ، فينادون يا أرحم الرّاحمين ، يا حنّان يا منّان ، فإذا أنفذ الله حكمه ، قال : ياجبرئيل

ما فعل العاصون من اُمّة محمد ، فيقول : إلهي أنت أعلم بهم ، فيقول : انطلق فانظر ما حالهم ، فينطلق جبرئيل إلى مالك ، وهو على سرير من نار في وسط جهنّم ، فإذا نظر مالك إلى جبرئيل قام تعظيماً له ، فيقول ، يا جبرئيل ما أدخلك هذا الموضع ؟ فيقول : ما فعلت العصابة العاصية من اُمّة محمد صلى الله عليه وآله ، فيقول: ما اسوء حالهم ، و اضيق مكانهم ، قد احرقت النار أجسامهم ، وأكلت لحومهم ، وبقيت وجوههم ، وقلوبهم يتلألأ فيها الايمان ، فيقول جبرئيل : ارفع الطبق عنهم حتّى أنظر إليهم ، قال : فيأمر المالك الخزنة أن يرفعوا الطبق ، فإذا نظروا إلى جبرئيل عليه السلام ، و حسن خلقه علموا انّه ليس من ملائكة العذاب ، فيقولون : من هذا العبد الّذي لم نر قط أحسن وجهاً منه ؟ فيقول مالك ، هذا جبرئيل الكريم على الله تعالى ، الّذي كان يأتي محمداً بالوحي فإذا سمعوا باسم محمد صاحوا بأجمعهم وقالوا ياجبرئيل اقرء محمداً صلى الله عليه وآله منّا السلام وأخبره انّ معاصينا فرّقت بيننا وبينك ، و اخبره بسوء حالنا ، فينطلق جبرئيل حتّى يقوم بين يدى الله ، فيقول الله : كيف رأيت اُمّة محمد ؟ فيقول : ما أشدّ حالهم ، واضيق مكانهم ، فيقول : هل سئلوك شيئاً ، فيقول : يا ربّ سئلوني ان اقرء على نبيهم السلام ، واخبرهم بسوء حالهم ، فيقول الله انطلق ، فأخبره فيدخل جبرئيل عليه السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله ، و هو في خيمة من درّة بيضاء لها أربعة آلف باب ، و لها مصراعان من ذهب ، فيقول : يا محمد جئتك من عند العصابة العصاة من اُمّتك ، يعذّبون في النّار وهم يقرؤنك السلام ويقولون ما اسوء حالنا ، واضيق مكاننا ، فيأتي النبيّ عند العرش ، فيخرّ ساجداً ، ويثنى على الله ثناءً لم يثنه أحد مثله ، فيقول الله عزّ وجلّ : ارفع رأسك ، واسأل تعط ، واشفع تشفّع ، فيقول : الأشقياء من اُمّتي قد انفذت فيهم حكمك

فيقول الله تعالى : قد شفعتك فيهم ، فأت النار ، فأخرج منها من قال لا إله إلا الله ، فينطلق النبي ﷺ ، فإذا نظر مالك إلى النبي ﷺ فتح الباب ، و رفع الطبق ، فإذا نظر أهل النار إلى محمد ﷺ صاحوا بأجمعهم ، فيقولون: قد احرقت النار جلودنا ، واحرقت أكبادنا ، فيخرجهم جميعاً ، و قد صاروا فحماً أكلتهم النّار ، فينطلق بهم إلى نهر بباب الجنّة يسمّى الحيوان ، فيغسلون فيه فيخرجون منه شباباً جردا مردا ، مكحلين ، وجوههم مثل القمر فيدخلون الجنّة .

هذه مخاوف المؤمنين ، والأنبياء ، والأولياء فانظر الى حالك من أيّ ديوان يخرج اسمك ، هل من ديوان المؤمنين ، أو المقرّبين ؟ فانّ الخوف والرّجاء بقدر الايمان ، يعظّمان الجنّة والنار ، والقرب والبعد ، وإيّاك أن يكون حالك مثل حال الملحدين في الخوف والرجاء ، ويكون وجود جهنّم وعدمه عندك سواء ، ولا تغتر بظواهر العقايد الحقّة من الايمان بالله ، واليوم الآخر ان لم يؤثر في خوفك ورجائك ، فإنّ الموجود الغير المؤثّر كالمعدوم ، فامتحن نفسك ان ادّعت الخوف ، فإنّ للخوف آثاراً ، امّا في البدن فبالنحول والصفار والبكاء ، وامّا في الجوارح فبكفّها عن المعاصي ، وتقييدها بالطاعات ، وتلافي ما فات ، والاستعداد لما هو آت ، و أمّا في القلب فبالذّلول والخشوع ، والاستكانة ، و مفارقة الكبر ، والحقد والحسد ، و بالجملة شغل القلب بهمّ المخوف منه وخطره ، والاهتمام بالنجاة من غوائله حتّى لايبقى لساير الهموم محلّ فيه ، أو يكون كأحد الهموم لا محالة ، فانّ الخوف أيّ خوف كان إذا غلب على القلب ، واستوعبه يحرق كلّ شهوة ورغبة ، و ميل ، و لا يبقى فيه متّسع للغير للاشتغال بالغير ، وينسى كلّ شيء ، ولا يكون له همّ ، ولا شغل إلّا مراقبة المخوف منه ، و المجاهدة في تحصيل النجاة منها ، و يضن

بالانفاس واللّحظات ، فضلاً عن الأيّام ، والساعات ، وأدنى درجاته يظهر في الجوارح ، بالكفّ عن المحذورات ، فيكون ورعا ، و أوسطها ان يجتنب المشتبهات فيدخل في المتّقين ، واعلى منه ترك ما لا بأس به ، واذا انضمّ اليه التجرّد للخدمة ، فلا يبنى ما لا يسكن فيه ، ولا يجمع ما لا يأكله ، ولا يلتفت إلى دنيا يعلم انّه يفارقه ، ولا يصرف إلى غير الله نفساً من أنفاسه ، فيل : هذا جدير بأن يسمّى صدّيقاً ،

فصل في علاج الخوف

أقول : علاج أصله الايمان بالله واليوم الآخر ، والثواب والعقاب ، والجنّة والنار ، سواء كان عن تقليد وسماع ، أو عن تحقيق وبرهان ، او كشف وعيان ، والخوف الناشي عن الايمان التقليدي يشبه خوف الصبيّ عن الحيّة إذا سمع من امّه انّه يلدغ ، ويقتل، ويقوّى إذا رأى انّ أبويه يفرّان منه ويتزازلان من رؤيته ، والناشي عن الايمان التحقيقي يشبه خوف العقلاء ، ممّا يحكم العقل بضرره ، واهلاكه ، ويقوى بكون مباديه قريبة من الحس ، وبكثرة الذكر والفكر فيه ، والناشي عن الكشفى هو الذي يجمع جميع فضايل الخوف ، ويحرق في القلب كلّ شهوة ورغبة ، و ينسى كلّ شيء ، و لا يبقى للمؤمن إلّا همّ المخوف منه ، والخلاص منه ، و له أيضاً مراتب فإنّ الّذي كوشف له نار جهنّم ، لا يبلغ خوفه مبلغ من كوشف له عذاب البعد والحجاب عن لقاء الله ، أما تسمع أمير المؤمنين عليه السلام بعد ما يعدّ شدّة عذاب جهنّم ، وطول مدّتها ، يقول : وهبني يا إلهي وسيّدي ، ومولاى وربّي، صبرت على عذابك فكيف اصبر على فراقك؟ وهبني صبرت على حرّ نارك ، فكيف اصبر عن النظر إلى كرامتك؟ .

وإن شئت ان تعرف الفرق ما بين عذاب نار جهنّم ، وعذاب نار الفراق

فقس بين العالم الحسّي والعالم العقليّ ، ودرك الحسّ والعقل ، فان نسبة الحسّ إلى العقل كنسبة القطرة إلى البحر ، بل الفرق أزيد ، وخوف البعد والحجاب للمقرّبين ، هو مهلك قطعاً الا انّ الله انّما يتولّى سياسة قلوب أوليائه ، فاذا هاج في قلوبهم مبادى هذا الخوف ، وأحرق قلوبهم وقربوا من الهلاك ، يحييهم بما يلقى إليهم من نفحات رحمته ، و يمطر على موات قلوبهم من امطار رجاء رأفته، إلى أن يقضى فيهم حكمه وحكمته ، ويقرّب اجالهم الّتي كتب الله عليهم ، وعند ذلك يطوى عنهم بساط الخوف والرجاء ، فيشدّ على قلوبهم شوق اللّقاء ، حتّى يكونوا إلى الموت آنس من الطفل إلى ثدى أمّه ، ولعلّ هذه معاملته تعالى ببعض أوليائه ، ولكلّ منهم معاملة خاصّة ، كلّها ناشية عن كرمه وجوده ورأفته ورحمته ، وعظيم فضله وإحسانه بما يناسب حاله في الترقّى إلى ما كتبه لهم من الدرجات العالية ، بمقتضى اسمائه وصفاته ، وإذا تمهّد ذلك تعرف انّ اصل الخوف سببه الايمان ، و كلّ مؤمن لابدّ ان يكون فيه مقتضى الخوف في الجملة ، ولكن قد يكون الايمان ضعيفا ، فيضعف الخوف ، وقد يكون قويّاً فيكون مقتضى الخوف أيضاً قويّاً ، ولكن يمنع من فعليّته مانع ، فالعلاج امّا بتقوية الايمان ، أو رفع المانع.

أمّا الأوّل فليس هنا محلّ ذكره .

وأمّا الثاني فهو في المقام أمران

أحدهما غفلة القلب عمّا امن به من الجنّة والنار .

و ثانيها غلبة حبّ الدنيا على القلب بحيث صار القلب مريضاً بمرض العشق .

أمّا الأوّل فعلاجه الوعظ والتذكير ، و تذكّر اسباب الخوف من

العذاب الدنيوي والأُخروي ، وينفع كثيراً قراءة آيات العذاب ، وتكرارها والتفكر فيها ، وتصويرها واقعة على النفس ، في كلّ يوم و ليلة مرّتين أو مرّات ، ولكن يكثر تكرارها ساعة أو ساعتين لا محالة فيؤثّر أثراً كاملا ، وفي ملازمة الخائفين ، ومشاهدة حالاتهم ايضاً لفوز عظيم ، و سماع أحوالهم أيضاً بدل منه .

وأمّا الثاني فعلاجه هو تقوية باعث الدين ، وتضعيف باعث الهوى ، وحبّ الدنيا ، فانّ القلب دائماً معركة هذين الجندين ، حتّى يغلب أحدهما فيملك القلب ، ويكون هو السايس والحاكم فيه ، فيجرى أحكام الدين على الجوارح الّتي هي ايضاً جند القلب .

وتفصيل تقوية باعث الدّين على باعث الهوى ، ليكون له اليد العليا المتصرّفة في مملكة البدن يعلم بمثال .

مثلاً إذا أردنا أن يكون العقل والشرع حاكمين في الشهوة ، فلنا أن نضعّف الشهوة ، ونقوّي العفّة .

أمّا الأوّل فيكون بثلاثة امور :

أحدها قطع اسبابها الخارجة ، وهي الأغذية القويّة والمشهّية نوعا ، و مقداراً ، فلابدّ من قطعها ، فلا يأكل المريد المشهّية النوعيّة ، و يقلّ من المقداري ، ولذا أمر الشرع في تكسير الشهوة بالصوم .

الثاني قطع أسبابها المهيّجة الفعليّة ، فانّها إنّما تهيّج بالنظر إلى مظانّها ، إذ النظر يهيّج القلب ، والقلب يحرّك الشهوة . وهذا أيضاً يحصل بالاعتزال ، والاحتراز عن مظانّ رؤية الصور الجميلة ، والمشهّية ، ولذا ورد في الشرع النهي عن النظر إلى النسوان ، والولدان الجميلة ، وقال ﷺ : النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ، فإنّ سهمه هذا انّما هو من قوس

الصور ، ومن طريق البصر، فلا يدفعه إلّا غمض الاجفان ، والهرب من مظانّ الأبصار .

الثّالث تسلية النّفس بالمباح من الجنس الّذي تشتهيه ، و هو النّكاح .

وأمّا الثّاني ، وهو تقوية العفّة فبوجهين :

أحدهما تذكّر فوائدها وثمرأتها الدنيويّة ، و مثوباتها الاخرويّة ، ممّا ورد في الآيات والأخبار .

وثانيهما تعويدها بالغلبة ، فيكون بالعمل بمقتضاها تدريجاً فيقوى بذلك ، حتّى انّ الغلبة في المرّة الثانية اسهل منها في الاولى ، حتى ينتهي إلى أن لايبقي للخصم قوّة للمصارعة ،

ثمّ انّ الخوف من الامور الاخرويّة أيضاً ينقسم : إلى مكروه ، و حرام ، ومستحب ، وواجب .

و من الأوّل ان يشتدّ من درجة الاعتدال ، فيكف الاشتغال به عن دوام الذكر ، والفكر ، والفراغ لكثرة العمل .

ومن الثاني ان يصل إلى درجة القنوط ، وهو كبيرة موبقة .

ومن الثالث كلما يصير سبباً للتقوى، وزيادة العمل عن حدّ الوجوب الشرعي ،

ومن الرابع كلّما يمنع عن المحرّمات الشرعية ، ويبعث على العمل بالواجبات الشرعيّة .

وايضاً ينقسم بلحاظ آخر : إلى ناقص، ومعتدل وزايد .

فالناقص مايكون سبباً لتألّم ما يوجع القلب ، ويبكى العين ولا يمنع من المحرّمات والشهوات ، ولا يبعث على مجاهدة العبادات ، فاذا سمع آية

أو رواية واردة في وصف جهنّم ، وشدّة عقابها يبكى ، وإذا غفل ينقضي أثره فلا يكفّه عن شيء ، ولا يبعثه إلى امر نظير رقّة النساء ، وهذا ناقص ، وجوده كالعدم، لضعف نفعه ، و هو درجة خوف العامّة ، و المعتدل هو ما ينبعث على العمل ، والتقوى والجهاد الأكبر ، وهو على درجاتها مطلوبة نافعة جدّاً ، ولها مثوبات عظيمة .

والزايد هو الّذي يقضى إلى اليأس والقنوط ، و يكفّ عن العمل ، أو يفضى الى الموت والهلاك ، واخلال العقل ، وهذا هو المرغوب عنه بأقسامه ، والسبب فيه انّ الخوف ، ليس بنفسه من الفضايل ليزداد حسنه بازدياده ، بل هو في نفسه نقص ، وصار مرغوباً لرفع نقص آخر اهمّ من نفسه ، فاذا يكون دايراً مدار ذلك ، فاذا زاد عن الحدّ بحيث لم ينفع في رفع النّقص الآخر، أو زاد في نقصه ، فيكون قبيحاً ، ومرغوباً عنه .

وبالجملة ما يثمر في العمل المرغوب الشرعيّ هو المطلوب ، وما لايثمر في ذلك ، أو يثمر في خلافه ، فهو غير مرغوب فيه قطعاً .

فصل في الخوف عن سوء الخاتمة ، وإنّما افردنا له فصلاً لاستحقاقه لذلك ، فهو سوء حال الانسان عند موته ، سواء ختم بالكفر ، والجحود ، او بالفسق والفجور ، أو بنقص لا يرضى به فانّ الكمل من عباد الله ، إنّما يبكون من ذلك ، وإن كان من جهة كونه كاشفاً من السابقة ، فالامن إنّما هو بالخلاص منه ، وبالجملة سوء الخاتمة ، امّا بالكفر والجحود ، وهو ان يغلب على القلب عند سكرات الموت ، الّتي تكشف بسبب اضطراب الرّوح عندها للمحتضر عن بعض احوال الآخرة ، بمناسبة من أحوال قلبه من العقايد ، والملكات ، أو أثر الأعمال السابقة بالخاصة ، ما يوجب الشكّ أو الجحود ، فيختم له بذلك ، فيصير سبباً للخلود في النار ، وامّا بالفسق والفجور ، وهو

أن يحصل للمصرّ في الكباير محبّة راسخة لبعضها ، بحيث يغلب على قلبه ذكرها ، فيتصوّر له عند الموت صورتها ، فيميل لاقترافها ، فيقبض عليه ، و وجه روحه إلى عالم الطبيعة ، فيكون ناكساً رأسه إلى الدنيا ، فيحجب بذلك عن الله ، و إذا حجب عن ربّه نزل العذاب ، و ظهرت آثار الذنوب ، فانّ الإنسان يموت على ما عاش عليه ، ويحيى على ما مات عليه ، أى يكون عند موته حاله على ما غلب على قلبه من نور الأعمال ، وظلمتها اللذين يجران الثواب ، والعقاب ، بل هما عين الثواب والعقاب ، ولكن على غير صورتهما الجزائيّة ، فاذا انقلب وجه الروح إلى عالم البرزخ ، ينقلب صور آثار الاعمال إلى صورها البرزخيّة الجزائيّة ، فينقلب الظلم مثلا ظلمة ، والدّراهم والدنانير الزكويّة الّتي بخل بها ، ناراً فتكوى بها جبهته ، وظهره ، و قد أشرنا سابقاً إلى انّ لكلّ شيء في كلّ عالم صورة ، غير صورته في العالم الآخر ، وذكرت انّ من هذا الباب ما يرى في المنام بعض الأحوال الآتية بصورها البرزخيّة ، فيعبّره من يعرف حقايق الصّور البرزخيّة ، فينطبق الأمر على ما عبّر ، مثلا رأى رجل في زمان الحجّاج انّ على جدار مسجد رسول الله ﷺ حمامة بيضاء جميلة ، فاذا جاء صقر فصادها ، و حكى رؤياه على ابن سيرين ، قال : كان رؤياك هذا صدقاً ، يتزوّج الحجّاج ابنة عبدالله ابن جعفر ، و ما مضت أيّام حتّى تزوّجها الحجّاج ، و سئل عن المعبّر عن وجه تعبيره ، قال : انّ المسجد صورة بيت شريف ، والحمامة صورة بنات الشرفاء ، والصقر صورة الرجل القاهر الجبّار ، ولم يكن اليوم في المدينة بيت اشرف من هذا البيت ، ولم يكن بها أجمل من بنت عبدالله ، ولم يكن في الرجال أقهر وأجبر من حجّاج ، ولذا عبّرته بهذا التعبير ، فاذاً الحقايق لها صور بحسب العوالم ، فاذا معنى سوء الخاتمة ، ان يكون الانسان في مدّة

عمره ، كسب لروحه آثاراً ظلمانيّة نارية سميّة ، ويظهر عند قرب الموت على المحتضر ما هو الأغلب على قلبه ، وروحه من الآثار والأحوال ، فيميل اليه ويبقى روحه عند قبضه على حال من الأحوال على ذلك الحال ، ويبقى بصورته البرزخيّة ، فيكون معذّباً به ، حتّى ينقضي و يتمّ الأثر ، و يظهر نور الايمان الضعيف عند انقضاء الظلمة للأعمال الراسخة ، فيأخذه روح الله ، و برد عفوه ، هذا إذا كانت آثار الأعمال القبيحة ضعيفة ، و قد يكون قويّة بحيث لا يتمّ في البرزخ ، ويبقى ليوم البعث ، وينقلب على صورها المناسبة لعالم القيامة ، وينقضي في خلال هذه المدّة في بعض مواقفها ، أو يقوى من ذلك أيضاً ، فيدخل في جهنّم فيقضي فيها .

لا يقال : هذا الّذي ذكرت انّما هو آثار الأعمال ، ومقتضيات الصفات فأين الثواب والعقاب ، ورحمة الله وقهره ، وعفوه وأخذه .

قلت : إنّ الآثار إنّما هو الثواب والعقاب ، الّذين يخلقهما خالق الأشياء كلّها برحمته ، وقهره وعفوه وأخذه نظير ما ترى في الدنيا ، انّك تقول رزقني الله ولداً ، أي جعل مائك الّذي خلقه في صلبك في رحم زوجتك ولدا ، أي وهب لمائك في رحم زوجتك الأثر الّذي اودعه فيه بحكمه ، و حكمته وعادة الله بمقتضى حكمته جارية لخلق الأشياء بالأسباب في الدنيا والآخرة ، وذلك لا ينافي نسبة الآثار إلى الله ورحمته ، وغضبه ولطفه و قهره ، ولا ينافي ان يسمّى ثواباً وعقاباً ، فانّ الثواب هو أن يكون عملك مقتضياً لأن يهبك الله ما حكم بعملك هذا من الآثار الخيرية ، من الجنان والقصور والحور ، وهكذا العقاب أن يخلق الله من عملك ناراً تعذّب بها ، هذا كلّه انّما هو قضيّة بعض القواعد العدليّة ، وحكم ما يرى من عادة الله الجارية في عالمنا ، وبعض العوالم القريبه من عالم الحسّ ، والذي وصل إلينا حكمه من الشرايع

من ساير العوالم ، ولعلّه لا بأس به بحكم الشرع والعقل بل والكشف أيضاً ، وبالجملة ليس سوء الخاتمة إلّا أثر الأعمال السابقة ، وليست هي إلّا حكم ما اقتضته الصّفات الذاتيّة ، فظهرت في الجوارح بصورة الأعمال القبيحة ، ليتمّ بذلك حجّة الله البالغة في حكمه ، وليست الصفات إلا بحكم ما وهبه الله بحكمته ، و عدله و جوده للذوات ، حيث سئلت عن ربّها بلسان حال استعدادها ذلك ، فمعنى قول المحقّقين انّا نخاف من اليوم السّابق هوهذا المعنى ، يعنون بذلك إنّا نخاف من اليوم الذي اوجدنا ربّنا ، وسئل لسان حال ذواتنا من الله هذه الصفات الّتي تصير منشأ للأعمال القبيحة ، و الميل إلى عالم الطبيعة ، والاخلاد الى الأرض ، حتّى حجبنا بذلك عن لقاء ربّنا وقربه و كرامته ، وقيّدنا بقيود هذه الصفات الرزيلة ، في سجن عالم الطبيعة المظلمة ، هذا والّذي يتفاوت به الأمر، انّ الاصطلاح انّما قيّد استعمال لفظة سوء الخاتمة بما إذا كان ظهور الشقاوة عند الموت ، بخلاف ما ستر ظاهراً للعامّة من حسن الحال ، وهذا الاصطلاح لا بأس به ، والفرق بين المعنى اللّغوي ، والاصطلاحي بالعموم والخصوص، فإنّ المعنى اللّغوي يصدق على كلّ من ختم له بسوء حال وشقاوة ، والاصطلاح لا يصدق من هؤلاء إلا على من كان ظاهر حاله قبل الموت عند العامّة حسناً ، فظهرت عند الموت أمر باطنه ، من الخبث والشقاء ، وختم له به .

و بالجملة قد يقال : انّ السّبب لسوء الخاتمة بالكفر و الجحود أمران :

أحدهما أن يعتقد الانسان في ذات الله ، وصفاته وأفعاله خلاف الحق ويرى عند قرب الموت حين كشف له عن بعض الحقايق ، خلاف ما اعتقده ، فيصير ذلك سببا لشكّه في ساير معارف ايمانه ، فيختم له بالشكّ ، والزهد

والصلاح لا ينجى من هذا الخطر، كذا قيل ، ولكن ظنّي ان الزهد والصلاح الواقعين ينجيان منه بالخاصية ، امّا من سببه أو من نفسه ، بل السّبب القريب للوقوع في خلاف الواقع من العقايد ، ليس إلا اتّباع الهوى والفساد قيل : والبله بمعزل عن هذا الخطر ، ولم اتحقّق كونه بمعزل ، لأنّهم غالباً يعتقدون بعض الامور الغير الواقعيّة ، فإذا رأو بطلانه يصير ذلك سبباً لشكّهم في غيره من عقايدهم الحقّة ، نعم يمكن أن يدعى انّ ذلك يقلّ فيهم ، من جهة انّهم لا اعتقاد لهم راسخة في باب الصفات والأسماء ، وبيالى انّ المنجي من هذا الخطر بعد فضل الله ان يكون المؤمن فطناً ، قليل الوثوق بنظره و فهمه ، و لا يكون قطّاعاً ، متّكلا على الله في نجاته من الكفر والهلاك ، و كثير الدعاء في ذلك ، بقوله : اللّهمّ ثبّتني على دينك ، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني ، أو يقول : اللّهمّ عرّفني نفسك ، فانّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيّك ، اللهمّ عرّفني نبيّك ، فانّك إن لم تعرّفني نبيّك ، لم أعرف حجّتك ، اللّهمّ عرّفني حجّتك فانّك إن لم تعرفني حجّتك ، ضللت عن ديني . كما ورد به الرواية[1] ، ويكون ثابتاً في الايمان الاجمالي ، بأنّ جميع ما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله و أوصيائه عليهم السلام حقّ ، نعم ليس البحث عن الكلام[2] لأغلب الناس حسن العاقبة ، لا سيّما مع الاشتغال بالجدال كما ورد النهى عنه ، فالاولى في تحصيل المعارف طريق المجاهدة في تزكية النفس ، و دوام الذكر والفكر والدعاء .

---

(١) كما في اكمال الدين للصدوق عليه الرحمة على ما نقل ـه

(٢) يعني البحث في علم الكلام لاغلب الناس ليس حسناً لان اغلب مباحثها مطالب قشرية لا واقع لها ، فيظن الجاهل ان تلك المطالب حق ، فاذا عاين عالم البرزخ ، او غيرها من العوالم عند الموت ، فيرى خلاف ذلك فينكرها فيختم له بسوء العاقبة نعوذ بالله منه .

وثانيهما هو ضعف الايمان في الأصل ، ثمّ استيلاء حبّ الدنيا على القلب ، وإذا ضعف الايمان ضعف حبّ الله ،وقوي حبّ الدنيا : ويغلب القوي على الضعيف ، حتّى لايبقى موضع لحبّ الله ، إلا من جهة حديث النفس ، ولا يظهر له أثر في مخالفة الهوى والشيطان ، فيورث ذلك الانهماك في اتّباع الشهوات ، واقتراف المعاصي ، حتّى يظلم القلب ، ويقسو ، ويسودّ من تراكم ظلمة الذنوب ، ولا يزال يطفي نور الايمان ، حتّى يصير زيناً قطعا ، و إذا جائت سكرات الموت وأيقن فراق الدنيا المحبوبة ، واستشعر ان ذلك من الله يخشى ان يؤثّر في باطنه حبّ الدنيا . وألم فراقها ، بحيث ينكر تقدير الله لذلك ، بل يتبدّل الحبّ الضعيف بالبغض ، فان ختم له في تلك اللّحظة ، مات مبغضاً لله ، . و هذه الخاتمة اسوء من الأولى ، هذا وقد ورد في بعض المعاصي أيضاً كتارك الحج مثلا ، أن يموت[1] يهوديّاً ، أو نصرانيّاً ، وهذا بالخاصية .

و امّا سبب سوء الخاتمة بالفسق والعصيان ، فهو ان يكون ايمانه قويّاً أيضاً ، ولكن يكون مع ذلك مقارفاً للذنوب ، ومنهمكاً في الشّهوات ، فيصير سبباً لان يتمثّل ما يشتهيه عند اضطراب الرّوح ، وضعف العقل ، و يميل إليه ، ويقبض عليه ، وهو راغب إلى معصية الله ، فيصير محجوباً عن الله ويصير ذلك سبباً للعذاب ، ولكن دون عذاب الأوّلين ، ويكون موقتاً بقدر غلبة ظلمة المعاصي على سرّ القلب ، وهذا الّذي يرجى له العفو والمغفرة ، والشفاعة ، و كثير الذكر بالله وباليوم الآخر ، و كثير المواظبة على الطاعات

(١) كما في الوسائل نقلا عن كتاب المعتبر للمحقق الحلي (ره) عن النبي صلى الله عليه و آله.

قال صلى الله عليه وآله : من مات و لم يحج : فلا عليه ان يموت يهودياً أو نصرانياً .

بعيد من هذه الخطرة ، لأنّ القلب عند ضعفه ، وميله إلى الباطن يتصوّر فيه ما غلب عليه ذكره سابقاً ، وارتسخ فيه محبّته ، ويتمثّل له ذلك فيشتغل به جوارحه .

كما حكي انّ بقّالاً كان يموت ، ويلقّنه أهله عند موته بالشهادتين وهو يقول : ستّة ، خمسة ، أربعة ، كلّما يذكر الملقّن له الشهادتين ، وهو مشغول بذكر هذه الألفاظ الّتي أكثر التلفّظ بها في حياته ، حتّى رسخ في قلبه ، قيل : وإنّما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط ، وهو الّذي قال رسول الله ﷺ : انّ الرجل ليعمل بعمل أهل الجنّة خمسين سنة ، حتّى لا يبقى بينه وبين الجنّة إلا فواق[1] ناقة ، فيختم له بما سبق به الكتاب ولهذا أعظم خوف العارفين من ذلك ، لأنّ الانسان لو أراد أن لا يرى في المنام إلا أحوال الصالحين ، وأحوال العبادات والطاعات ، عسر عليه ذلك ، وإن كان للمواظبة على الصلاح والعبادات مدخلا فيه انتهى ، ولا يذهب عليك انّ العمل خمسين سنة بعمل أهل الجنّة ، ليس المراد منه العمل الخالص ، بل مطلق العمل فانّ العمل الخالص في هذه المدّة ، ينجي قطعاً عن سوء الخاتمة ، بل ليس سوء الخاتمة إلا من آثار عدم الاخلاص في العبوديّة ، نظير عبادة إبليس ، وخوف العارفين إنّما هو من جهة الصدق ، والاخلاص ، باحتمال أن يكونوا مقصّرين في الاخلاص مشتبهين في اعتقادهم الاخلاص .

فصل في الرجاء وحقيقته .

أقول : حقيقة الرجاء هو ارتياح القلب لانتظار المحبوب ، وله اطلاقان: الأوّل العام يطلق على مجرّد الارتياح المذكور ، سواء كان غروراً ،

---

(١) الفواق بالفتح والضم : ما بين الحلبتين من الوقت .

وقيل : ما بين فتح يد الحالب وقبضها ، ومنه قولهم : امهلني قدر فواق حالب.

وحماقة أوتمنّياً ، ورجاء خاصّاً ، والاطلاق الثاني في مقابل الغرور ، والحماقة والتمنّي ، وهو الارتياح للمحبوب ، إذا كان احتمال وجوده قريباً ، و هو لا يكون إلّا إذا كان الباقي من أسباب وجوده قليلا ، و شيئاً قريب الحصول للأكثر ، أو شيئاً بعيد الحصول ، وأمّا إذا كان احتمال الوجود بعيداً غاية البعد ، بحيث لا ينتظره العقلاء ، فاسم الغرور والحمق أصدق عليه من اسم الرجاء ، وأمّا اذا كان احتمال وجوده عند الرّجل من جهة عدم علمه بوجود الأسباب ، أو عدمها أو قربها أو بعدها ، فهو التمنّي ، وميزان معرفت درجة الاحتمال ، أن يكون هذا الاحتمال مؤثّراً في طلب المرجو ، ويصدقه العقلاء فانّ كلّ ما يريده الانسان ، ويطلبه لها أسباب كثيرة مختلفة ، وقد يكون بعضها في اختياره ، وقد لا يكون ، والمطلوبات الشرعيّة من قبيل الأوّل ، وحينئذ نقول : الموجود الّذي لم يوجد بعد ، امّا ان يكون اغلب اسبابه الّتي خارجة عن قدرة المكلّف موجودة ، وكان الباقي قريب الحصول ، أم لا ، وأيضاً امّا أن يعلم المكلّف بذلك ، أم لا وفي الصور كلّها امّا ان يأخذ في تحصيل مقدماته الّتي بيده أم لا فحصل ثمانية معان :

الأوّل : ما يكون اغلب الأسباب موجوداً والباقي قريب الحصول والمكلّف يعلم به ، ويأخذ في تحصيل مقدماته التي بيده ، فهذا هو الراجي الصادق في رجائه .

والثاني وهو الّذي كذلك ، ولكن لا يعلم به المكلّف ، ومع ذلك يأخذ في المقدّمات ، وهو المتمنّي .

والثالث هو الّذي كذلك ، وهو يعلم ، ولكن لا يأخذ في مقدّماته الّتي بيده ، وهو المضيّع المهمل ، وله رجاء كاذب ، فانّ من رجى شيئاً طلبه ،

والرابع ان لا يكون الأغلب موجوداً ، وكان الباقي بعيد الحصول ،

وهو يعلم بذلك ، ومعذلك يأخذ في تحصيل المقدّمات ، فهو الأحمق .

والخامس أن يكون كذلك ، ولكن لا يعلم به ، ويأخذ في التحصيل ، وهذا أيضاً كالثاني .

والسادس أن يكون كذلك ، وهو يعلم ، ولا يأخذ ، وهو يدّعي الرجاء وهذا مغرور ، و الّذي لا يعلم بكيفيّة الأسباب ، ولا يأخذ سواء كان الباقي قريب الحصول ، أو بعيده ، فإن ادّعى الرجاء فرجائه كاذب ، وهو في ادّعائه مغرور ، والسرّ في الحكم بكذب الرجاء في صور عدم اشتغال المكلّف بتحصيل المقدّمات الّتي بيده ، هو انّ الرجاء الصادق عبارة عن علم يصير سبباً لصفة تؤثر في فعل ، فإذا لم يؤثر العلم في الصفة ، لا يطلق عليه الرجاء اصلا ، وإذا أثّر في الصفة ، ولكنّ الصفة لم تؤثّر أثرها المتوقّع منها ، يكون وجودها كعدمها ، فيطلق عليها انّها كاذبة .

بيان ذلك انّ الرجاء لا يكون إلا بانتظار الشيء المحبوب للراجي ، فإذا وجد المحبّة ، وجد الطلب لأنّ الانسان طالب للخير والسعادة ، و إذا وجد الطلب لابدّ أن يوجد الارادة والعزم ، فيتحرّك العضلات ، و يتحرّك الأعضاء نحو المطلوب ، وتحصيله ، ولذا ورد [1] من رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف من شيء هرب منه .

هذا وقد مثّل علماء الأخلاق مثالا ، للرجاء ، واخوانه بالبذر ، فانّ الانسان إذا القى حنطة جيّدة مثلا ، في أرض صالحة ذاتاً وصفة ، و كانت في بلاد كثيرة الأمطار ، ثمّ امدّه بالنقيّة ، وإصلاح الأرض ، و كلّما يحتاج إليه الزرع ، ثمّ جلس ينتظر ان يتفضّل خالق الأشياء من زرعه حنطة ، أضعاف

(١) كما في نهج البلاغة لمولى الموحدين علي بن ابي طالب عليه السلام وكما في الكافي عن ابن ابي نجران عن أبي عبدالله عليه السلام ورواية علي بن محمد في باب الخوف والرجاء .

ما زرعه من البذر كان هذا راجياً ، وصادقاً في الرجاء ، ولكن إذا ألقى شعيراً وانتظر حنطة ، أو ألقى في أرض سبخة غير صالحة ، وأرض لا يصل إليه الماء بالسوق ، أو بالمطر ، وجلس ينتظر زرعاً كاملا صحيحاً ، هذا أحمق مغرور ، مثله فيما نحن فيه من ألقى حبّ الرّياء في القلب ، وانتظر ان يحصد نور العمل الخالص ، او قرء القرآن أو شيئاً من الذّكر والدعاء ، والمناجات ، ولكن قلبه مستغرق في ذكر الدنيا ، ومشغول بها ، وبهمومها ، أوقرئها بلقلقة اللّسان ، لا عن حضور القلب وهو ينتظر القبول ، اوأن ينفتح له ابواب أسرار القرآن ، اويجد لذّة الذكر والمناجات ، وان القى بذره في أرض صالحة يصل إليها الماء من الأنهار ، ولكن تركها لايتعاهد البذر ، ولا الأرض بتنقية وسوق ماء ، ونحوه جلس ينتظر الزرع الصحيح ، فهو كاذب في رجائه ومغرور في انتظاره لأنّ الانتظار للمحال العادي غرور ، وإذا ألقى البذر في أرض صالحة من جميع الجهات ، وأتى بجميع ما يصلحها للزرع ، ولكن لاماء لها إلّا الأمطار ، وكان البلد من البلاد التي لا يعتاد فيها كثرة الأمطار ، فانتظر ان يجى المطر في هذه السنة بخلاف السنين الماضية ، يسمّى ذلك تمنّياً ، ومثاله من الشرعيّات لمن يقوم أمثالنا من أبناء الدنيا للتهجّد في لياليه ، ويتضرّع و يتباكى ، و يدعو الله أن يجعل قلبه متأثّراً بوجدان لذّة المناجات ، ويقرء القرآن ويتدبّر ويتفهّم معانيه ، ولكن بقلب متلوّث بحبّ الدنيا ، وهو ينتظر أن يفهم أسراره هذا أيضا تمنّي ، ولكن ليس ممتنعاً أن يأخذه نفحة من نفحات ربّه ، فيصل إلى امنيّته بسببها .

قال الغزالي : وقد علم أرباب القلوب ، إنّ الدّنيا مزرعة الآخرة ، والقلب كالأرض ، والايمان كالبذر فيه ، والطاعات جارية مجري تقليب الأرض ومجرى حفر الأنهار ، وسياقة الماء إليها ، والقلب المستهتر بالدنيا ، المستغرق

بها كالأرض السبخة الّتي لا ينمو فيها البذر ، ويوم القيمة يوم الحصاد ، و لا يحصد أحد إلّا ما زرع ، ولا ينموزرع إلّا من بذر الايمان ، وقلّما ينفع ايمان مع خبث القلب ، وسوء اخلاقه كما لا ينمو زرع في أرض سبخة .

أقول : هذا التشبيه صريح قوله تعالى : « ومن يرد حرث الدنيا نؤته منها ، ومن يرد حرث الآخرة نزد في حرثه » ، وقوله صلى الله عليه وآله : الدنيا مزرعة الاخرة ، وأمّا الدليل النقلي على نفي حقيقة الرجاء لمن لم يجاهد في سبيل الله قوله تعالى: « والّذين آمنوا ،وهاجروا ، وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله » حيث حصر الرجاء فيهم ، وفي سورة الشمس ، دلالة على عدم انتفاع الرجل إلا بالقلب المزكّى ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : فيما روى عنه الفريقان: الأحمق من اتّبع نفسه هويها ، وتمنّى على الله الجنّة ، قيل[1] للصادق عليه السلام إنّ قوماً من مواليك يلمّون بالمعاصي، ويقولون نرجو ، فقال : كذبوا ليسوا لنا بموال اُولئك قوم ترجّحت بهم الأماني ، من رجا شيئاً عمل له ، من خاف شيئاً هرب منه ، وقال [2] لا يكون المؤمن مؤمناً حتّى يكون خائفاً راجياً ولا يكون خائفاً راجياً حتّى يكون عاملا لما يخاف ويرجو .

وليت شعري ما بالنا لا نشكّ في حمق من ألقى الشعير على أرضه ، وانتظر الحنطة ، ولكن ننتظر ان يحصد من بذر النفاق محصول الايمان والاخلاص ، والله تعالى يقول : « ليس للإنسان إلا ما سعى ، و إنّ سعيه سوف يرى » .

فإن قلت : إنّ الأخبار صريحة[3] في أنّ من ظنّ بالله خيراً الله يستحيى

(١) كما فى الكافى فى رواية على بن محمد عن الصادق عليه السلام .
(٢) فى الكافى ايضاً عن الحسن بن ابى سارة فى باب الخوف والرجاء .
(٣) كما فى الكافى باب حسن الظن بالله عن بريد بن معاوية و سيأتي الإشارة اليها ايضاً.

أن يحرمه من ذلك ، وان الله تعالى عند(١) حسن ظن عبده المؤمن ، فان من عمل بالمعاصي و حسن ظنه بالله انه يغفره بل يعامله بكرم عفوه ، فيبدل سيئاته بأضعافها من الحسنات ، فمقتضى هذه الأخبار ان الله تعالى يعامله بما ظنه من هذه المغفرة ، والعفو والكرم .

قلت هو كذلك ، ولا منافات بينه وبين قوله تعالى : ان ليس للانسان إلا ما سعى ، لأن حسن الظن بالله بهذه الدرجة امر عظيم، لا يمكن حصوله إلا بسعي بليغ ، و هو ، مقام من لا يرى في الوجود ضاراً ، ولا نافعاً الا الله ويكون وثوقه بعناية الله اكثر من اعتقاده بتأثير الأسباب، وهذا المقام لا يبلغ بالهوينا ، نعم دعواه كثير ، ولكن حقيقته لا يوجد إلا في الاوحدى من الاولياء ومن كان هذا حاله فعليه ان لا يخاف في الدنيا أحداً . بل شيئا من الأشياء، ويثق بعناية الله في الامور الدنيوية من خيراته ، وسعاداته أكثر منه بالاسباب الدنيوية ، ومثل هذا المؤمن يكون وجود الاسباب وعدمه عنده سواء ، ويكون المدح والذم عنده سواء ، فأين هذا المقام ، فمن لا يثق بضمان الله لرزقه ، فيأكل الحرام ، ويقول الله كريم ، وأنا أقول : الله كريم ، ولكن قولك هذا كلمة حق يراد بها الباطل ، وأنت لست تعتقد بكرم الله بل ولا تعتقد بصدق الله وانه لا يخونك ، وأنت مغرور غرك بربك الكريم عدوك الغرور اللئيم ولو كنت معتقداً بصدق الله وكرمه كنت واثقاً بضمانه ، ووعده و قسمه ، حيث اقسم في كتابه بأن رزقك يصل إليك ، ولم تظلم أحداً في أكل ماله بالحرام وإن شئت صدق دعويك ، فانظر حالك ، وقلبك ، وعملك في الوثوق بكرمه

(١) كما في الكافي ايضاً في رواية اسماعيل بن بزيع عن الرضا عليه السلام.

في محاويجك الدنيويّة ، فاذا رأيت من قلبك وعملك تصديق هذه الدرجة من حسن الظنّ بربّك ، فاقرّ عيناً ، وهنيئاً لك من مقام سني يوصلك إلى منتهى آمالك في الدنيا والآخرة ، وإيّاك ان ترضى بدرجة دون الغاية القصوى ، من درجات المقرّبين .

فصل في أسباب الرّجاء والأصل فيها صفاته الجماليّة ، قيل : وهي أكثر من[1] صفات الجلال .

لا يقال : إن كان الأمر على ما وصفت ، فكيف يزيد عدّة الهالكين على الناجين ،

لأنّا نقول : لا نسلّم ذلك ، فانّ نسبة الملائكة الرّوحانيين بالنّسبة إلى الثقلين ، الّذين فيهم طبقات الهالكين كنسبة البحر إلى القطرة ، فمثل هذه العوالم المظلمة السفليّة ، مع العوالم العالية النوريّة ، كمثل خال في وجه تمثال لصاحب جمال .

وبالجملة الاصل في الرجاء ، انّ الشرّ والغضب وجودهما انّما هو بطفيل وجود الخير والرحمة ، وهو أحد معاني سبقة الرحمة على الغضب .

ثمّ انّ الاعتبار انّما يحكم بقوّة الرجاء ، وذلك لأنّ الانسان إذا نظر في معاملة الله مع خلقه في هذه الدنيا ، وكثرة نعمه الّتي لا تحصى ، وكثرة عنايته تعالى لعدم اهمال شيء من مكمّلاته ، ونوافل عيشه وزينته في بدنه ، ومتعلّقاته ، وأيضاً الأغلب على أهل هذه الدنيا الضيّقة المظلمة ، مع انّها ادون العوالم ، وأبعدها من الرحمة الالهيّة ، السلامة ، بحيث لا يتمنّى

(١) صفات الجمال يطلق على الصفات الثبوتية ، وصفات الجلال على السلبية سواء كانت مصرحة ام راجعة اليها لبا ، مثل سبوح وقدوس فانها ليست في الظاهر سلبية ولكنها راجعة اليها لبا ، اذ معناها سلب النقايص عنه تعالى .

أهلها الموت ، فكيف بدار الحيوان الواسعة النورية .

و قد ورد ان الله أنزل على هذه الدنيا جزء من مائة جزء من رحمته فما يوجد في هذا العالم كلها من هذا الجزء ، وإذا كان عالم الاخرة يضم الله تعالى هذا الجزء أيضاً على أصله ، ويعامل بهذه الرحمة الكاملة مع عبيده ، و كيف كان فقد ورد في الأخبار و الايات امور عظيمة لتقوية الرجاء .

اما الايات فمنها قوله تعالى: «يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله ، فإنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً ، إنّه هو الغفور الرّحيم» .

وقوله تعالى : «ولسوف يعطيك ربّك فترضى» فانه صلى الله عليه وآله لا يرضى بأن يعذّب الله أحداً من امّته .

وقوله : ومن يغفر الذنوب إلّا الله .

وقوله تعالى: وإذا سألك عبادي عنّي فانّي قريب أُجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلّهم يرشدون .

وآية الصلوة .

وقوله تعالى: «فأنذرتكم ناراً تلظّى لا يصليها إلّا الأشقى الّذي كذّب وتولّى» .

وقوله : «ذلك يخوّف الله به عباده» .

وقوله : «وإنّ ربّك لذو مغفرة للناس على ظلمهم» .

وقوله : «واتّقوا النار الّتي اعدّت للكافرين» .

وقوله : «وذلك ظنّكم الّذي بربّكم أرديكم» .

أمّا الأخبار فعن الباقر عليه السلام قال : وجدنا في كتاب علي عليه السلام

انّ رسول الله ﷺ قال و هو في منبره : و الّذي لا إله إلا هو ، ما اعطي مؤمن قطّ خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنّه بالله ورجائه له ، وحسن خلقه والكفّ عن اغتياب المؤمنين ، والّذي لا إله إلا هو ، لا يعذّب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار ، إلا بسوء ظنّه بالله ، وتقصيره من رجائه ، و سوء خلقه ، و اغتيابه ، والّذي لا إله إلا هو ، لا يحسن ظنّ عبد مؤمن بالله إلا كان الله عند ظنّ عبده المؤمن ، لأنّ الله كريم بيده الخيرات ، يستحيي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به ظنّه ، ثمّ يخلف ظنّه ، ورجائه ، فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه .

و عن النبيّ ﷺ يقول الله عزّ وجلّ : أنا عند ظنّ عبدي ، فليظن ما شاء(١) .

وقال : لا يموتنّ (٢) أحدكم إلا وهو يحسن الظنّ بالله .

وقال(٣) رسول الله ﷺ : قال الله : لايتّكل العاملون لي على أعمالهم الّتي يعملونها لثوابي، فانّهم لواجتهدوا ، وأتعبوا أنفسهم أعمارهم في عبادتي كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي ، فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جناتي، ورفيع الدرجات العلى في جواري ، ولكن برحمتي فليثقوا ، وفضلي فليرجوا ، وإلى حسن الظنّ بي فليطمئنّوا . فإنّ رحمتي عند ذلك تدركهم ، ومنّتي تبلغهم رضواني، ومغفرتي تلبسهم عفوي ، فإنّي أنا الله الرحمن الرّحيم ، وبذلك تسمّيت .

وبالجملة الّذي يفهم من الأخبار انّ العبد إذا أذنب ، فهو لايخلو من أن

---

(١) وهذا المضمون كثير في الروايات .

(٢) كما في روضة الواعظين .

(٣) في الكافي باب حسن الظن عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي جعفر عليه السلام .

يندم منه أم لا ، وإذا ندم يكون كفّارة لذنبه ، وإن لم يندم فإن اتبعه بحسنة يكون كفّارة له ، و إن لم يتبعه بحسنة ، فإن لم تكن من الكبائر يكون الصلواة الخمس كفّارة لما يقع بينها ، و إن لم تكن صلوته صلوة مكفّرة ، فإن ابتلاه الله بعقابه في الدنيا باهداء بلاء ومصيبة إليه في دنياه ، تطهّره ذلك وإلا فاستغفار الملائكة من بعده ، وإلا فشفاعة المؤمنين ، و إلا فشفاعة النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام من بعده ، وإلا فرحمة الله الواسعة ، وإن بقى بعد ذالك شيء ، وحرم من ذلك كلّه فيطهّره الله بشدّة الموت ، و إن لم يطهر فبعذاب القبر ، وإن لم يطهّر فبأهوال يوم القيامة ، وإلا فبعذاب جهنّم ، هذا كلّه تفصيل ميزان الله ، وزاد في السوم على نفسه بأن جعل الثواب على الحسنة عشرة ، والعقاب للسيّئة بواحدة ، هذا أيضاً غير ما وعد من التضعيف لاعمال بعض الأزمنة الخاصّة ، مثل ليلة القدر ، وغيرها ، والأمكنة الخاصّة ، مثل مسجد الحرام ، ومسجد الرّسول ، والمشاهد المشرّفة ، ونحوها ، و إن شئت أن تعرف قدر ما تلوت عليك في هذه الكلمات ، فراجع الى ما ورد في تفصيل كلّ واحد منها في الأخبار .

وإذا تأمّلت فيها على التفصيل ، تجدك تشكّ في نجاة إبليس ، ولكن الخوف الحقيقي للاكياس من ضعف الايمان ، وسوء الأعمال المؤدّية لسوء الخاتمة ، والموت بالكفر والجحود ، لأنّ ما ذكرناه كلّه لمن يموت مؤمناً ، وإلا فللمؤمن عند الله قدر من القدر ينجيه ، لا محالة بشيء من هذه الأسباب العظيمة ، والحمد لله كما حمد الله لنفسه ، ربّنا أنت أثنيت على نفسك ، ونحن لا نحصي ثناء عليك .

ويدلّك على عظمة قدر المؤمن ما في حديث الأعرابي ، من قول النبي

---

(١) هو رواية اسماعيل بن بزيع التى تقدمت الاشارة اليه قبيل ذلك عن الكافى

ﷺ إنّ الله شرّف الكعبة وعظّمها ، ولو أنّ عبداً هدمها حجراً حجراً ، ثمّ أحرقها ما بلغ جرم من استخفّ بوليّ من أولياء الله ، قال الأعرابيّ : ومن أولياء الله ؟ قال : المؤمنون كلّهم أولياء الله .

وفيه أيضاً قال : يا رسول الله من يلي الحساب ؟ قال : الله ، قال : هو بنفسه ؟ قال : نعم فتبسّم الأعرابي ، فقال ﷺ : لم ضحكت يا أعرابي ؟ قال : إنّ الكريم إذا قدر عفى ، وإذا حاسب سامح ، فقال النبيّ ﷺ : صدق الأعرابيّ الا لا كريم أكرم من الله ، هو أكرم الأكرمين ، ثمّ قال : فقه الأعرابيّ .

وبالجملة قد ورد الآيات ، والأخبار مختلفة يقوّي الرّجاء ، ولكن علماء الأخلاق من جهة انّ الغالب على النّاس ، ان إذا سمعوا شيئاً منها يجعلونه سبباً لترك العمل ، وترك المبالات في الدّين ، ولا يؤثر فيهم الرّجاء الواقعي الّذي هو مشوّق ومرغّب في الطلب ، كما سمعته يظنّون بذكرها ولكن الاولى الاقتداء في ذلك بأنبياء الله ﷺ في ضبطها في الشريعة ، وعدم إخفائها كليّة ، ولكن قد يعاملون مع الناس في الموارد الجزئيّة هذه المعاملة مثلاً إذا رأوا من عليه الكسل ، وعدم المبالات بأمر دينه كعامّة النّاس ، يكثرون عنده ذكر أسباب الخوف ، ليسوقوه بسوط الله الى الجادّة القويمة ، وإن رأو أحياناً من غلب عليه الخوف ، وقلّ رجاؤه بحيث مال إلى القنوط يكثرون عليه من ذكر آيات الرحمة ، وأسباب الرجاء ، ويقودونه بذلك عن الميل إلى القنوط الّذي فيه هلاكه إلى الطريقة الوسطى ، والمهجة البيضاء ، فانّ الصراط المستقيم الّذي أنعم الله به على عباده ، هو أن يكون الخوف والرجاء فيهم متساويين إلى قرب موته ، فالاولى ان يترك حديث الخوف ، ويشتغل بأخبار الرجاء ليزيده ذلك شوق اللّقاء ، ولا يكدّره الخوف وهو ليس

بنفسه من الصفات الجميلة، ولكنّه مرغوب لفايدة منع النفس عن الشهوات والمعاصي، و إذا تمّ وقت العمل فلا يبقى فيه حسن من جهة تكديره شوق اللّقاء، ولذّة الانس يكون مضرّاً فرغب عنه، ولذلك قيل: انّ العمل على الرجاء اعلى منه على الخوف، لأنّ الرجاء يزيد في الحبّ، و يقوّي لذّة الانس، نعم لأهل المحبّة أيضاً خوف أشدّ من خوف ساير الأصناف، وهو خوف الوقوف، والاعراض، والحجاب، ولكنّه خوف كامن لا يكدّر اشعار أسبابه لذّة المؤانسة. وقلّ مايحتاجون إليه أهله، وقد يبليهم بذلك مايظهر منهم من القلق، والاضطراب على غيرهم من السالكين، ويباهي بهم ملائكة المقرّبين.

خاتمة قد ورد في الأخبار: انّ الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمّنهم من مكر الله فليخلط الوعّاظ في وعظهم من ذكر أسباب كليهما، ولكن من جهة انّ الغالب على العامّة الامن من مكر الله وسخطه، فليكثر من اسباب الخوف، ولا يلتفت لشكوى المستمعين اكثرت من التخويف، وليلاحظ هو بنفسه احوالهم، لايدرون ما الخوف والقنوط والرّجاء، والامن، وشكوايهم إنّما هو ممّا يجدونه من الم أوّل درجة الخوف، فيحسبونه قنوطاً وإلا فكيف لا يرى فيهم أثر الخوف، و كيف تجاوزوا الخوف، وبلغوا القنوط ولم يباشروا به، أو جازلهم الطفرة، فانّ من لم يخف قط خوفاً يمنعه عن المعصية، كيف يدّعي شدّة الخوف، وتجاوزه عن حد الاعتدال إلى القنوط بل ليس قنوطهم ومنهم إلّا من جهة انتفاء الموضوع في قلوبهم، فانّ القنوط تجاوز الخوف عن حدّ الاعتدال، وهو يستدعي ان يعتقد مخوفاً، و يتذكّر شدّته وبأسه، ثمّ يغلب ألم احتراقه في القلب، بحيث ييأس عن النجاة منه

وأين لأهل الدنيا والمشعوفين بحبّها ، والمنهمكين في شهواتها ، والمشغولين على التطالب بحطامها من اعتقاد صادق ، وإن وجد فأين لهم من ذكر الآخرة وشدّة عذابها ، فضلا عن غيبة ألم الخوف بحيث يتجاوز إلى حدّ القنوط ، بل ان وجد فيهم يأس من رحمة الله ، فهو من جهة عدم صدق اعتقادهم بالله ، وشدّة سخطه ، كما انّ الأمن عبارة عن تجاوز الرّجاء عن حدّ الاعتدال ، وهو يستدعي ان يعتقد في الله تعالى عناية ورحمة واسعة ، ويغلب رجائه بحيث ينسى احتمال التخلّف عنه ، فينقلب الرجاء الى الأمن ، واين لعشّاق الدنيا هذا الاعتقاد الصادق ، ثمّ اين في قلوبهم محلّ لذكر الله ورحمته ، فضلا عن غيبة ذلك حتّى ينسى جانب الخلاف ، فينقلب الى الأمن ، بل أمنهم ايضاً مثل يأسهم منشائه عدم صدق عقايدهم بالله ، ورحمته ، وفضله وهبته ، فالسبب في شكويهم ليس الّا من جهة أنّ مذاكرة أسباب الخوف يولم القلب ، ولو في الجملة ، والالم مكروه بالذّات ، و الانسان مجبول بالفرار منه ، والنفس والشيطان يريدان دفع الم الخوف ، لكيلا ينغصّ عليه عيشه وشغله بالدنيا ، فيدلسان عليه الامر ، فيرى انّ خوفه تجاوز عن الحدّ ، ونعم ماكان يقول في جواب هذه الشكوى بعض المعاصرين ره كان يقول : لاتخف فانّك لاتخاف قطعا ، ثمّ إنّ ماذكرنا من مرجوحيّة جانب الترجية لمن ابتلى بوعظ العامّة ، انّما هو في حقّ من يرجيّ بالاسباب الصادقة الواردة في الشرع ، وامّا من يرجى الناس بالاسباب الكاذبة ، ويفترى على الله فهم شياطين الناس ، و قطّاع طريق السالكين الى الله ، وهم اولياء الشياطين ، قدلسوا الامر ، و غشوا للمسلمين في التلبيس بلباس أهل العلم ، والوعظ ، والاشتغال بصورة الوعظ ، فيحرّفون الكلم عن مواضعه ، ويفسّرون الايات والاخبار من عند انفسهم ، مثلا يقول الرّياء في الرثاء معفوّ ، ويستدلّ لذلك باخبار التباكي ، ثمّ يذكر ، و يرثى برثاء

كاذب ، ويصرّ على المستمعين، ويشوّقهم الى الصّيحة، و التباكي ثم يقسم بالاقسام العظيمة ، والايمان المؤكّدة ، انّ أهل المجلس قد غفرت لهم ذنوبهم، وهكذا يذكر شيئاً من العبادات من صلوة وصوم ، يقول : صل مثلا في هذه اللّيلة هذه الصلوة ، ثمّ اذهب حيث شئت ، وقد غفر لك ، و العاصي المسكين يغترّ بقوله ، ويستريح قلبه من الخوف الكامن في قلبه بمقتضى ايمانه ، فيشتاق نفسه إلى حضور مجلس هذا الرجل من جهة ارتياح قلبه عن الم خوف الله ، وهو يرى انّه مجلس ذكر ، و علم وله في حضور هذا المجلس مثوبات مجالس العلم ، مثلا فيجلس فيه ساعة و يتخيّل انّه اصاب أجر مائة شهيد ، والعياذ بالله من الضلال ، والاضلال ، وليكن هذا اخر ما نورده في الخوف والرجاء ، ثمّ إنّي تقدّم بالخوف ، و اختم بالرجاء تفألا بأن يختم الله لي بزيادة الرّجاء على الخوف ،

فصل في القيام ، وهو مسئول بين يدى الله للخدمة و العبادة و اظهار العبوديّة بالقلب والجوارح كلّها ، و كمال قيام البدن أن يكون على طمأنينة وسكون وهيبة وحياء ، مطاطأ راسه ناظراً الى موضع سجوده مقيماً نحره و صلبه مرسلا يديه على فخذيه ، غير عابث بهما ، ولا مشتغل برفع رجليه ، و مستقبلا برؤس اصابع رجليه إلى القبلة ، وصافا بهما إليها ، و فاصلا بينهما باصبع إلى شبر ، وثابتاً عليهما ، و كمال مثول القلب أن يكون ذاكراً لقوله تعالى الّذي يريك حين تقوم ، وأن يكون سكون عليه تحت الاوامر الالهيّة وخجل واستحياء من استشعار القصور ، والتقصير ، في همّته لاداء حق العبوديّة بقدر الامكان ، ومشيراً بارسال اليدين ، وصفّ القدمين للكون في مقام الخدمة، واقفاً على قدم الخوف والرجاء ، وقاصداً باطراق الرأس التبري من الكبر و الترأس ، وليكن ذاكر الهول المطّلع ، وليقدر في نفسه لامحالة انّه حاضر بين

يدى واحد من ملوك الدنيا ، خائنا مقصّرا ، فكيف يكون حاله ، و يكون بشراشر وجوده ناظرا إلى مايصدر عنه من عتاب ، وخطاب ، وردّ و قبول ، و كيف تهدء اطرافه ، وتسكن جوارحه ، وإذا لم تسمح نفسه العوّاد باللّعب والعبث ، واللهو عن عظايم الامور ، و حقايق العزايم بالجد في الخشوع ، و الاستكانة بقدر حضورهذا الملك ، عند حضور ملك الملوك تعالى جلّت عظمته ، فعليه ان يعاتب نفسه ، ويقول : انا استحيي ياخبيث أن يكون هوجلّ جلاله عندك اهون من عبد مملوك لايقدر لنفسه نفعاً ، ولاضرّا ولا موتاً ، ولا حياة ولا نشوراً ، والى م تسلك بي مسالك المهالك ، وتجعلني عندمالكي و سيّدي اهون هالك ، فان لم يكن لك الحياء ، ولم تنفعل من الخطاء و الجفاء فعليك ان تخاف من خطر مقامك ، وسوء حالك لقبيح فعالك ، وقد ورد [١] في الرواية قال رسول الله : أما يخاف من يحوّل وجهه في الصلوة ، ان يحوّل الله وجهه وجه حمار .

قال بعض المحقّقين المراد انّه اما يخاف من يلتفت عن الله ، و عظمته في حال الصلوة ، ان يديم الله غفلته ، فيكون وجه قلبه كوجه قلب الحمار .

فبالجملة هول المطلع أمر عظيم .

روي انّ الحسن [٢] عليه‌السلام كان يبكي عند ذكر هول المطّلع ،

روي عنه عليه‌السلام ايضاً انّه بكى عند وفاته ، وسئل عن بكائه قال : ابكي من هول المطّلع .

فصل في النيّة ، وهي قصد العبادة لكونها محبوبة لنفسها لله أوخوفاً أوطمعاً دينيّاً أودنيويّاً ، والواجب أن يكون خالصة لواحد من هذه الوجوه

(١) نقله الشهيد (ره) في شرح اللمعة وغيره في غيره وبالى الله قدره بذلك .

(٢) أورده في الارشاد وغيره .

مع التعيين او التعيّن ، والاحوط الاوّل إلّا فيما ورد فيه النصّ ، كصوم شهر رمضان ، ولا يضرّ تخلّف بعض الصفات اذا عيّن من بعض الجهات الاخرى ، مثلا إذا أمر المولى بصلوة ركعتين في الوقت الفلاني ، او المكان الفلاني ، و اوجبهما فاتى بها المكلّف بقصد الاستحباب اشتباها لايضر ، وكما اذا اشتبه عليه القضاء بالاداء ، فبدّل أحدهما مكان الاخر لا يضرّ ، و إذا وجد قصد المحبوبيّة فلا يضرّه أن يكون الداعي اليها فايدة دنيويّة ، ولو من باب الخاصيّة ، والعبرة بهذا القصد ، ولو لم يخطر بالبال .

ثمّ انّ القصد في العبادة النيّة و الاخلاص ، و الدليل عليهما الآيات والاخبار .

كقوله تعالى : وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين .

الا لله الدين الخالص ،

وقوله : من كان يرجو لقاء ربّه ، فليعمل عملا صالحا ، ولايشرك بعبادة ربّه احداً ، وقول [1] النبي صلى الله عليه وآله : إنّما الاعمال بالنيّات ،

وقوله عليه السلام : لكلّ امرء مانوى ،

وقوله عليه السلام [2] ومن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله و رسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أوامرئة يتزوّجها فهجرته إلى ما هاجر إليه ، وإنّما قال ذلك في المهاجرة الى الجهاد ، وصار اصلا في جميع العبادات .

قيل أن هذا الخبر عند أصحاب الحديث من المتواتر ، وهو أوّل مايعلمونه

---

(١) رواه في الوسائل في باب وجوب النية في العبادة وهي جزء من الرواية التي رواه في البحار عن منية المريد .

(٢) رواه في البحار عن كتاب منية المريد للشهيد (ره) ، وهي رواية طويلة نفيسة نقلها مختصراً .

اولادهم ، ويقولون : انّه نصف العلم ،

وما روي [١] عن النبيّ ﷺ يقول الله تعالى : من عمل عملا اشرك فيه غيري ، فهو له كلّه ، وانا منه بريء ، وأنا اغنى الاغنياء عن الشرك .

وقول [٢] الصادق عليه السلام · قال الله تعالى : أنا خير شريك ، من أشرك معي غيري في عمل ، لم اقبله إلّا ما كان خالصاً لي .

ومجمل القول في النيّة انّ الصورة الواحدة لعمل واحد ، لايشرك فيها حقايق مختلفة ، لاميزلها الا بالمقصود ،

مثلاصورة الانحناء ، إنّما يشترك فيها التعظيم ، والاستبراء . والتمثيل والتعليم ، والرّياء ، وقد يكون لمجرّد أخذ شيء من السفل ، أو وضعه فيه ، و مرادنا من القصد الباعث للعمل ، فان كان الباعث للانحناء عظمة المولى ، يسمّى ذلك عبادة ، وله حكمها ، بخلاف غيرها من الأقسام المختلفة ، فلا يصدق عليها العبادة ، بل بعضها ضدّ العبادة .

وهكذا القول في العبادة فانها ايضا قد يكون للصنم ، وقد يكون لملك من الملوك ، وقد يكون لله .

وهكذا العبادة لله قد يكون لرغبة أورهبة ، أوتعظيم أومحبّة ، أولكونه اهلاله ، والرغبة ، والرّهبة ايضا ، قد يتعلّق بأمر دينيّ ، أو دنيويّ ، وايضاً قد يشترك في الباعث للعمل عبادة الله وشيء من الامور المذكورة غير الاضداد ، اوغير ذلك من المباحات ، والمستحبات ، فان كان الشريك من المستحبّات ، كما إذا سلّم وقصد به افشاء السنة ، وصلة الرّحم و تعظيم المؤمن ، فهو و جميع ما

(١) رواه في البحار عن مسلم في الصحيح ، ولكن العبارة هكذا : روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال الله عزوجل : انا اغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل عملا اشرك فيه غيرى ، فأنا منه برىء ، فهو للذى أشرك .

(٢) رواه في الوسائل ايضا في باب وجوب النية في العبادة .

ذكر من وجوه عبادة الله فهو صحيح لامحالة ، وأمّا أن كان الشريك من المباحات كقصد التبريد في الوضوء مثلا ، فان كان على وجه التبعية والتقويّة ، لا على وجه العليّة ، فالظاهر إنّه غير مضرّ ، و إن كان على الوجه العليّة التامّة ، أو كان جزء العلّة فهو مشكل ، ويجب فيه الاحتياط ، و إمّا إذا كان الشريك رياء أو سمعة ، أو عبادة أحد دون الله ، فهو باطل مطلقا ، سواء كان في ابتداء النيّة قبل العمل ، أو في الاثناء ، والمتأخر منه حرام على الظاهر ، ومحبط للاجر لما مضى من اخبار الشريك و آياتها ، وغيرها من اخبار الشيعة ، ولا تصغ الى قول الغزالي في هذا الباب ، من كون عبادة من اشرك الغير في نيّته ذات أجر ، و وزر كلّ بحسب قصده ، فان زاد قصد القربة على قصد الغير يترجّح جانب الثواب بقدر الزيادة ، فانّ اخبار أهل بيت الوحي يرده ، وأهل البيت أدرى بما في البيت وهكذا قول من ذهب منا إلى بطلان عبادة من تعبد من خوف النار ، اولدخول الجنّة فانّه أيضا خال عن التحقيق ، والعجب من قائله كيف ذهب إلى هذا القول ، وهو منصوص على جوازه ، بل العبادة الخالصة من الخوف ، و الرغبة الاخرويتين ، غير ممكنة لاغلب الناس ، بل جلّهم إلّا من شذّ من أهل المعرفة الكاملين ، بل ربّما يتعبّد المقرّبون أيضاً من خوف النار ، كما يشهد بعض المناجات الواردة عن الأنبياء والاوصياء صلوات الله على نبيّنا ، واوصيائه وعليهم أجمعين والسرّ في ذلك إنّ ما يشاهد من أحوالهم ، ويدلّ عليه أخبارهم الّتى لاريب فيها ، انّ احوالهم مختلفة بحسب التجلّيات الاسمائيّة ، بمقتضى الحكمة الالهيّة والعناية الربّانيّة ، والّذي لايعرضه الاحوال هو الذّات المنزّه عن جميع الصفات والحالات ، والدليل على اختلاف احوالهم يعرف لمن تأمل في آثارهم من ظهور الخوف الشديد ، و الرّجاء العظيم ، و القدرة و العجز ، و الاخبار عمّا يأتي ، والتحيّر فيما حضر ، والعلم بماكان ويكون ، وعدم العلم

وقوله ﷺ كلّميني ياحميرا ، وظهور بعض الحالات عند نزول الوحي ،

وبالجملة كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول تارة : اناقسيم الجنّة و النّار ، وتارة يغشى عليه من ذكر النّار ، ويقول : اه من نار تنضج الاكباد و الكلى اه من نار نزاعة للشوى ، ويخر مغشيّا عليه ،

وأيضا كان في بعض الدرجات يقترض من اليهود درهما وتارة يصيّر التراب فضّة وذهباً ، وكيف كان لامجال لتوهّم أحد من النّاس لعدم جواز التعبّد من خوف النّار ، ورجاء الجنّة ، فضلا عن أهل العلم ، فضلا عن مثل رئيسهم و شيخهم آية الله شيخنا العلاّمة الحلّي القائل بهذا القول ، ولكن امثال هذه السقطات من هؤلاء الاجلة عبرة للمعتبرين ، و رحمة من ربّ العالمين لعباده المؤمنين لئلاّ يسكن أحد بعلمه وعقله أوغيرهما من فضائله ، و يرى نفسه و جميع نعم الله عنده في قبضة خالقها ومالكها ، وهو لايقدر لنفسه نفعاً ولاضرّا ، ولاموتاً ولاحيوة ولا نشوراً ، ولوكان ذلك غير جايز لماصحّ لاغلب المؤمنين ، ولاجازلهم شيء من العبادة ، بل ولا يكون ذلك إلّا بعد الوصول إلى معارج المقرّبين العارفين بالله ، وباسمائه وصفاته الّذين يرون الجنّة والنّار صورتين لرحمته وغضبه ، ثم التعبّد لخوف النار وطمع الجنّة ، أولشيء من الاشياء عبادة العبيد والاجراء ، وامّا الاحرار والاولياء فلهم مع معبودهم حالات لا يلتفتون فيها إلى شيء ممّا سواه ، حتّى أنفسهم بل ولا الى القرب و البعد ، فضلا عن الجنّة و النار هذا شيء ماورائه شيء ، ولكن دونه ساير مقامات المخلصين ، ومقاصد المجاهدين في الله والمراقبة لاعمالهم ، وآفات أنفسهم على درجاتهم المتفاضله ، فاوّل درجتها أن يكون العبادة خالصة من وجوه الفساد الشرعي المبطل للعمل ، أو المحبط للاجر ، وهو اخلاص العمل عن شوائب الرياء ، والسمعة ، والشرك الخفي ، ومهما بقي للرجل شيء من حبّ المدح ،

وبغض الذّم فلا اطمينان له بالخلاص عن جميع وجوه هذا الشرك ، وهو خفي واخفى ، وقد ورد فيه انّه اخفى من اثر دبيب النّمل ، في اللّيلة الظلماء على الصّخرة الصمّاء ،

ومن كواشفها ان يزيد نشاط الرجل إذا راه أحد للعبادة . لا اقول يزيد في عبادته اذا راه أحد ، بل اقول يزيد نشاطه الواقعي عند رؤية الناس .

ومنها ان يستريح قلبه ويستلذّ روحه اذا ظهرت عباداته المخفيّة كذا قيل ،

وقيل : أن من كواشفها أيضاً أن يرى لنفسه الفضل على غيره ممّن لم يعمل عمله ، وأن يتوقّع من النّاس الاكرام ، والمسامحة في المعاملات .

وحكى عن بعض السادات الاجلاء أنّه قضى صلوة ثلاثين سنة ، لانّه كان يصلّي في هذه المدة صلوته مع الجماعة في الصف الاوّل ، و تأخّر يوماً ففاته الصف الاوّل ، ووجد في نفسه خجلة ، وحياء من النّاظرين ، واستكشف من ذلك الخجل انّه كان فيما صلاّه في الصف الاوّل عند النّاس سروراً وراحة للنفس ، فقضى جميع ماصلّي في تلك المدّة ،

ومن الاخلاص ان يخلص العمل عن ساير القصود المباحة ، ولو كان تبعا لقصد العبادة مثل مايوصف من مجاوري النجف الاشرف ، انّه كان في أيّام العاشورا في البلدة المباركة مجالس قائمة لعزاء الامام الشهيد ارواح العالمين فداه ، و كنت أرى نفسي مائلة الى واحدة من هذه المجالس دون غيرها ، ولم افهم وجه الترجيح ، وعلمت لرغبتي لهذا المجلس ان للنفس فيه مدخلا ، و تفكّرت ولم ارشيئاً زايدافيه من حظوظ النفس ليس في غيره ، ثمّ بالغت في التفكّر ، فظهر لي بعد اللّتيا واللّتي ، انّ اختياري لهذا المجلس لم يكن خالصاً من جميع جهات حظوظ النفس ، و كيف كان للاخلاص مراتب ، لايمكن

تحصيلها الا لمن هداه الله من فضله ، واعطاه الحكمة وجعلها نورا وشفاء لصدره وبصّره حيل نفسه الغرور ومداخل عدوّه الكفور الشرور ، و ايّده بجنوده وسدّده حتّى خلص عمله عن الافات كلّها ، وآخر درجاتها أن يكون العمل خالصاً من شوب جميع الرغبات ، حتّى الاخرويّة منها ويكون العبادة خالصة لوجه الله ، وباعثها حبّه تعالى ، وكونه اهلا له . ولذا [1] ورد في حقيقته ان تقول ربّي الله ثمّ تستقيم كما امرت وتعمل لله لاتحبّ أن تحمد عليه .

وروى [2] عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : طوبى لمن اخلص لله العبادة والدّعاء ، ولم يشغل قلبه بماترى عيناه ، ولم ينس ذكرالله بما يسمع اذناه ،

والقول البالغ في ذلك ما في المصباح ، قال الصادق عليه السلام : الاخلاص يجمع فواضل الاعمال ، وهو معنى مفتاحه القبول ، و توقيعه الرّضا ، فمن تقبّل الله منه ؛ ورضي الله عنه فهو المخلص ، وإن قلّ عمله ، ومن لايتقبّل الله منه ، فليس بمخلص وإن كثر عمله ، اعتباراً بآدم و ابليس ، و علامة القبول وجود الاستقامة ببذل كلّ المحاب ، مع اصابة علم كلّ حركة و سكون ، و المخلص ذائب روحه وباذل مهجته في تقويم ما به العلم و الاعمال ، و العامل والمعمول بالعمل لانّه إذا ادرك ذلك فقد ادرك الكلّ ، واذا فاته ذلك فقد فاته الكل ، وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد ،

كما قال الاوّل [3] : هلك العاملون إلّا العابدون ، و هلك العابدون إلّا العالمون ، وهلك العالمون إلّا الصادقون ، وهلك الصّادقون إلّا المخلصون

---

(١) لم نعثر عليه

(٢) رواه في الوسائل في باب وجوب الاخلاص في العبادة والنية وآخر الحديث « ولم يحزن صدره بما اعطى غيره »

(٣) وهذه عبارة مصباح الشريعة في باب الاخلاص

وهلك المخلصون إلّا المتقون ، و هلك المتقون إلّا الموقنون ، و إنّ الموقنين لعلى خطر عظيم ،

قال الله تعالى لنبيّه واعبد ربّك حتى يأتيك اليقين ، وادنى حدّ الاخلاص بذل العبد طاقته، ثمّ لا يجعل لعمله عند الله قدراً ، فيوجب به على ربه مكافاة بعمله ، لعمله إنّه لوطالبه بوفاء حقّ العبوديّة لعجز ، وادنى مقام المخلص في الدنيا السلامة من جميع الاثام ، وفي الاخرة النجاة من النّار والفوز بالجنّة انتهى والظاهر انّ المراد من قوله : مفتاحه القبول ، وتوقيعه الرّضا ، أنّه لاسبيل الى التخلّص من شوائب الشرك الخفى إلّا بفضل خاص من الله ، وهو القبول لمن رضى له بمثل هذا المقام السنى وأن يبصّره حيل النفس ومداخل الشيطان ، بدقايق العلم ، ويوفّقه ويسدّده للتحرّز منها ، فيكون عمله خالصاً لوجهه الكريم ، وهذا هو العمدة ، وأن كان العمل قليلا ، ولا عبرة بكثرة العمل إذا لم يكن خالصاً .

كما اشير إليه في الرّواية الواردة في تفسير قوله تعالى : ليبلوكم ايّكم احسن عملا ، ليس يعنى أكثركم عملا بل اصوبكم عملا ، و المراد من قوله وعلامة القبول ان يعرف هذا الّذي تقبله ربه ، وجعله من المخلصين ، لئلّا يغترّ احد بأنّه ممّن قبله لله ، ورضى عنه ، فجعل العلامة وجود الاستقامة ، وهو الّذي اراده الامام عليه السلام في خبر آخر في حقيقة الاخلاص بقوله : و هو ان تقول ربّي الله ثمّ تستقيم كما امرت ، وتعمل لله لاتحبّ أن تحمد عليه، ولذا قيّدها بكونها ببذل كلّ المحاب مع اصابة علم كلّ حركة وسكون ، لأنّ السالك إذا بقى في قلبه مراد ، ومقصود غير وجه الله لا يستقيم له الاخلاص ، فلا يكون له بدّ من ان يراعى هذا المراد ، و المحبوب في حركاته ، فهو معنى بذل المحاب كلّها ، وهذا ايضاً لا يكفيه إذا لم يعلم وجه رضى ربّه في حركته وسكونه

لانّه يمكن ان لايكون له قصد سوى وجه الله ، ولكن يجهل وجه رضاه في اعماله ، فيكون عمله عمل جاهل متنسّك ، فوجب العلم فاحتاج مريد الاخلاص بمجاهدة شديدة في تقويم علم الحركات ، والسكنات بأن يخلصها من البدع ، و الابتلاء بخلاف رضى الربّ وتقويم الاعمال وتقويم نفسه ومايحصل من عمله أوحفظ عمله عن الابطال بعده كلّ ذلك يحتاج إلى المجاهدة الشديدة ، والصبر العظيم لتحمّل الاعمال الشاقة في تحصيل العلم النّافع ، وتذكية النفس فانّ اذيال الغروز في الاعمال اوسع ممّا بين العرش والفرش ، ولااظنّ احدا يتخلص منه إلّا من عصمه الله بلطفه ، ولذا ترى النّاس يعملون عمل المقرّبين ، ولا ينتفعون منه بشيء ، وليس ذلك إلّا من جهة آفات الاعمال ، وإلّا فلوكان العمل عملا ، فلابدّ ان يثمر نوراً ، ومعرفة في القلب ، فلا يزال يزداد نوره ، حتّى يكون محسوساً لكلّ احد ، اماسمعت مافي الحديث القدسي لايزال يتقرّب العبد اليّ بالنوافل ، حتى اجعله مثلي الخ ، ولايزال يتقرّب العبد اليّ بالنوافل حتّى احبّه وكنت سمعه الّذي يسمع به الخ كيف يمكن ويتصوّر ان يكون الصّلوة معراجا ، وزيارة لله ولا يزاد بها نور القلب وصفائه ، وزهده عن الدّنيا ، و اقباله على الله ، اما سمعت قوله ﷺ : من لم تنهه الصلوة عن الفحشاء والمنكر ، لايزداد في صلوته من الله الابعدا ،

وبالجملة من اشتغل غالب أوقاته بالعبادة نظيراغلب النّاس ، لاسيّما أهل العلم فانّ غالب شغلهم العبادة لأنّه لاعبادة اشرف من تحصيل العلوم الربّانيّة ولايرى في قلبه نوراً وصفاء وزيادة معرفة ، فيعلم بالقطع انّ عمله معيوب ، وهو من جملة الاخسرين اعمالا ، الّذين ضلّ سعيهم في الحيوة الدنيا ، وهم يحسبون انّهم يحسنون صنعا ، وليحذران يبدوله من الله ، مالا يحتسب ، و يبدوله سيّئات اعماله ، ويرى مثلا صلوته في كفّة سيّئاته ، وتحصيله للعلم

تحصيلا للجاه والشرف ، وهكذا ،

وبالجملة يعمل في مدة عمره خمسين اوستين سنة عمل اهل الله في زمرة اهل القدس والتقوى ويدعى في الناس بالمقدّس ويشار إليه بالتقويّ ، ويكون اسمه في الدنيا مؤمناً ومتقياً ومجاهداً في الله وفي الاخرة مرائيا وغادراً وفاجراً بل منافقاً كافراً والعياذ بالله من الغرور ، و الشيطان الغرور ، ولا ارى ولا اعتقد داء للقلب اضرّ للسّالك ، ولااقرب الى الهلاك من الغرور ، ولا عملا يكون احسر للرّجل يوم الحسرة ، ولااخسر من عمل المغرور ، وها نحن هذا المغرور ، انجانا الله بفضله من غوائله ، ومااقبح حالنا اذا رأينا في صحايف اعمالنا ، بل وجدنا في صحيفة انفسنا ماحسبناها عبادة لله أنّه كان من جملة عبادة الشيطان ، ومبعدا عن الله ، ووجدنا نورنا ظلمة ، و شفيعنا ماحلا ، انّالله وانا إليه راجعون ، مصيبة عظم رزئها وجلّ عقابها ، فوا اسفاه من خجلتي ، وافتضاحي ، ووالهفاه من سوء عملي ، واجتراحي كيف يكون حال من يلوم النّاس ، و يعظهم من مخالفة الله ، ومعصيته اذا واجههم يوم القيمة ، وهم مغفورون ، وفي وجوههم نضرة النعيم وهذا قد اسودّ وجهه من ظلمة المعاصي ، ولعمري انّه مصيبة بخلاف مصائب الدّنيا ، لان مصائبها إنّما كان لها سلوة بالمثوبات الاخرويّة ولصاحبها اسوة بالابرار ، ومصائب الاخرة مصائب لاسلوة منها ابدا ، ولااسوة فيها الا للشيطان وحزبه ، وهم اعداء الله المخذولون الملعونون ، نعوذ بالله الهادي وباسمائه الحسني كلّها عامّة أن ينجينا من غوائل وجوه الغرور ، او يبدّل سيئّاتنا بالحسنات ، فانّه وليّ الرغبات ، والمنجي من الهلكات ،

وبالجملة قداشار عليه السلام بقوله : وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد ، إنّ الاخلاص لايكون إلا بالنزوع عن جميع وجوه الشرك ، ولايصحّ ذلك إلّا لمن وحدالله في الوهيّته توحيدا ، يسري في اعماله ، فيكون موحّدا بشراشر

وجوده واعتقاده وعمله ، ولايرى في ملك الله مؤثراً غيرالمالك الحقيقي ، فلا يرى ضارّاً ولانافعاً غيرالله ، ومثل هذاالرجل كيف يبقى له مراد ومقصودغير الله ، لأنّ الانسان لايتحرّك الى شيء بحركةاختياريّةإلالمايراه خيرا،وسعادة لنفسه امّا في العاجل ، وهو الغالب للعامّة ، أوالاجل وهوالغالب للعقلاء ، و اذا لم يرفي الوحود مؤثّراً غيرالله ، فلا يبقى له رغبة ، ولارهبة إلّا الى الله ، و من الله ، ويدخل في عبادالله ، ولا يكون للشيطان عليه سلطان ، لانّ سلطانه في باب الاخلاص والشرك ، انّما هومن وجوه الرغبة والرهبة ، واذا انسدبابهما بفتح باب التوحيد ، فقدخنس اللّعين .

ثمّ إنّ هذاكلّه بالنسبة إلى اصل الاخلاص ، وأمّا تفصيل مراتبه ، فيعلم من تفصيل مراتب معارف الايمان ، فكل مؤمن بحسب معرفته له اخلاص لا يمكنه غيره ، الّا بالترقي عن معرفته إلى مافوقها من المعارف ، فانّ العمل للجنّة والنار لاينافي اخلاص بعض المؤمنين ، ولكن ينافي في بعض الاحيان اخلاص بعضهم ، فانّهم في بعض الاوقات لايسعهم الالتفات إلى القرب والبعد ، فضلا عن الجنّه و النّار ، هذا و يستحبّ للعامّة ان يكون [1] صلوته صلوة مودع ،فكأنّه آخر صلوته فانّه يزيد في اقباله وخشوعه .

فصل في الاذان والاقامة ، وفيه فصول :

الاوّل في فضيلتهما .

عن ثواب الاعمال [2] باسناده عن رجل وعن ابن عبّاس قال قال رسول الله ﷺ : من تولّى اذان مسجد من مساجدالله ، فاذّن فيه وهو يريد وجه الله ، اعطاه الله عزّوجلّ ثواب اربعين الف الف نبيّ ، واربعين الف الف صدّيق

(١) كما مر عن السجاد عليه السلام .

(٢) نقله في البحار وغيره .

واربعين الف الف شهيد ، وادخل في شفاعته أربعين الف الف امّة ، في كلّ امّة أربعون الف الف رجل وكان له في كلّ جنة من الجنان اربعون الف الف مدينة ، في كل مدينة اربعون الف الف قصر في كلّ قصر اربعون الف الف دار ، في كلّ دار اربعون الف الف بيت في كلّ بيت اربعون الف الف سرير ، على كلّ سرير زوجة من حور العين ، سعة كلّ بيت منها مثل الدنيا اربعون الف الف مرّة ، بين يدى كلّ زوجة اربعون الف الف وصيف ، واربعون الف الف وصيفة ، في كلّ بيت أربعون الف الف مائدة ، على كلّ مائدة اربعون الف الف قصعة ، في كلّ قصعة أربعون الف الف لون من الطعام ، لو نزل به الثقلان لادخلهم في ادنى بيت من بيوتها لهم فيها ماشاؤا من الطعام والشراب ، والطيب واللباس و الثمار ، والوان التحف والطرائف من الحلى والحلل ، كلّ بيت منها يكتفى بمافيه من هذه الاشياء عمّا في البيت الاخر ، فاذا اذن المؤذن فقال : اشهدان لااله إلّا الله ، اكتنفه اربعون الف الف ملك ، كلّهم يصلون عليه ، ويستغفرون له ، و كان في ظلّ الله عزّ وجلّ حتّى يفرغ : وكتب له ثوابه اربعون الف الف ملك ثم صعدوا به الى الله عزّ وجل [١] ،

وفي حديث [٢] بلال الطويل : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم سمعت رسول الله ﷺ يقول من اذّن عشر سنين اسكنه الله مع ابراهيم في قبّته او في درجته و الاخبار في انّ من صلّى مع اذان و اقامة يصلّى معه صفّان من الملائكة فوق حدّ الاستفاضة و في بعضها ، قلت له : وكم مقدار الصفّ قال

---

(١) رواه في البحار عن مجالس الصدوق (ره) ، وهى رواية طويلة لم ينقل صدرها ولا ذيلها ، وهى مشتملة على فضائل كثيرة ، و نقل منها المؤلف (ره) فضيلة واحدة فقط .

(٢) كما في البحار عن ثواب الاعمال .

اقلّه ما بين المشرق و المغرب، و اكثره ما بين السّماء و الارض، و روى [1] عن علي عليه السلام انّه قال: قال رسول الله: للمؤذّن ما بين الاذان و الاقامة مثل اجر الشّهيد المتشحّط بدمه في سبيل الله، قال قلت: يا رسول الله انّهم يجتلدون على الاذان قال كلا انّه ليأتى على النّاس زمان يطرحون الاذان على ضعفائهم، و ذلك لحوم حرّمها الله على النّار وعن [2] مجالس الصّدوق باسناده عن الصادق عليه السلام عن ابائه، قال قال النّبي صلى الله عليه وآله: الاومن اذّن محتسبا يريد بذلك وجه الله صلى الله عليه وآله اعطاه الله ثواب اربعين الف شهيد، و اربعين الف صدّيق، و يدخل في شفاعته اربعون الف مسئى من امّتى الى الجنّة، الا وانّ المؤذّن اذا قال اشهدان لا اله الّا الله صلى عليه تسعون الف ملك، واستغفروا له، و كان يوم القيمة في ظلّ العرش حتّى يفرغ الله من حساب الخلايق، و يكتب ثواب قوله اشهدانّ محمّداً رسول الله اربعون الف ملك،

اقول: اياك ان تقول في امثال هذه المثوبات الواردة في جزاء الاعمال انّها صدرت مبالغة، لانّه قول طايفة من الملاحدة، فان استعدّ عقلك الضّعيف، فلك في رفع استبعاده امران: الاوّل ان تعرف انّ القدر المتيقّن من هذه المثوبات انّما هو لمن اتى حقايق هذه الاعمال خالصة لوجه الله، ثمّ تتفكّر في انّه لا يمكن ذلك الّا لواحد بعد واحد من الاوحديّين، وامّا امثالنا من العامّة، فلأن يكون بعض عباداته مبعدة عن الله، ومعصيته موجبة للنّار احق من ان يكون

---

(١) في الوسائل باب استحباب تولى الاذان رواه عن الشيخ، ورواه في البحار عن ثواب الاعمال، وفي بعض الالفاظ اختلاف يسير، ففي رواية الشيخ: يجتلدون و رواية الصدوق: يغتارون، و في بعض النسخ: يجتازون بالجيم و الزاء، والكل واضح.

(٢) رواه في البحار

مقرّبة اليه ﷺ، و موجبة للمثوبات ، و انت اذا تأمّلت في معنى لا اله آلا الله ، ورايت انّه كلمة توحيد ، ومعناه اثبات الالوهيّة ، والمنفرديّة له تعالى ، و نفيها عن غيره ، ثمّ تأمّلت في نفسك و رايتها انّها تعامل مع الله في جميع تقلّباتها معاملة من لايعتقد فيه الوهيّته ، و انّما يعتقد الالوهيّة والمنفرديّة لكلّ من يعتقد فيه شيئاً من القوّة ، والقدرة من المخلوقين ، ولا يثبتها على الله، ولايفزع في حوائجه اليه بل الى الاسباب والوسايط ، مثلاترى نفسك اذاكان لهاب ذو ثروة ، وذو عدّة وكفاية لمهمّاته ، يطمئنّ له بحوائجه ، ويفزع اليه في مهمّاته ، و ليس تطمئنّ الى الله ، ولا تفزع اليه ، ولا تسكن الى وعده الرّزق ، و الاجابة لدعائه اذا دعاه ، و هو معذلك يقول في لسانه : لا اله آلا الله ، هل يكون هذا موحّدا ، و هل يصدق عليه في قوله هذا : انّه موحّد صادق في توحيده ، او مشرك و كاذب او عابث ، ولاغ او مستهزء و منافق ، و اذا اعتقدت انّ لا اله آلا الله كلمة عظيمة ، لا يقدران يقولها حق قولها آلا العارفون بالله ، فلايستبعد ماورد فيه من المثوبات، و الامر الثّانى ان يتفكّر في قدرة الله ، و انّ جميع ماوردفي الاخبار من وصف المثوبات ، والجنّة انّما يقدر على خلقها بارادة واحدة ، و بقول كن ، ولا مؤنة له عزّ وجلّ في خلقها و اضعافها الى غير النّهاية ابداً ، فانّه يفعل ما يشاء ، و يخلق ما يريد ،ولا يؤده خلقه و حفظه ، و يتفكّر في عنايته وانّه جواد ، لايبخل ، وهو اكرم الاكرمين ، و ارحم وارءف للمؤمن من الاّم الشّفيقة ، فاذا اجتمع لك معرفة الامرين ، و تصديقه بحقيقة التصديق لا تستبعد شيئاً من ذلك فانّ استبعاد هذه المثوبات في انظار العامّة انّما هو بوجهين : احدهما استعظام امكانها و القدرة بخلقها ، وتخيّل مؤنة في خلقها ، وحفظها لخالقها ، وثانيهما استحقار

موجبها ، و انّما يدفعها الامران المذكوران كما هو ظاهر .

فصل ورد في بعض الاخبار[1] استحباب زيادة الشّهادة فيهما بالولاية ، او امرة المؤمنين لعلي عليه السلام مرّتين بعد الشّهادة بالرّسالة ، و اعترف به الصّدوق في روايته والشّيخ والعلاّمة قال الصّدوق : كنّا نعرف الغلاة بروايتها: و ذكر الشّيخ انّ رواتها من المفوّضة ، ثمّ ذكر انّه لا بأس بقولها ، اقول : امّا كونها من اجزاء الاذان الّتي تبطل تركها ينفيه الاخبار الكثيرة ، و امّا استحباب ذكرها فيهما ، فلا معارض لهذه الاخبار فيها ، و ان لم يصحّ اسنادها فلا بأس بالعمل بها من باب المسامحة ، و يرجى لمن قالها رجاءً للثواب ان يعطيه الله ذلك الثّواب ، و ان لم يكن مستحبّاً في الواقع ، و امّا شذوذ اخبارها فهو يمنع عن العمل بها عند التّعارض ، ولا تعارض فيها في مجرّد استحباب الذّكر ،

وامّا قول الصّدوق : انّ روايتها كان عنده ميزاناً لمعرفة الغلاة ، فهو ميزان مخصوص به ، و لم يثبت لنا كما هو الشّان في بعض موازينه الاخر للرّمي بالغلو .

فصل في حكمهما امّا الاذان فلا اشكال في عدم وجوبه لكلّ صلوة للمنفرد ، و الاحوط عدم تركه في الجماعة اذا لم يجمع بين الصّلوتين ، و

---

(٤) كما في رواية الطبرسي في الاحتجاج ؛ و رواه الصدوق في الفقيه عن أبي بكر الحضرمي في مقام الطعن على الشيعة .

أقول: ورد في روايات عديدة ، انه يستحب الشهادة على ولاية علي عليه السلام وامرته بعد الشهادة على رسالة نبينا صلى الله عليه وآله ، كما ورد في البحار في تفسير قوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وأفتى به بعض اجلة فقهاء الشيعة رحمهم الله فلاحظ وتدبر .

احوط منه عدم تركه للمنفرد في الفجر و المغرب في الحضر ، ان لم يسمع اذان الغير .

هذا كلّه للرّجلين و امّا النّساء فلا يجب عليهنّ اذان ؛ ولا اقامة في شيء من الصّلوات في حال من الحالات ،

و امّا الاقامة فالاحوط ان لم يكن اقوى عدم تركها للرّجل مطلقا، نعم يسقطان في المسجد اذا صلّى فيه جماعة ، وان لم يصلّ معهم وان لم يسمع اذانهم واقامتهم ، لكن بشرط بقاء المصلّين او بعضهم على هيئة الجماعة ،

فصل يستحبّ فيهما الطّهارة والاستقبال ، والقيام وتتأكّد في الاقامة و الاولى بل الاحوط ان لايترك فيها و الاستقبال في الشّهادتين آكد منه في غيرهما و كذا يستحبّ الوقف على الفصول مع التّأنّي في الاذان والحدر[1] في الاقامة ، و رفع الصّوت للرّجل في الاذان والافصاح بالالف و الهاء ، و

(١) قوله : يستحب الوقف آه اقول : المراد من الوقف هو الوقوف على اواخر الفصول في الاذان ، و المراد من الحدر في الاقامه هو الاسراع الموجب لظهور الاعراب في اواخر الفصول ،

و اما قوله : و الافصاح بالالف و الهاء ، فقد ورد في روايات كما في الوسائل و غيره : ان الاذان جزم بافصاح الالف و الهاء ، و الاقامة حدو .

فيمكن ان يكون المراد بالالف والهاء المأمور بافصاحهما مطلق الالف والهاء الواقعين في الاذان : كما في لفظة « اشهد » و« الله » و « لا اله الا الله » و عرفان عدم الافصاح بالالف و الهاء فيها وربما يغير المعنى تغييراً فاحشاً ، و يمكن ان يكون المراد الالف و الهاء في لفظة الجلالة فقط ،

او في لفظ « اشهد » فتدبر فلا مجال لنا في اطالة الكلام .

و راجع الكتب الفقهيه ، واما ساير المستحباب التي ذكرها قدس سره ، فهي مذكورة في الكتب الفقهيه ، و كتب الاخبار ، و مشهورة عند الشيعه ، فلا حاجة الى تطويل الكلام فيها .

وضع الاصبعين في الاذنين عنده ، ويستحب الفصل بينهما بخطوة ، ودعاء ، و سجدة ، ور كعتين من نوافل الظهر والعصر في اذانهما ، وفي بعض الروايات ان من اذن ثم سجد ، و قال لا اله الا انت ربي سجدت لك خاضعاً خاشعاً غفرالله له ذنوبه ،

و في الاخر من سجد بين الاذان و الاقامة ، و قال في سجوده رب لك سجدت خاضعاً خاشعاً ذليلا، يقول الله : ملائكتي ، وعزتي ، وجلالي لأجعلن محبته في قلوب عبادي المؤمنين ، و هيبته في قلوب المنافقين ،

وفيها قال ابوعبدالله عليه السلام : من جلس بين اذان المغرب و الاقامة ،كان كالمتشحط بدمه في سبيل الله ، ويستحب الدعاء جالساً بالمأثور ، وهو اللّهم اجعل قلبي باراً ورزقي داراً ، واجعل لي عند قبر نبيك صلى الله عليه وآله قراراً ومستقراً ، وروى الفصل بركعتي الفجر بين اذانيها ، و بالجملة الفصل مؤكد بينهما ، لا ينبغي تركه عمداً ، ومن السنة أن تكون في الظهر والعصر بركعتين من نافلتهما ، ويستحب أيضاً في الفجر بركعتيها للامام المنتظر ، بل للمنفرد ، أيضاً ، وفي باقي الصلوات بسجدة ، أو جلسة ، أو نفس ، أوتسبيح أو تحميد ، و يستحب في الجماعة لغير المؤذن ، ان يجلس حتى يقول المقيم ، قد قامت الصلوة ، فيقوم ، ولا يجلس ، ثم ان الأحوط أن يكون عند الاشتغال بفصول الاقامة قائماً ساكناً ، مستقبلا ، و يراعي أحوال الصلوة فيها و لا يتكلم فيها بغير ما يتعلق بالصلوة ، وردت الروايات بحرمة التكلم إذا اقيمت .

فصل في عبرهما قال في الحقايق : وإذا سمعت نداء المؤذن ، فاحضر في قلبك نداء يوم القيامة ، وتشمر بظاهرك ، وباطنك للاجابة والمسارعة ، فان المسارعين إلى هذا النداء ، هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء ، فان وجدته مملوءاً بالفرح ، و الاستبشار ،

مشحوناً بالرغبة إلى الابتدار ، فاعلم انّه يأتيك النداء بالبشرى ، والفوز يوم القضاء ، ولذلك قال النبيّ ﷺ ارحنا يا بلال ، ارحنا بها وبالنداء إليها ، إذ كانت قرّة عينه فيها .

أقول : يعني الأذان نداء اللّقاء ، وكما أنّ يوم القيمة ينادون النّاس إلى العرض على الله ، فكذلك المؤذنون ينادون المؤمنين إلى مجلس الحضور والمعراج والزيارة ، فإن كان حال الانسان في هذه الدّنيا من المعرفة بحيث يلتذّ بهذا النداء ، فالمعرفة في الدّنيا بذر المشاهدة في الآخرة ، و إن كان من الجهالة بحيث يسوء من هذا النداء ، فهو أيضاً يورث سوء حاله من نداء يوم القيمة ، و إن كان من الغافلين ، يكون حاله ما يناسب غفلته ، فكذلك الحال في ساير مقامات الدين ، ونواميس الشرع ، فإنّ الإنسان يموت على ما يعيش ويحشر على ما يموت ويحصد ما زرعه في أرض قلبه ، فمن عرف موقع الصلوة في معاملته مع ربّه ، وعرف انّها لطف عظيم من الله الرحيم ، لابدّ أن يكون قرّة عينه في الصلوة ، ولابدّ أن ينتظرها كما ينتظر مجالس الأُنس مع أحبّائه ، و يجيب به نداء الأذان بما يجاب به دعاء الأحبّاء ، وإن شئت أن تعرف حقّ ذلك فانظر معاملة الله تعالى معك عند اقبالك عليه واعترف بأنّك لو بذلت جميع قدرتك في تحصيل حقّ أدب هذا النداء ، لا تأتي بجزء من عشر معشار ما يجب عليك بحكم الحكمة والعدل ، وإن عرفت ذلك بحقيقة المعرفة ، لا تكسل عن أداء ما يمكنك في ذلك ومعذلك لا يخلو قلبك من حياء التقصير ، وعند ذلك يدركك من قبوله تعالى ، وشكره العظيم ما لا يبلغه فطنة العلماء ، وعقول العقلاء .

وقال : واعتبر بفصول الأذان وكلماته ، كيف افتتحت بالله ، واختتمت بالله ، واعتبر بذلك إنّ الله هو الأوّل ، والآخر والظاهر والباطن .

أقول : كأنّه أراد انّ في وضع الأذان كذلك اشارة إلى هذا .

قال ووطّن قلبك بتعظيمه عند سماع التكبير ، واستحقر الدّنيا و ما فيها ، لئلا تكون كاذباً في تكبيرك ، وأنف عن خاطرك كلّ معبود سواه بسماع التهليل .

أقول : المراد بكل معبود سواه كلّ من يعامل معه بمعنى العبوديّة و إن انكر ظاهراً عبادته ، فإنّ العبادة حقيقة التواضع ، والميل والتبعيّة ، فيدخل فيه اهواء النفس الّتي هي من أبغض المعبودات الّتي تعبّد في الأرض كما في الخبر ، ويدخل أيضاً الشيطان ، والدنيا بوجوهها الباطلة .

وقال : واحضر النّبيّ ﷺ وتأدّب بين يديه ، واشهد له بالرّسالة مخلصاً .

أقول : اخلاصها عبارة عن تخلية القلب من وجوه الاعتراض في أحكام الشرع ، حتّى لا يكون في نفسه وقلبه حرج ممّا جاء به ، و قضى عليه و لو اضرّ به .

وقال : وصل عليه واله .

أقول : وتفكّر في معرفة الصلوات لتكون عالماً بما تدعوه وتطلبه من الله لهم ، ووفق بين قلبك ولسانك في ذلك ، ليقع عن عناية ، و معرفة لا عن جهل ومجرّد لقلقة اللّسان .

وقال : و حرّك نفسك واسع بقلبك وقالبك عند الدّعاء إلى الصلوة ، وما يوجب الفلاح ، وما هو خير الأعمال .

أقول : إن امكنك ان تعتقد بحقيقة قلبك ، بانّ الصلوة معراج العبد وزيارة الربّ لتعتقدانّها موجبة للفلاح ، وإنّها خير الأعمال ، ولا ترضى من اتيان أعمالها وأركانها كلّها بالصورة ، وأذكارها و مخاطبتها و مناجاتها بلقلقة

اللّسان ، ويتأثّر قلبك وروحك من افعالها ، وقرائتها ومناجاتها ، و تكبيرها الّذي هو المقصود الأصلي منها ، بل هو روحها وحقيقتها ، فعند ذلك يحصل اللّذّة من القرائة ، والمناجات ، ولطيف المخاطبات كما ورد في الأخبار.

قال:وجدّد عهدك بعد ذلك بتكبيرالله ، وتعظيمه واختمه بذلك ، كما افتتحت به ، واجعل مبدءك منه ، وعودك إليه ، وقوامك به ، واعتمادك على حوله وقوّته ، فإنّه لاحول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

يعني إنّ كيفيّة فصول الأذان ، يشعر بأنّ مبدء كلّ شيء إنّما هو الله ، ومصيرها إليه وقوامك به ، واعتمادك على حوله ، وقوّته هذا .

ويستحبّ أن يدعو بعد الإقامة بدعاء التوجه ، وهو أن يقول : اللهمّ إنّي أتوجّه إليك بمحمّد وآله ، وأقدّمهم بين يدي صلوتي ، وأتقرّب بهم إليك ، فصلّ عليهم ، واجعلني عندك وجيهاً بهم في الدنيا والآخرة ، و من المقرّبين ، أنت مننت علينا بمعرفتهم ، فاختم لنا بطاعتهم، ومعرفتهم ، وولايتهم فإنّها السعادة ، فاختم لنا بالسعادة إنّك على كلّ شيء قدير .

فصل في نفس الصلوة .

أقول : يكفي في معرفة انّ المقصود من الصلوة حقيقتها لا صورتها المجرّدة عن الحقيقة ، الآيات والأخبار .

ومن الاولى قوله تعالى : أقم الصلوة لذكري ، فإنّ التعبير بالإقامة ما يلايم لحقيقة الصلوة ، والتقييد بقوله : لذكرى صريح في ذلك .

ومنها قوله تعالى : « ولا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى ، حتّى تعلموا ما تقولون » والعلّة لا تلائم بالصورة الخالية عن الحقيقة .

و منها قوله : « إنّ الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر » فإنّ النهي لا يوجد إلّا في حقيقتها .

و أمّا الأخبار (١) ، فمتواترة يكفي منها قوله ﷺ : إنّ الصّلوة تمكّن ، وتواضع، وتبأس ، وتندم ، وتقنع ، تمدّ يديك ، وتقول : اللّهمّ فمن لم يفعل فهي خداج .

ومنها قوله ﷺ : لا ينظر الله إلى صلوة لا يحضر فيها الرّجل قلبه مع بدنه .

وقوله ﷺ : إذا صلّيت صلوة فريضة فصلّ في وقتها صلوة مودع ، تخاف أن لا تعود فيها .

ومنها قولهم عليهم السلام : الصّلوة معراج المؤمن .

ولا سيّما مع ملاحظة ما ورد من تشريعها في معراج النبيّ ﷺ ، على ما روي من أنّ معراجه كان بأجزاء الصلوة .

وما ورد في صلوة الأنبياء ، والأئمّة عليهم السلام من الأحوال السنيّة .

---

(١) قد مرت هذه الاخبار، ولم نجد الرواية الاولى والثانية منها ، فيما بأيدينا من الكتب ، والرواية الثالثة قد مرت، والرابعة أيضا مشهورة رواها في البحار بلا إسناد ، وما ذكره قده في معراج النبي صلى الله عليه وآله ايضا مذكور في البحار وغيره في معراجه صلى الله عليه وآله ، وما ورد في صلوة الانبياء ، والائمة ايضا قد مرت الاشارة إليها ، مثل ما ورد في حق إبراهيم على نبينا وآله وعليه الصلوات والسلام ، وماورد في النبي صلى الله عليه وآله، وفاطمة عليها السلام ، وعلي عليه السلام و الحسن عليه السلام ، وعلي بن الحسين عليه السلام ، ومذكورة في البحار في كتاب الصلوة ، وكتاب وسائل الشيعة و غيره ، وكذا رواية ان للصلوة اربعة آلاف حدود ، أو باب ، مروية عن المناقب وعلل الشرايع .

ايضاح ، قوله صلى الله عليه وآله : في الرواية الاولى والافهي الخداج الخ ، النقصان يقال خدجت الناقة اذا ألقت ولدها قبل أوان الحمل و أخدجته اذا ولدته ناقص الخلق .

وما ورد فيما يقوله الله تعالى عند صلوة المؤمن في كلّ جزء جزء من أجزائها وأفعالها ، واذكارها .

وما ورد إنّ للصلوة أربعة آلاف حدود أو باب .

وما ورد انّها عمادٌ للدين ، إن قبلت قبل ما سواها ، وإن ردّت ردّ ما سواها .

وما وقع في السنة كتب الله ، وأنبيائه من اسمها ، و أسماء أجزائها ، فإنّ ذلك أيضاً بحكم العرف ، واللّغة أدلّ دليل على أنّ المراد منها ليس الصورة المحضة .

وقد أشرنا إلى لفظ الصلوة في أوّل الكتاب .

وأمّا أسماء أجزائها من التكبير ، والقراءة ، والذكر ، والركوع ، والسجود ، والتشهّد ، والسلام كلّها ، انّما يطلق عرفاً و لغة على الصور مع الحقايق ، ولا يطلق على الصور المحضة ، فإنّ التكبير باللفظ إذا خالف القلب لا سيّما إذا كان القلب ، والعمل مضادّاً للتكبير ، بأن يسمّى تحقيراً أولى من تسميته بالتكبير ، وهكذا السجدة ، أصل معناها التواضع ، و لا يقال لكلّ انحناء ، ووضع جبهة على الأرض انّها سجدة ، فإنّ الانحناء لوضع شيء على الأرض ، أو مسح جبهة على الأرض لغير خضوع ، لا سيّما إذا كانت الغاية مضادّة لحقيقة التواضع ، لا تسمّى سجدة ، وهكذا الركوع ، والتشهّد ، والسلام ، وهكذا القرائة ، فإنّ اجراء لفظ القرآن على اللّسان ، لا يسمّى قرائة القرآن ، حتّى يكون بقصد القرآن ، وهكذا التسبيح والحمد .

وبالجملة وضع الأسماء إنّما هي للمعاني ، وإطلاقها على الصور مجاز بل قد يصير غلطاً في بعض صور الاطلاق وإذا تحقّق ذلك ، فالّذي يفهم من الاخبار ، انّ حقيقتها إنّما تكمل بستّة معان :

الأوّل حضور القلب ، والمراد به فراغ القلب عن غيرها ، و حضوره ا عند فعلها ، و قولها ، فيصدر عنه الفعل و القول مقروناً بالعلم ، فلا يكون الفكر جارياً في غيرها ، فيصدر عنه العمل مع الغفلة ، وإذا وقع صدورها كذلك فقد حصل الحضور .

والثاني التفهّم ، والمراد منه أن يكون القلب حاضراً مع معاني الاعمال من الأقوال والأفعال ، و هذا أمرٌ زايد على الحضور ، لأنّه قد يتحقّق بحضوره عند الألفاظ ، و صور الأفعال مع الغفلة عن الحقايق ، والمعاني والتدبّر فيها .

الثالث التعظيم لله العليّ العظيم ، واعبادته .

الرابع الهيبة ، وهي خوف ، ووجل ، من التعظيم ، والاخلاص .

الخامس الرجاء إلى فضل الله ، وقبوله .

السادس الحياء [1] و هو التثبّت عند كلّ شيء ينكره التوحيد و المعرفة ومستنده استشعار التقصير وتوهم الذنب .

و أمّا أسباب تحصيل هذه الصفات .

اما الحضور فسببه الهم ، فانّ القلب تابع للهمّ فاذا كان همتك الصّلوة فقلبك حاضر عندها ، وإذا كان غيرها فقلبك عند هذا الغير ، و هو غافل عن الصّلوة ، لأنّه ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، فقلبك مع همّك ، فلا علاج لاحضار القلب عند الصّلوة ، الّا بصرف الهمّة إليها ، و الهمّة عند مظنّة الخير ، واعتقاد السّعادة فالحضور عند الصّلوة تابع للايمان بحقيقة الصّلوة وخيريّتها فانّ من اعتقد انّ صلوته معراجه ، يكون همّه كلّه عندها لايصرفه عنها شيء ، ومن كان همّه عند الصّلوة ، يكون قلبه حاضراً عندها ، غافلا عن الاشياء بقيد همّه فمن آمن بالله وراى إنّ الله خير و أبقى

وانّ الصّلوة معراجه إلى الله ، وباشر ايمانه بذلك قلبه ، يكون قلب همّه عند صلوته ، ولا يمكنه الغفلة عنها .

وأمّا التفهّم فهو ان يستوضح من كلّ فعل ، وقول ما يليق بهما من المقاصد ، و المعاني ، اذ الصّلوة معجون الهيّ ركّب فيه دواء كلّ داء ، و تأثيره استجلاب كلّ السّعادت الممكنة للانسان الكامل ، وتحت كلّ حركة وسكون من فعل ، وقول منها معنى مقصود لجاعلها ، من مقدّماتها واجزائها و شرايطها و تعقيباتها ،

و قد ورد في الاخبار انّ من لم يقصد من افعالها ما هو المقصود منه ، فكانّه لم يأت به .

اقول : سيأتي فيما بعد معاني كلّ جزء منها عند ذكر كلّ واحد منها ، حتّى رفع اليد للتكبير ، و القيام على الرّجل اليمني واليسرى ، ونفس القيام و هكذا الى اخرها ،

ثمّ انّ الذّى نذكرها في ذلك انّما عرفنا ممّا تعرض به السّلف من علماء الاسرار ، و اكثرها استفدناها من الاخبار ، وبعضها الاقل من التّفهّم مع ما يشهد له من الاخبار ، ونعلم علماً قطعيّاً ان ماخفي علينا من ذلك اضعاف ما عرفنا منها ،

ثمّ انّ الّذى اشرنا اليه من التّفهّم لمطلق الاجزاء ، و امّا خصوص قرائتها ففي تفهمّها امور عظيمة خارجة من حيطة البيان ، و علوم و اسرار عظيمة تظهر في الجنان ، و قد روى عن اميرالمؤمنين عليه السلام انّه ما اسر الىّ رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا كتمه عن النّاس ، الّا ان يؤتى الله عبداً فهماً في كتابه و بالجملة للمصلى في تفهّم القراءة خيراً كثيراً ، قد ينجلى له ما يتفهّمه عند قرائته ، فيفور بذلك سعادة جليلة ،

و قيل انّ كون الصّلوة ناهية عن الفحشاء و المنكر ايضاً من هذه الوجهة ، حيث انّ المصلّي قديفهم من قراءته في صلوته ، مالم يخطربيا لعقبل ذلك ، فيكون ما فهمه ناهية له عن الفحشاء ، و كيف كان فسبب التفهّم ، ادمان الفكر في معاني ما يفعل ، و يقول ، واحضارالقلب عند معاني الافعال و الاقوال ،

و علاجه ، علاج حضور القلب و الجد في دفع الخواطر الشاغلة ، ولا يدفع الّا بقطع موادّها ، و هي على قسمين ،

الاوّل ان تكون المادّة ضعيفة ، فيضعف اثرها ، فعلاجه باستعمال بعض المسكتات و هو ان يعدّ قبل الدّخول في الصّلوة عدته ، من الفكر في عظمة الصّلوة ، وخطرالمحضر ، و كثرة الفوايد و عظمة السّعادات ، وقرب الرّبّ ، و تقليل الموانع الخارجيّة ، و التّحفّظ للقلب عن الاشتغال بغير الصّلوة ، و ان يعمد قبل كلّ عمل باخطار معناه الىقلبه ، ثمّ يشتغل به ، و العمدة ان يحفظ في جميع الحالات حضور الله تعالى ، و علمه و نظره و جواباته وصنيعته به عند كلّ فعل و قول ،

والثّاني ان تكون المادّة قويّة لاينفع في دفع اثرها هذه المسكتات فلا حيلة ، ولا علاج الّا من دفعها ، و لا ريب انّ اصل موادّ جميع الخواطر الشّاغلة و مرجعها حبّ الدّنيا ، و الشّغل بها ، اما سمعت قوله صلى الله عليه وآله : من اصبحوا كبرهمّه الدّنيا ، الزم الله قلبه شغلا لافراغ له منه ابداً ، وهمّاً لاينقطع عنه ابداً ، واملاً لايبلغ منتهاه ابداً ، و فقراً لاينال غناه ابداً ، وانّه ليس من الله في شيء ، فمن تشعبّت همومه في اودية الدّنيا ، يتكثرهمومهفي امور مختلفة ، ولايزال في التزّايد ، والانتقال من امر الى امر ، او امور حتّى يستغرق قلبه ، و جميع اوقاته فيالشغل ، بها حتّى لايكفيه يومه ، و ليلته

لشغلهما ، بل لواراد ان يصرف ذهنه منها بالفكر في امر الاخرة ، يجاذبه هموم الدّنيا الى جهات الافكار الدّنيوية المألوفة له ، و لو عاد الى قهره الى طرف الاخرة ، عادت الى جذبه الى الدّنيا ، حتّى يستمر فيها او يتم صلوته في الاشتغال بالتنازع ، و التجاذب ، فيفوته الحضور و التفهّم فلا علاج لهذا المرض ، الّا بالمسهل ، و الاستفراغ ولايفيده التّسكيت والتّلطيف ، فلامطمع لمحبّ الدّنيا ، و زينتها في ان يصفوله حلاوة مناجاة الله ، و لذّة مخاطباته ، ولو بقهر نفسه على العبادات .

ففى [1] حديث المعراج : لوصلّى العبدصلوة اهل السّماء و الأرض ، و صام صيام اهل السمّوات و الارض ، و طوى من الطعّام مثل الملائكة ، و لبس لباس العارى ، ثمّ ارى في قلبه من حبّ الدّنيا ذرّة ، او سمعتها او رياستها ، او صيتها ، او زينتها لا يجاورنى في دارى ، ولا نزعن من قلبه محبّتى ، ولا ظلمنّ قلبه ، حتّى ينسانى ، ولا اذيقه حلاوة معرفتى ، و الرّواية قاضية بانّ محبّ الدّنيا يكون قلبه مظلما ، ناسياً لله ، ولايكون فيه نور الذّكر ، فانّ من كان فرحه بالدّنيا ، و الدّنيا قرّة عينه ، لا يفرح بالله ، و يكون همّه مع قرّة عينه ، فتحصل من جميع ما ذكرنا ، انّ العلاج الكلّى لمن قوى في قلبه حبّ الدّنيا ، لقهر همّه الى الحضور ، و التفهّم في الصّلوة ، لايتمّ الّا بالانقلاع عن محبّة هذه الدّنيا الدّنيّة ، و مع ذلك في المجاهدة بتجديد ذكر الاخرة ، و خطر المناجات ، و الوقوف بين يدى الله نفعاً ، وضرّا ، و ذكرهول المطّلع وتفريغ القلب ، وتقليل الموانع الخارجية ، بغضّ البصر عن محلّ السجّود ، و الاجتناب عن الصّلوة في الاماكن الّتى يكثر شواغلها ، نفعاً كثيرا في بعض مراتب الحضور ، و التفهّم ، و اخطار

(١) - في الارشاد الديلمى .

معنى كلّ فعل ، و قول قبل الاشتغال به ، مؤثّر في ذلك جدّاً ، مثلا اذا اراد القرائة ، اخطر معنى بسم الله الرّحمن الرّحيم ، ثمّ يقرئه ، ثمّ اخطر معنى الحمدلله ربّ العالمين ، ثمّ يقرئه ، وهكذاآية اية الى اخرها ، وهكذا اذا اراد رفع يديه قبل الرّكوع ، يتذكّر لمعناه ، ثمّ يرفعهما ، ثم يتذكّر معنى الرّكوع ، ثمّ يركع ، و هكذا الى اخر الصّلوة .

فان قلت : انّ قضيّة هذه الايات ، و الاخبار ، و ما ذكرته من نفى الاسم عن الصّور الخالية من الحقايق ، بطلان صلوة جمهور اهل الاسلام ، بل التدّقيق فيما ذكرته ، يقتضى بطلان صلوة من غفل عن حقيقة جزء واحد من اجزائها ، و لواتى غيره مع حضور ، و تفهّم ، و تعظيم ، وهيبة ، و رجاء ، و حياء ، لانّ ذلك حكم المركب لايمكن ذلك لاحد في جميع الصّلوة الّا المعصومين عليهم السلام .

قلت التّحقيق بحكم المركب ، و بحكم وضع الاسماء ذلك ، و لكن الّذى يفهم من الجمع بين الاخبار ، انّ الامر ليس بهذه الصّعوبة ، لانّ الله تعالى قدجعل في الصّلوة الشّاملةفي اوّلها بالنيّة والحضور اثراً مخصوصاًلها و هو كونها مسقطاً للقضاء ، والفقهاء انّما يطلقون الصّحة بهذا المعنى ، وامّا القبول و ساير الاثار ، فهى موقوفة على الّتى لا يكون خالية كلّها عن جميع مراتب الحضور ، بل يجب لهاان لايكون شيء من اجزائها خالياً من الحضور ، الّا انّ الحضور ايضاً له مراتب ، و الّذى خلا عن جميع مراتبه ، فهو المردود على صاحبه ، و لكن ذلك ايضاً قليل لانّ الحركات الاختياريّة للانسان ، لابدّان يوجد فيها درجة من حضور قلبه معها ، و لو اجمالا و الّا لم يكن اختياريّة ، و حركات الانسان ينقسم الى اقسام ، قسم منها خلو من جميع مراتب القصود وحضور القلب ، كحركات النّائم ، و قسم يكون فيها قصدما ،

و لكن لاينطبق القصد مع المقصود ، كبعض اقسام حركات السّاهى ، و قسم يكون فيه هذا القصد و منطبقا مع المقصود ، و لكن اجماليا في باطن القلب ، و يكون اثره بمجرّداد خالها في الاراديات ، و قسم يكون قصدها تفصيلياً و لكن بالنّسبة الى الصور ، و اجماليا بالنّسبة الى المعانى ، وقسم يكون القصد فيها تفصيليّا بالنّسبة الى الصوّر و المعانى ، و يكون القلب بكله حاضرا عندهما ، و هذا هو التّامّ الكامل ، لاسيّما اذا حضر المصلّى بكلّه وشراشر وجوده بين يدى الله ، مع اجلال و هيبة ، و رجاء وحياء ، و الّذى يفهم من الاخباران القسم الّذى فيه قصد اجمالىّ منطبق مع المقصود اذا زيد عليها اقبال ، وقصد على حقيقة الاجزاء و معانيها بقدر عشر الصّلوة لا تترك هذه الصّلوة ، بل يرفع منها بقدر ما اقبل فيها ، و يكون بحكم الصّورة ايضا مسقطة للقضاء ، فان جبر كسرها بالنّوافل ، فالمرجّوان يقبل كلها ، و ان نقص ما اقبل فيها من الاجزاء عن العشر ، تلفّ ويضرب بها وجه صاحبها ، هذا ما يمكن ان يستفاد من الاخبار من حيث حكم نفس الصّلوة حكما عامّا لايتخلّف غالبا ، و ذلك لا ينا في ان يشمل فضل الله عبداً من جهة اخرى ، فيقبل منه غيرهذا القسم ايضا ، كما وردجزاء لبعض الاعمال المستحبة ، او يصير عبد بسبب منه مستحقّاً للخذلان ، فيرد من صلوته ما كانت واجدة للاقبال و الحضور التّفصيلىّ التّام ، كما يدلّ عليه عموم قوله تعالى :

وقدمنا الى ما عملوا فجعلناه هباء منثوراً ، والّذى يدلّ على ذلك من الاخبار ما فيه تصريح بان العمل اذا لم يكن مع الولاية لاتقبل ، و لواجتهد فيه صاحبه اجتهادا ، ثمّ لا يذهب عليك انّ الّذى دلّ عليه الاخبار من رفع صلوة اقبل فيها العبد بقدر عشرها الى السّماء ، يحتمل ان يكون من باب الفضل الكلّى الّذى دلّ عليه قوله تعالى : من جاءبالحسنة فله عشرامثالها ،

و من جاء بالسيّئة فلا يجزى الّا مثلها ، فان كان من هذا الباب يحتمل قوياً ان يكون هذا القسم مقبولا كلّه ، من غير حاجة الى الجبر بالنوافل ، فيكون الجبر جارياً في غير هذا القسم الفاقد لقصد الحقايق الّا عند النيّة اجمالا ، و لا يبعد عن فضل الله ان يتقبّلها بمجرد روح النيّة في اوّلها ، ثم انّ عمدة خير الصّلوة و فايدتها انّما هو في التفهيم ، لانّه سبب قريب للمعرفة ، والمعرفة كلّها خير بل الخير كلّه في المعرفة ، كما انّ الجهل كلّه شرّ بل الشر كلّه في الجهل ، ولم ذلك انّ روح المصلّى اذا توجّه الى العالم الا على ، و تخلّى عن ذكر العالم الاسفل ، و فكره تجرّد بذلك عن بعض القيود ، و تأثر من العوالم العالية نوراً يتجلى به احيانا حقايق بعض الايات القرآنيّه على قلبه ، فينتفع بهذا الكشف والتجلّى انتفاعاً لاينتفع نظيره بعبادة سنين ، و قد يكشف للعبد عند قرائة اسماء الله حقايق هذه الاسماء ، بحيث لا يثبت جسمه بتحمّل هذا الحال فيغشى عليه ، كما روى ذلك عن الصّادق عليه السلام أنّه لحقه في الصّلوة حال فخرّ مغشيّاً عليه ، فلمّا افاق قيل له في ذلك ، قال مازلت اردّد هذه الاية على قلبى حتّى سمعتها من المتكلّم بها ، فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته.

قال السيّد السّند في فلاح السّائل : فقد روى انّ مولينا جعفر بن محمد الصّادق عليه السلام كان يتلو القرآن في صلوته ، فغشي عليه فلما افاق سئل ما الّذى اوجب ما انتهي اليه حالك ، فقال : ما معناه مازلت اكرّر آيات القرآن ، حتّى بلغت الى حال كانّني سمعتها مشافهة ممّن انزلها علي المكاشفة والعيان ، فلم يقم القوة البشريّة لمكاشفة الجلالة الالهية ، ثمّ قال : وايّاك يامن لاتعرف حقيقة ذلك ان تستبعدها و يجعل الشّيطان في تجوز الّذى رويناه عندك شكّا ، بل كن به مصدّقا ، اما سمعت قول الله يقول : فلّما تجلّى ربّه للجبل

جعله دكا ، و خرّ موسى صعقا ـ انتهى كلامه قده .

وقد ينكشف له حقيقة الجنّة عندقرائة ايها ، اوحقيقة النّارا والقيمة و غير ذلك ممّا في القرآن من الحقايق ، و الاسرار ، هذا و سنشير الى بعض مراتب التفهّم عند ذكر اسرار القرائة .

و امّا التعظيم فهو من احوال القلب المورثة للاستكانة والخشوع ، و الانكسارلله جل جلاله ، مولّد من معرفة عظمة الله و جلاله بقدرما يمكن من ذلك للبشر ، و العمدة في تأثيرالحضورفي الصّلوة ذلك ، بل العمدة في كمال جميع العبادات ، و الايمان ذلك ، و من معرفته حقارة النفّس ، و خستّها ، فان العبد اذا عرف عظيم سلطان الله ، وسعة ملكه ، و جليل قدرته ، وعرف انّ الممكن لاشيء محض ، و انّه ليس له من نفسه مثقال ذرّة من خير ، وانّه لا يقدر على نفسه نفعاً ولاضرّا ، ولا موتاً ولا حياةً ، ولا نشورا انقهر عقله ولبّه بالاستكانة ، واظهار الّذلّ و الخشوع بين يديه ، واخبت قلبه عندعظيم جلاله ، و جليل سلطانه اخباتاًخارجاً عن الحدّو الوصف ، و يراقب حضوره و نظره ، و ما يبدوله من الرّدّو القبول مراقبة لايشذّعنها طرفة عين ، كيف لا يكون كذلك ، و الّذى يراه بعينه من عظيم سلطانه علىخلق السّموات و الارضين ، و جليل قدرته على ذلك ، وعلىامساكها ورزقهاوحفظها وتربيتها وما يسمعه من المخبر الصّادق ، في خبرزينب العطارةبانّ هذه الارض والبحار و الجبال ، مع ما فيها بالنّسبة الى السّماء الدّنيا كحلقة في فلاة ، وهمامع ما فيهما بالنّسبة الى السّماء الثّانية كحلقة في فلاة ، وهى بالنّسبة الى ما فوقها كحلقة في فلاة ، و هكذا الى العرش ، و هذه كلّها بالنّسبة الى عالم المثال غير محدود النّسبة ، و هذه كلّها بالنّسبة الى عوالم المجرّدات حتّى ينتهى الى العقل الكلّى لانسبة بينها محدودة ، و الله تعالى خلق كلّها بكلمة

واحدة ، بلا مؤنة ولا كلفة ،ولا يؤده حفظهما و ان شاء اعدامها فبمجرد قطع نيف الوجود ، فسبحانه من عظيم ما اعظمه ، و من جليل ما اجلّه ، و من قدير ما اقدرة ، و بالجملة اذا قدر العبد هذا الملك والسّلطان قدره بعقله ثمّ استشعر خطر جناياته ، و خطير مقام مناجاة هذا السّلطان العظيم ، يكون بعقله و نفسه وروحه ، وقلبه و بدنه وشراشر وجوده كلّه عيناً لمراقبته ، وسمعاً لاسماع كلامه ، و لساناً لاستغفار ذنوبه ، وعرض استكانته و ، اعتذارا من خطير جناياته ، و من هذا الباب ما ورد من تغيّر الاحوال في الصّلوة من الانبياء ، و الائمة عليهم السلام مثل ماروى عن الخليل عليه السلام انّه كان يسمع تأوّهه على حدّ ميل ، و كان في صلوته يسمع له ازيز كازيز المرجل ، و كذلك يسمع من صدر سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله مثل ذلك ، وقال بعض ازواجه كان يحدّثنا و نحدّثه ، فاذا حضروقت الصلوة فكانّه لم يعرفنا ، ولم نعرفه ، و كان اميرالمؤمنين عليه السلام اذا اخذ في الوضوء يتغيّر وجهه من خيفة الله ، و كان اذا حضر وقت الصّلوة يتزلزل ، و يتلونّ و قيل له في ذلك يا اميرالمؤمنين فيقول جاء وقت الامانة الّتى عرضها الله على السمّوات و الارض و الجبال ، فابين ان يحملنها واشفقن منها و كانت فاطمه عليها السلام تنهج في الصّلوة من خيفة الله ، و كان الحسن عليه السلام اذا فرغ من وضوئه تغيّر لونه ، فقيل له في ذلك ، فقال حقّ على من ارادان يدخل على ذى العرش ان يتغيّر لونه .

وروى مثل ذلك عن السّجاد عليه السلام ، و انّه عليه السلام اذا توضّأ اصفرّ لونه ، فيقول له اهله : ما هذا الّذى يعتادك عند الوضوء؟ فيقول اتدرون بين يدى من اريدان اقوم ، قيل : ورايته يصلّى فسقط ردائه عن منكبه ، فلم يسوّه حتّى فرغ من صلوته ، فسئلته عن ذلك ، فقال : و يحك اتدرى بين يدى من كنت ، انّ العبد ما يقبل منه صلوة الّاما اقبل فيها ، فقلت ، جعلت فداك

هلكنا ، قال : كلاّ انّ الله يتمّ ذلك بالنّوافل .

و عن الصّادق عليه السلام كان عليّ بن الحسين عليه السلام اذا قام الى الصّلوة كانّه ساق شجرة ، لا يتحرّك منه الّا ما حرّكته الرّيح ، و عنه كان عليّ بن الحسين عليه السلام اذا قام الى الصّلوة تغيّر لونه ، و اذا سجد لم يرفع رأسه حتّى يرفض عرقا .

و عنه عليه السلام قال : لا يجتمع الرّغبة و الرّهبة في قلب ، الّا وجبت له الجنّة ، فاذا صليت فاقبل بوجهك على الله ، فانّه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله في صلوته ، و دعائه ، الّا اقبل الله عليه بقلوب المؤمنين ، و ايّد مع مودّتهم اياه بالجنّة .

و امّا الهيبة ، فهي ايضا يتولّد من معرفة صفات الجلال ، فمن عرف من القادر المتعال ، و علم ما فعل من الاخذو العقاب بالجاحدين و المعاندين ، من الامم الماضية ، وعلم ابتلاء الانبياء و الاولياء بالمصائب الجليلة ، و تأثّرهم من خوفه بالبكاء و الغشوة ، و التّضرّع و الابتهال ، و الانابة و الاستغفار ، وعرف درجة تقصيره و كثرة ذنوبه ، و قبح افعاله لابدّ ان يتغيّر حاله عند الوقوف بين يديه ، و يأخذه رعدة الخائفين فيميته الخوف و يذيبه الحياء .

و بالجملة كلّما ازداد العلم بالله ، ازدادت الحسنة ، فلواقتضت حكمته هلاك الاوّلين ، و الاخرين لم يمنع منه مانع ، حتّى الرّقّة لانّه منزّه عن التّأثّر و الانفعال ، و بالجملة قد يتأثّر بعض الانبياء والاولياء عن التّعظيم و الهيبة ، بحيث ينسى غير الله تعالى ، و يغفل عن جميع ما سواه ، حتّى عن بدنه ، و من ذلك اخراج السّهم عن رجله عليه السلام في الصّلوة ، و عدم تأثّره منه ، و من ذلك غشواته حتّى يظنّ له الموت .

و امّا الرجاء فمنشأه معرفة فضل الله و كرمه ، و لطفه و انعامه ، و

انّـه لم يخلق هذه الخليقة للانتفاع منهم ، بل خلقهم عناية بخلقهم ، ولاتنفعه طاعتهم ، ولاتضرّه معصيتهم ، ومعرفة عنايته الجميلة في الخليقة ، وطول اناته ، و كثرة علمه و صدقه في وعده بالجنّة للمصلّين ، و مغفرته للذّنوب بالنّدم و تبديله السّيئات باضعافها من الحسنات ، و ما جعل لاوليائه من الشفاعة ، و قوله في كتابه : ولسوف يعطيك ربك فترضى ، ولكن يجب على العبد الجدّ في الاستخلاص من الغرور في ذلك ؛ فانّ النفّس والهوى قد تغرّ الانسان ، و يدلس عليه عدم المبالات بالدّين بالرّجاء ، فلابدّ عند احتمال ذلك من الاستكشاف بملايم الامرين ، ومن ايات الرّجاء الطّلب ، كما انّ من شواهد عدم المبالات الكسل عن الطّلب .

و امّا الحياء فبمعرفة جلال الله و جماله ، و مقام عفوه و كريم صنايعه و سبوغ نعمه و عدم رضاه لعبده بنعمة دون اخرى ، و عدم غفلته عن مراقبة احواله مع معرفة قبايح اعمال نفسه ، و سوء معاملته مع هذا الرّبّ الودود بالشّقاق والنفّاق في حضوره ، مع علمه بذلك ، واذا اجتمع للعبد هذه المعارف ، و تثبّت عند ما تنكره معرفته ، فهو الحياء ومن تخطّى خطوة في ساحة هيبة الله اليه بالحياء ، فهو خير له من عبادة سبعين سنة .

و الحياء خمسة انواع : حياء ذنب ، و حياء تقصير ، وحياء كرامة ، و حياء حبّ و حياء هيبة ، و لكلّ واحد منها اهل ، ولاهله مرتبة عليحدة ، اقول : هذه الصّفات و الاحوال لا ريب في انّها فرع هذه المعارف كما نراه بالوجدان في معاملاتنا مع امثالنا فانّ انسانا اذا عرف من شخص سلطنة و قدرة مثل ذرّة من سلطنة الله جلّ سلطانه ، يعظّمه و يراقبه ، و يهابه فان عرف منه مع ذلك كونه منعما عليه مثل ذرّة من نعم الله تعالى، يفديه بنفسه و اهله و ماله ، ولا يغفل عن خدمته و القيام بوظايف عبوديّته في آن من

الآيات ، و اذا زاد على هاتين المعرفتين استشعار تقصيراته ، ومخالفاته مع هذا السّلطان المنعم حين انعامه و افضاله في حضوره ، لمات من الحياء والخجل .

و امّا ضعف تأثّرات العامّة بالنّسبة الى الله جل جلاله مع اعتقادهم و ايمانهم بعظمته الّتى تصغر عندها كلّ عظمة و عظيم ، و بنعمه الّتى لا تحصى ، و هذه الّذنوب و الكباير من المعاصى من انفسهم .

فوجهه أوّلاً ضعف الايمان بالغيب عن الشّهود والعيان ، فانّ سلاطين الدّنيا ومنعميها عندهم شهود ، وسلطنتهم ونعمهم محسوسة ، ومشهودة ، وأمّا الله جلّ جلاله ، وعظم برهانه عندهم غيب يعتقدون وجوده ، ويعترفون بعظمته ونعمه بالأدلّة العقليّه ، فالاعتقاد بالغيب ضعيف بالنّسبة ، إلى رؤية العيان ، و لذا لا يؤثر هذه المعارف في حقّه التّعظيم والهيبة والحياء ، مثل ما تؤثر في معاملات عظماء الدّنيا ومنعميها .

و ثانياً أنّ الأمر في عظمة الله و نعمه ، من الجلالة بمكان لايمكن لأحد أداء حقّها ، ولاشيء من أجزاء حقوقها ، وإذا عرفوا من أنفسهم القصور بهذه المرتبة فأهملوها كلّها .

وثالثاً يتخيّلون أنّ منافع خدمة سلاطين الدّنيا نقد ، و نفع عبادة الله تعالى نسية في العالم الآخرة الّتي أعتقدوا وجودها خلافاً لحسّهم بالادلّة العقليّة .

وهذه الوجوه الّتي منشأها كلاً غرور و جهل ، إنّما سارت أسباب مسامحة العامّة ، وتفريطهم في طاعة الله والعياذ بالله من يوم يصير فيه الغيب عياناً ، فينادون واحسرتاه على ما فرّطنا في جنب الله .

وهذه الأمور السّتة إنّما روح الصّلوة بها ، وكمالها بكمالها ، والعمدة فيها التّعظيم ، وهو من لوازم الايمان فمن كمل إيمانه وباشر قلبه،

ولم يمنع عن تأثيره محبّة الدّنيا، والاستهتار بذكرها، وفكرها و شغلها، لأبتدان يكمل صلوته من أوّلها إلى آخرها بجميع أجزائها على هذا التّفصيل.

أمّا تكبيرها ففيه مطالب:

الأوّل في رفع اليدين وفيه امور:

الأوّل في كيفيّته، وهو أن يبدء به بأوّل التّكبير، ويكون آخره أيضاً مطابقاً لآخره، حتّى يكون تمام الرّفع بتمام التكبير، وأن يجعل في الرّفع باطن كفّيه إلى القبله.

والثّاني في مقداره، والاولى في ذلك أن يصل أصابعه إلى شحمة اذنه.

والثّالث فيما يقصد به، وهو التّبرىّ من الاشراك، و ممّا يقوله المشركون، وثمرته أن يبرء الى الله من آثامه وذنوبه، ومن عذاب جهنّم ونيرانها كذا ورد في تفسير الإمام عليه السلام.

والثّاني في نفس التّكبير، وفيه أيضاً مطالب.

الأوّل أنّ الواجب منه تكبيرة الإحرام، ويستحبّ بعدها على الاقوى ستّ تكبيرات.

والثّاني في الدّعاء المأثور عندها و هو أن يقول بعد الثالثة ألّلهمّ أنت الملك الحقّ، لا إله إلّا انت سبحانك إنّي عملت سوء، وظلمت نفسي فأغفر لي، فانّه لا يغفر الذّنوب إلّا أنت.

و بعد الخامسة: لبّيك وسعديك، والخير في يديك، والشّر ليس إليك، والمهدى من هديت، سبحانك منك عبدك وابن عبدك، وبك ولك وإليك، ولا ملجأ ولا منجا منك إلّا إليك، سبحانك وحنانيك، تباركت وتعاليت، سبحانك ربّ البيت الحرام، ويقول بعد السّادسة، يا محسن

قد أتاك المسيء ، أنت المحسن ونحن المسيئون ، فتجاوز يا ربّ عن قبيح ما عندنا بجميل ما عندك .

ويقول بعد السّابعة ، وجّهت وجهي للّذي فطر السّموات والأرض، حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين ، على ملّة إبراهيم ودين محمّد ﷺ ، وهدى أمير المؤمنين والأئمّة المعصومين ، صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين ، أنّ صلوتي ونسكي ومحياى ، ومماتي لله ربّ العالمين ، وبذلك أمرت ، وأنا من المسلمين .

ثمّ يستحبّ أن يكبّر بعدد تكبيرات الصّلوات ليكون عند نسيانه بدلاً عنه .

و الثّالث أن يكون في تكبيره ، و دعواته قاصداً حقايقها ، و صادقاً في ذلك .

وقد روى عن الصّادق عليه السلام إذا كبّرت فاستصغر ما بين العلى والثّرى ، دون كبريائه ، فانّ الله تعالى إذا أطّلع على قلب العبد ، وهو يكبر و في قلبه عارض عن حقيقة تكبيره ، قال : ياكاذب اتخدعني ، وعزّتي و جلالي لأحرمنّك حلاوة ذكري ، ولأحجبنّك عن قربي ، والمسرّة بمناجاتي ، فأعتبر أنت قلبك حين صلوتك ، فان كنت تجد حلاوتها وفي نفسك سرورها ، وبهجتها وقلبك مسروراً بمناجاته ، وملتّذاً بمخاطباته ، فأعلم أنّه قد صدقك في تكبيرك ، وإلّا فقد عرفت من سلب لذّة للمناجات ، وحرمان حلاوة العبادة ، أنّه دليل على تكذيب الله لك ، وطردك عن بابه .

أقول : هذا كاف في التّنبيه على لزوم التّحقق بحقيقة التّكبيروآية تصديقه ، و ان شئت ان تعرف حقيقته فارجع الى عرفك والى نفسك فانظر

اذا اريدانت من تكبير ولدك وخدمك لك ، واعلم أنّ كلّ كبير وعظيم تقدر أن يتخيّله أعظم وأكبر من كلّ شيء فهو أيضاً صغير حقير في جنب كبريائه ، فيجب بحكم العقل أن يكون تكبيرك لربّك بقدر قدرتك ، و إستطاعتك و يبذل كلّ مجهودك ، ثمّ تعترف بقصورك ، لأنّ حقّ تكبيره خارج عن قدرتك هذا .

والاولى أن يقصد به أنّه تعالى أكبر من أن يوصف ، هذا في التّكبير.

و أمّا الدّعاء الأوّل ، فيجب بحكم الصّدق أن يعامل العبد مع الله تعالى معاملة من يقول بانّ الله تعالى هو الملك الحقّ ، اي المالك بالاستحقاق لجميع العوالم ، وجميع العالمين ولا ينقص ذلك بأن يتصرّف في ملكه تعالى بغير رضاه ، وبأن لايرضى لان يفعل الله في ملكه مايشاء و إذا أستشعر من نفسه قصوراً في القيام بمقتضى ذلك فيستغفره .

وأمّا الدّعاء الثّاني ، فليحضر نفسه ، و حقيقته وقلبه وقالبه و كلّه لأجابة دعوة الرّبّ بالقيام بوظايف هذا المحضر الجليل ، ويعلم أنّه قريب يجيب ندائه ويسمع دعائه وانّ بيده الخيرات والسّعادات كلّها ، ولا يرى الخير في يد غيره ، ولا يتوقّعه من غيره ، وان ينزّهه من الظّلم والشّرّ ، ويعتقد أنّ الظّلم منه على نفسه ، والشرّ من جهته ، ثمّ يستدرك ذلك بأنّ وجوده وبدئه ومعاده ، وقوامه منه ، وبه وإليه وأنّ الشّرّ وإن كان منّي ، لكن خالقه أيضاً هو الله ، ولا ضارّ ولا نافع في الوجود إلّا الله ولا ملجأ ولا منجا إلّا إليه ، ثمّ ليعلم أنّ من كان مؤمناً بأنّ الخير كلّه بيده الله ، لايرغب إلى أحد إلّا الله ومن كان مؤمناً بأن لاضارّ إلّا الله لايرهب أحداً غيرالله ، فلا حول ولا قوّة إلّا بالله ، والحمد لله .

وأمّا القيام فحقيقة القيام هو المثول بين يدي الله لاداء حقّ العبوديّة و استجلاب خيرات الرّبوبيّة ، والاستيناس به جلّ جلاله ، والالتذاذ بمخاطباته في كلامه ، وبمناجاته في دعائه ، والعلاج لطول مقام يوم القيمة ، ودفع هول المطّلع وليستشعر بالوقوف على الرّجلين الوقوف في مقام الخوف والرّجاء ، و باطراق الرّأس على إلزام القلب التّذلّل والتّواضع والتّبرى عن التّرأس والرّياسة ، والتكبّر، وليعلم انّ له مقاماً بين يدى الله يوم القيمة ، وخطره إنّما يناسخ بكمال هذا القيام ، فليجد كلّ جدّه في تصحيح قيامه في صلوته ، وليعلم أنّ سريرته وضمايره مكشوفة عند ربّه ، يعلم من سرايره مالايعلم هو ، فليراقب أن لايخالف سريرته رضاربّه ، فلامحالة يكون تواضعه في هذا المقام الخطير ، مثل تواضعه عند القيام في محضر سلطان من سلاطين الدّنيا ، كيف يراقب في مكالمته ، ومشافهته أن لايخالف رضاه ، ولايسهو عن قصد معاني ما يخاطبه ، وإشارات مخاطبات السّلطان ، ولا يكون الله جلّ جلاله ملك الملوك ، جبّار الجبابرة أهون عليه من بشر مثله .

وأمّا القراءة فيستحبّ قبلها الاستعاذة بالله السّميع العليم من الشّيطان الرّجيم ، فهي الالتجاء إلى حفظ الله في دفع ما يضلّ من وساوسه و مكائده بالقلب ، والعمل واللّسان ، فانّه عدوّ للبشر مترصّد ليصرف قلبه عن الله ، وبدنه عن الطّاعة، ولسانه عن الذّكر، فانّ الاستعاذة من ذلك كلّه باللّسان أن يقرء لفظ الاستعاذة ، وبالجوارح أن يتحوّل عن محابه ، و طاعته إلى مراضى الله جلّ جلاله ، وطاعته ، وبالقلب أن يصرفه في الاشتغال بالله ، و بلذّة مناجاته .

وأمّا الاكتفاء بمجرّد القول باللّسان ، فلا فايدة فيه ، إلّا قليلاً بل قد يكون لغوا محضاً ، وقد يكون مضرّاً فانّ التّحصن عن العدو بالحصن ،

إنّما هو بالتّحوّل إلى الحصن من محلّ إختطافه وميدانه ، وأمّا قول: أعوذ بهذا الحصن الحصين ، فلا فايدة فيه ، وحصن الله لاإله إلّا الله ، وحصن الله ولاية أولياء الله .

كما ورد في الأخبار : لاإله إلّا الله حصني ، و ولاية عليّ حصني ، والمتحصّن بلا إله إلّا الله من لا معبود لـه سوى الله ، و المتحصّن بولاية أميرالمؤمنين من يشيّعه ، ويقتدي به في اطواره ، وأوصافه وأفعاله ، وأمّا من أتّخذ إلهه هويه ، وشيع اعداء الله ، و أعداء أميرالمؤمنين ، وتسنّن بسنّتهم، فهو بأن يقال أنّه متحصّن بحصن الشّيطان ، اولى من أن يقال متحصّن بحصن الله ، وبالجملة المستعيذ بالاستعاذة الحقيقية في صلوته ، من أتى بمقدوره من الاوصاف السّتّة الّتي ذكرناها في أوّل اسرارنفس الصّلوة ، وأقبل بكلّه على الصّلوة حتّى بلسانه ، بقول أعوذ بالله السّميع العليم من الشّيطان الرّجيم ، و يلتجأ إلى سلطان الله جلّ جلاله من مكائد الخبيث ، برّده عن التّوجه إلى الله ، و إلى صلوته بما يوسوس في قلبه ، و يلقي في روعه من الخطرات الشّاغلة عن الله و الصّلوة ، فح يعيذه الله فلايجعل للشّيطان عليه سلطاناً فيخنس الخبيث .

ثمّ أنّ للقرائة حقّاً خاصّاً من بين أجزاء الصّلوة في المراقبة ، لأنّ القرآن أمر عظيم ، وله شأن عند الله ، فانّه شافع مشفّع ماحل مصدق وقد أطلق الله عليه النّور في مواضع ، و النّور إنّما يساوق معني الوجود ، و هو موجود شريف ، حكيم ذو حيوة ، و نطق ، و له في كلّ عالم صورة و جمال ، و يتجلّى يوم القيمة في أحسن صورة ، يمرّ بالمسلمين ، يقولون : هو منّا ويمرّ بالنبيّين ، فيقولون : هو منّا فيجاوزهم إلى الملائكة

المقرّبين ، فيقولون : هو منّا حتّى ، ينتهى إلى ربّ العزّة ، عزّ و جلّ ، فيشفع للقرّاء ، حتّى يبلغ كلاً منهم إلى منزلته الّتي هي ، به ويبالي انّ في بعض الأخبار ، أنّه يكون أبهى وأنور من كلّ من يمرّ عليه ، حتّى يمرّ برسول الله ، فيكون مساوياً له هذا ولا تضع إلى من لايقول انّ للقرآن حقيقة غير اللّفظ المسموع عن جبرئيل عليه السلام ، و غير هذه النّقوش الّتي بايدينا ، قال النبيّ صلى الله عليه وآله : أنا أوّل وافد على العزيز الجبّار ، و كتابه وأهل بيتي ، وبالجملة أنّ للقرآن حقيقة ، و روحاً وحياتاً ، وهو تجلّي من تجلّيات الله جلّ جلاله الأوّليّة ، نعم له في عالم الألفاظ صورة لفظيّة ، وفي عالم النّقوش صورة نقشيّة ، و كيف كان يلزم على العبد المراقب ان يراعى حرمة قرائته و أن يعرف عظمته على حسب عظمة المتكلّم به ، ويعلم أنّه لولا استتار نوره بصورة الحروف ، والكلمات لما ثبت لتجلّيه عرش ، ولا ثرى ، ولتلاشت اجزاء العالم من عظمة سلطانه ، وسبحات نوره ، ولولم يثبت الله كليمه ما اطاق كلامه ، كما لم يطق الجبل مبادي تجلّيه ، فصار دكّاً ، وخرّ موسى صعقاً ، ويتدبر في قرائته ، ويتخلّي عن موانع الفهم ، فانّ أكثر القارين منعهم عن فهم حقايق القرآن وعجايب احكامه ، وبدايع اشاراته ، ودقايق اسراره، حجب واستارسترها الشّيطان على قلوبهم، وعن النبيّ صلى الله عليه و آله لولا أنّ الشّياطين يحومون على قلوب بني آدم ، لنظروا إلى الملكوت .

و من جملة اسدا له سدل وسواس القراءة فيو كّل إليه من أبنائه من يصرف كل همّه لأقامة حروفه ، فيدخله بذلك في أضاعة حدوده ، و يأمره بالتّكرار والتّرديد ليتحقّق عنده بحكمه استقامة الحروف ، وخروجها ،

دن مخارجها ، فمن كان همّه مقصوراً على مخارج الحروف ، فاين له التفكّر في فهم معناه .

قيل و أعظم ضحكة للشّيطان من أطاعه في مثل ذلك .

ومن جملتها سدل التّقليد ، وهو أن يقلّد القاري من يخالف حقّاً من الآباء والاُمّهات ، أو غيرهم ، و يتعصّب فيما قلّده ، فان بداله من حقايق القرآن ماينا فيه ، أولمع له لامع من أنواره حمل عليه شيطان التّقليدويقول له : أكفرت بعد الإيمان وخالفت مذهبك ؟ وهذا الّذي تخيّله إتّماهو من الوجوه الّتي هي من التاويل في بطن القرآن ، فيمنعه عن الوصول إلى الواقع ويؤكّد وسوسته بما سمعه من منع الأخبار عن التّفسير بالرّأي والمسكين جاهل بمعنى التفسير بالرأي، فيغتر من تلبيس الخبيث ، فيضيع نور القرآن ، و بركته وهدايته بالتّقليد .

و منها سدل الذّنوب ، فانّ منها ماله تأثير خاصّ في صداء القلب ، وظلمته كالكبر، وترك الأمر بالمعروف .

وبالجملة لكلّ ذنب ظلمة ، وصداء في القلب ينا في فهم حقايق القرآن ولبعضها أثر خاصّ في ذلك يظلم القلب ، فيعمي فلا يبصر بنور شمس القرآن أعيان حقايق المعقولات ، كما إذا أعمى بصر الظّاهر فلايفيد نور الشّمس في رؤية صور المحسوسات ، فاذا تخلّي العبد من موانع الفهم ، وخضع قلبه و فرغ عن الأشغال ، وقرء القرآن في موضع خال استنار بأنوار القرآن ، وفي مصباح الشريعة عن الصّادق عليه السلام ، من قرء القرآن ولم يخضع له ، ولم يرق قلبه ، ولم ينشيء حزنا و وجلاً في قلبه ، فقد أستهان لعظيم شأن الله ، وخسر خسراناً مبيناً .

فقاري القرآن يحتاج إلى ثلاثة اشياء : قلب خاشع ، وبدن فارغ ،

وموضع خال فإذا خشع قلبه ، فرّ منه الشيطان الرّجيم ، قال الله تعالى : وإذا قرءت القرآن فاستعذ بالله من الشّيطان الرّجيم ، فإذا تفرغ نفسه من الأسباب تجرّد قلبه للقرائة ، فلا يعترضه عارض فيحرّمه نور القرآن ، وفوايده وإذا اتّخذ مجلساً خالياً ، وأعتزل عن الخلق بعد ان أتى بالخصلتين الأوّلتين ، استأنس روحه و سرّه بالله ، و وجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين ، وعلم لطفه بهم ، ومقام إختصاص انهم يفنون كراماته و بدايع إشاراته فإذا شرب كأساً من هذا المشرب ، فحينئذ لايختار على هذا الحال حالا ، ولاعلى ذلك الوقت وقتاً ، بل يؤثره على كلّ طاعة وعبادة ، لأنّ فيه المناجات مع الرّبّ ، بلا واسطة ، فأنظر كيف تقرء كتاب ربّك ، و منشور ولايتك و كيف تجيب أوامره ونواهيه ، و كيف تمتثل حدوده ، فانّه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد، فرتّله ترتيلا ، وقف عند وعده ووعيده ، و فكّر في أمثاله ومواعظه ، واحذر من أن تقع من أقامتك حروفه في اضاعة حدوده إنتهى ،فقدأشار عليه السلام في هذه الكلمات باصول جميع مراتب القرائة باشارات لطيفة بديعة ، منها ما ذكرنا من التّعظيم للكلام والمتكلم ، والتّدبّر والتخلّي عن موانع الفهم ، والتفهم والتّخصيص ، والتّأثّر والتّرقّي ، وقد عرفت بعض القول في التّفهّم و ما قبله عند ذكر مراقبات نفس الصّلوة .

ونزيد هيهنا على ما ذكرنا امثلة جزئيّة للتّفكّر، و التّفهّم ليكون دستوراً لمن أراد ذلك .

فنقول مستمدّاً من الله الهادي إذا قرئت مثلاً في سورة الواقعة، أفرأيتم الماء الّذي تشربون ، ءانتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ، فلك أن لا تقصر نظرك في آثار الماء بمجرّد رفع العطش ، أو مثله من آثاره الواضحه ،

بل تدبّر و تفكّر في تكون الاشياء منه ، من النّبات ، والجماد ، و الحيوان فتفكّر في ماء واحد كيف يصير غذاء للحبّ ، فيكون نباتاً ، ثمّ يصير غذاء للحيوان ، ثمّ يصير غذاء للانسان ، ويكون له عظماً ، ولحماً ، ودماً ، وشعراً ومخّاً ، ثمّ كيف يصير سمعاً ، وبصراً ، وغيرهما من القوى ، ثمّ انظر كيف يصير روحاً ، و حيوة ، و شعوراً ، وفكراً وعقلا ثمّ تفكّر في حقيقة العقل ، و عظمته ، ثمّ تفكّر في مراتب العقول ، ثمّ تفكّر في مبدء الماء ، و اقرء قوله تعالى : وانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ، ثمّ تفكّر في صفة الرّحمة و تفكّر في قيام الرحمة بالرّحمن ، و تفطّن من ذلك كلّه الى بعض وجوه قيّوميّته تعالى للعالم ، ثمّ اعطف النّظر في اتّحاد الرّحمة مع المرحوم في الخارج ، وهكذا إلى ان تفوز إلى حظّ وافر من اسرار الكون ، وإذا قرأت مثلا : لاإله إلّا هو الحيّ القيّوم ، فتفكّر في معنى القيّوم واقسامه فترى انّه يطلق إلى وجوه من المعاني .

منها قيّوميّة الاعمدة للسقوف ،

ومنها قيّوميّة الاجسام للاعراض ، و منها قيّوميّة النّور للشّعاع .

و منها قيّوميّة العلم لالصّور العلميّة ، واعلم انّ قيّوميّته تعالى اجلّ واعلى في معنى القيّوميّه من جميع هذه الاقسام ، وبعض هذه اقرب من بعض إلى قيّوميّته بوجه من الوجوه .

ثمّ اقرء قوله تعالى : ونحن اقرب إليه من حبل الوريد ، فتفكّر في اقسام القرب ، ثمّ تفكّر في معيّته تعالى للاشياء ، و تفكّر في اقسام المعيّة فنزّه قيّوميّة ، ومعيّته من كل قيّوميه ، وقرب و معيّة في غيره .

وإذا قرءت قوله تعالى : وان من شيء إلّا وعندنا خزائنه ، ومانتزّله إلّا بقدر معلوم ، فتفكّر أوّلا في معنى عند الله ، هل هو عبارة عن مكان مخصوص

بعيد عن مكان الاشياء ، فتكون في المكان البعيد الخارج من العالم ، مثلا بعد السّماء السّابعة ، أوفي باطن هذه العوالم ، وليس فيها بعد مكانيّ ، ثمّ تفكّر في الخزائن اهي نظير خزائن الدّنيا ، كخزائن الماء ، و الذّهب ، و الفضّة مثلا ، وليس كذلك ؛ بل كاختزان الثّمار في اصول الشّجر ، و الشّجر في الحبّ ، اوكاختزان المعلومات في العلوم ، و المعقولات في عالم العقل ، ثمّ تفكّر في كيفيّة وجود كلّ شيء في هذه الخزاين ، اهي بصورة ما في هذه العوالم ، أم بغيرها ثمّ تفكّر في كيفيّة تنزيلها ، فاذا تفكّرت في امثال هذه المطالب ، يرجى ان ينفتح لك باب فيه من اصول العلم ، مايفتح به ابواب كثيرة من أسرار الكون .

ثمّ إذا تفكّرت في اسماء الله في القرآن ، مثل الربّ ، والرّحمن ، و الرّحيم ، والقيّوم وغيرها ، ثمّ نظرت في آثارها في العالم ، فرأيت كلّ اجزاء العالم قائمة بها ، فانظر إلى ربوبيّته ، و رحمانيّته ، فهل ترى شيئاً في العالم خارجاً من حيطتهما ؟ وإذا تأمّلت بدقيق التأمّل ، رأيت رحمانيّته في شراشر وجودك ، وفي جميع العالم ، وهكذا ربوبيته ، فانّ الرّحمانيّة عبارة عن الرّحمة العامّة المساوقة للايجاد ، والابقاء ، والايجاد يعمّ كلّ شيء فبكل شيء وجوده من رحمته ، و بقائه برحمته ، ففي الخارج ليس الا رحمته ، فالعالم من حيث الموجوديّة رحمته وإذا نسبت الايجاد الى الموجود ، قلت هو فعله ، وإذا نسبته إلى الموجد قلت مفعوله ، ففي الخارج شيء واحد وهي رحمته ، و التخصيص هو أن يقدر انّ المقصود من خطابات القرآن هو فاذا قرء فيه امراً اونهياً قدر انه هو المأمور والمنهي ، وكذلك في الوعد و الوعيد وغيرهما فان القرآن انّما نزل لهداية جميع الامّة ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السّلام ، ويخرجهم من الظّلمات إلى النّور ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ، وهذا بصائر للنّاس

وهدى ورحمة للمتّقين ، فاذا نزل كذلك فليقدر كلّ قادر انّه المقصود .

و امّا التّأثّر ، فهو ان يتأثّر حاله باختلاف الايات ، بحسب مايقرء منها عند قرائتها .

فاذا قرء آيات العذاب يحزن ، ويخاف منها ويبكي .

وإذا قرء آيات الرّحمة يستبشر منها .

وبالجملة يتلوّن عند الاية المقروءة .

فيتضائل عند قرائة قوله : خذوه فغلّوه ، ثم الجحيم صلّوه ، من خيفته كانّه يكاد يموت ، ويستبشر عند قرائة لاتقنطوا من رحمة الله ، فانّ الله يغفر الذّنوب جميعاً ، كانّه يكاد يطير من فرحه ، ويتطأطأ عند قرائة اسماء الله ، و صفاته لاسيّما الجلاليّة منها ، مثل شديد العقاب خضوعاً لجلال إسمائه جلّ جلاله ، ويغض صوته ، ويظهر الانكسار عند ذكر الكافرين بعض مايستحيل على الله ، مثل ذكر الولد ، والصّاحبة ، و الشّريك له جلّ جلاله ، كانّه يكادان يموت من خطر هذه النّسبة .

ويظهر الشّوق فالانبساط عندذكر الجنّة واوصافها والخوف والانقباض عند ذكر النّار ، وانواع عذابها .

ويظهر الملق عندذكر أهل القرب و الزلفى كانّه يكاد يطمع ويؤمّل ان يمنّ بذلك عليه ، والاستغفار عند ذكر المعاصي ،كانّه يخاف أن يكون قد عمل بها ، وهكذا .

و الاولى أن يناجي ربّه بمقتضى هذه الاحوال ، عند قرائة هذه الايات بلسانه ايضا ، لانّ الذّكر باللّسان يؤكّد مافي الجنان .

والمقصود الاصلي من قرائة القرآن ، استجلاب هذه الاحوال الى القلب والنّفس و الرّوح ، وإلّا فمن قرئه باللسان ، ولم يرق قلبه من هذه الاحوال

ولم يؤثر في جوارحه بالاعمال ، وقد سمعت في كلام الصّادق عليه السلام ، انّه ممّن استهان لعظم شأن الله ، ولعلّه يدخل في المراد من قوله تعالى «ومن اعرض عن ذكري ، فانّ له معيشة ضنكا» ، فليكن اللّسان عند قرائة القرآن واعظاً والعقل مترجماً ، والقلب و سائر الجوارح متّعظا .

وقد حكى تأثّرات عجيبة عن بعض القارين من التّوبة ، والغشوة ، و الهلاك ، وقد يورث التأثّر مثلا من خوف جهنّم ، أن ينكشف له عن حقيقتها فيراها بالعيان ، و هكذا من الاستبشار بالجنّة ، أن ينكشف له حقيقتها ، فيراها بالعيان ، فيكون من الموقنين بالثّواب و العقاب ، و هكذا و التبرى عبارة عن التّبرى وعن حوله وقوّته ، وعن النّظر إلى نفسه بعين الرّضا ، و إلى عمله بالاعجاب ، فعند قرائة مافيه ذكر الصّالحين و المقرّبين يقدر نفسه منهم ، بل يؤمل ان يكون منهم بعد منّ الله و فضله ، و يشتاق إلى لقائهم .

و إذ تلى آية فيها ذمّ ومقت لعاص ، شهد نفسه هنا لك ، وقدّر وقوع المقت به .

وهذا ما اشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام عند وصفه للمتّقين و إذا مرّوا بآية فيها تخويف اصغوا إليها مسامع قلوبهم ، وظنّوا أن زفير جهنّم في آذانهم وإذا كان حاله ذلك ورأى نفسه مقصّرا في جميع الاحوال ، صارت هذه الروية سبباً لقربه من رضا ربّه ، فمن شهد البعد في القرب لطف له بالخوف ، حتّى يسوقه إلى درجة اخر من القرب ، ومن شهد القرب في البعد ، مكر به بالامن حتّى يفضيه إلى درجة اخرى في البعد ، و الترقي عبارة من أن يترقى في قرائته إلى حال يسمع الكلام من الله تعالى ، كما سمعته في قرائة الصّادق عليه السلام حيث قال : حتّى سمعتها من المتكلّم بها ، فانّ درجات القرائة مختلفة فادناها ثلث درجات ، ادنى الثّلاثة ، ان يقدر القارى كانّه واقف بين يدى الله

جلّ جلاله ، يقرئه عليه ، وهو ناظر إليه ومستمع منه ، فيؤثر ذلك فيه السؤال و الملق والضّراعة والابتهال ، وارفع من ذلك ان يشاهد بقلبه كان الله يخاطبه ويناجيه بكلامه ، فيؤثر ذلك الاصغاء و الفهم ، والتّعظيم والحياء ، والهيبة والرّجاء ، واعلى من ذلك كلّه ان يرى في الكلام المتكلّم ، و في الكلمات الصّفات ، فيشغله ذلك عن النظر إلى قرائته ، وإلى نفسه وبالجملة كلّ شيء سوى ربّه المتكلّم بالقرآن ، فيكون مقصوده الهمّ به ، حتّى عن انعامه و احسانه كانّه مستغرق في مقام الشّهود ، وعن مثل ذلك اخبر الصّادق حيث قال: والله لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه ولكن لايبصرون ، وغشى عليه عند تكرار القرائة في الصّلوة ، وهذه الدّرجة انّما يختص بها المقرّبين ، و ما قبلها درجة اصحاب اليمين ، وغيرها لساير النّاس من الغافلين ، واللّذة الكاملة إنّما هي في الدّرجة الاخيرة ، وصاحبها هو الّذي لايختار على هذا الحال حالا .

وحكى عن بعض الحكما ، انّه قال : كنت اقرء القرآن ، فلا أجدله حلاوة حتّى تلوته كانّي اسمعه من رسول الله ﷺ ، ثمّ تلوته ثمّ تلوته كانّي اسمعه عن جبرئيل ، ثمّ قال الله عليّ بمنزلة اخرى ، فانا الآن اسمعه من المتكلّم به ، فعند ذلك وجدت لذّة ، ونعيماً لا اصبر عنه .

هذا والّذي ذكرناه في التفكّر ، والتفهّم المفصّل ، إنّما هو لايتأتّي في قرائة الصّلوة امّا التفهم في قرائة الصّلوة ولا بدّ أن تكون بحيث لاتخل بصورة الصّلوة ، ثمّ انّه لا بأس بان نشير اجمالا إلى ما ورد في تفسير سورة الفاتحة ، وسورة القدر ، وسورة التّوحيد بمناسبة انّها تقرء غالبا في الصّلواة الخمس .

فأقول مستعينا ببسم الله الرّحمن الرّحيم .

في الخبر عن الباقر لاتدعها ولو كان بعدها شعر .

وعنه من تركها من شيعتنا امتحنه الله بمكروه لينبّهه على الشكر والثّناء ، ويمحق عنه وصمة تقصيره ، .

وورد أيضاً انّ بعض الشّيعه نسيه عند جلوسه بحضرت اميرالمؤمنين عليه السلام فوقع و شجّ رأسه ، فاخبره عليه السلام بانّ ذلك من جهة تركه للتسمية ، وورد غير ذلك أيضا في اخبارنا ، واخبار العامّة .

وورد في اخبارنا بالباء ظهر الوجود ،وبالنّقطة تحت الباء تميز العابد عن المعبود ، وورد في الكتاب لارطب ولا يابس إلّا في كتاب ، روى عن أمير المؤمنين عليه السلام انّ كلّ ما في القرآن في الفاتحة ، و كلّ ما في الفاتحة في بسم الله الرّحمن الرّحيم ، و كلّ مافيه في الباء ، و كلّ مافي الباء في النقطة وانا النّقطة تحت الباء .

وورد الباء ، بهاء الله ، والسّين سناء الله .

روى في الكافي و التوحيد والمعاني عن العياشي ، عن أبي عبدالله عليه السلام الباء بهاء الله ، و السّين سناء الله ، والميم مجد الله .

والقمّي عن الباقر عليه السلام ، والصّادق عليه السلام ، والرّضا عليه السلام باسانيد جملة منها معتمدة ، مثله ، ولكن بدل مجد الله ملك الله .

ورواه كذلك في التّوحيد ثانيا .

و روى في التوحيد باسناده عن الرّضا عليه السلام ، ان اوّل ماخلق الله ليعرّف خلقه الكتابة ، حروف المعجم ، إلى ان قال : حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه أمير المؤمنين عليه السلام في ا ب ت ث ، انّه قال : الالف آلاء الله،والباء بهجة الله ، إلى ان قال : س ش ، فالسّين سناء الله ، إلى ان قال : م ن الميم ملك الله يوم الدّين الحديث .

وروى فيه أيضا عن الكاظم عليه السلام رواية ، في تفسير الميم بملك الله

وروايةعن علي عليه السلام في تفسير ابجد ، واخرىعن الباقر عليه السلام في تفسير الصّمد ، انّ الميم دليل على ملكه .

وروى في حروف لفظ الجلالة ، الالف الاء الله ، وفي بعضها تقييد الالاء بنعمة الولاية ، واللاّم الزام الله الخلق بالولاية ، والهاء هوان المخالفين لمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله ، و في بعضها هول جهنّم ، و في بعضها الهاوية ، فالمراد منها واحد كما هو ظاهر .

أقول : روى عن الطبرسي ، عن تفسير الثعلبي باسناده إلى مولانا أبي الحسن الرّضا عليه السلام .

انّه قال في الالف ستّ صفات من صفات الله ، الابتداء ، فانّ الله ابتداء جميع الخلق ، والالف ابتداء جميع الحروف ، والاستواء فهو عادل غير جائر ، و الالف مستوفي ذاته ، و الانفراد ، و هو فرد ، و الالف فرد ، و اتّصال الخلق بالله ، والله لا يتّصل بالخلق ، و كلّهم محتاجون إلى الله ، والله غنى عنهم ، والالف كذلك لايتّصل بالحروف ، والحروف متّصلة به ، و هو منقطع عن غيره ، والله بائن بجميع صفاته عن خلقه ، ومعناه من الالفة ، وكان الله سبب الفة الخلق ، رواه في كنز الدّقايق عنه أيضا مثله .

أقول : ويعرف من هذه الاخبار ، وغيرها ممّا روي في الابواب المختلفة انّ عالم الحروف عالم في قبال العوالم كلّها و ترتيبها أيضاً مطابق مع ترتيبها ، فالالف كانّه يدل على واجب الوجود ، والباء على المخلوق الاوّل ، وهو العقل الاوّل ، والنّور الاوّل ، وهو بعينه نور نبيّنا صلى الله عليه وآله ، ولذا عبّر عنه ببهاء الله ، لانّ البهاء بمعني الحسن و الجمال ، والمخلوق الاوّل إنّما هو ظهور جمال الحقّ ، بل التّدقيق في معني البهاء ، انّه عبارة عن النّور مع هيبة ووقار ، فهو المساوق المجامع للجمال و الجلال ، والمرتبة الثّانية مرتبة

السّين المفسّر بسناء الله ، الّذي هو في اللّغة بمعنى ضوء البرق ، و بمعني الرّفعة ، ودالّ على مرتبة النّفس الكلّية ، والثالث الميم المستديرة الحاكي عن دايرة الامكان ، المفسّر بالملك ، فالعوالم ثلاثة : عالم العقل ، وعالم النفس وعالم الملك والشّهادة ، وان شئت قلت : الجبروت و الملكوت ، والنّاسوت .

هذا ماورد في حروف البسملة ،

وأمّا ماورد في تفسير كلماته .

منها ما رواه في التّوحيد ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، انّ رجلا قام إليه ، فقال يا أمير المؤمنين ، اخبرني عن بسم الله الرّحمن الرّحيم ما معناه ؟ فقال : انّ قولك : الله اعظم اسم من اسماء الله ، وهو الاسم الّذي لاينبغي ان يسمّى به غير الله ، ولم يتسمّ به مخلوق ، فقال الرّجل فما تفسير قوله: الله قال هو الّذى يتأله إليه عند الحوائج ، والشّدائد كلّ مخلوق عند انقطاع الرّجاء عمّا دونه ، ويقطع الاسباب من كلّ من سواه ، وما رواه فيه أيضاً عنه عليه السلام في حديث ، قال : معناه المعبود الّذي يؤله فيه الخلق ، ويؤلّه إليه ، والله هو المستور عن درك الابصار ، المحجوب عن الاوهام ، و الخطرات ، ثمّ قال قال الباقر عليه السلام : معناه المعبود الّذي اله الخلق عن درك ماهيّته ، والاحاطة بكيفيّته ويقول العرب : اله الرّجل إذا تحيّر في الشّيء ، فلم يحط به علماً ، و وله إذا فزغ إلى الشّيء ، كما يحذره و يخافه ، و الاله هو المستور عن حواسّ الخلق .

وامّا تفسير الرّحمن الرّحيم ، ففي التّوحيد الرّحمن الّذي يرحم ببسط الرّزق علينا ، الرّحيم بنا في اديانتا ، ودنيانا ، وآخرتنا ، خفّف علينا الدّين وجعله سهلا خفيفا ، وهو يرحمنا بتميزنا عن اعاديه .

وفي رواية معتمدة : الرّحمن بجميع خلقه ، والرّحيم بالمؤمنين خاصّة.

وفي التّوحيد ايضاً في حديث قلت له : الرّحمن قال : بجميع العالم ، قلت : الرّحيم ، قال : بالمؤمنين خاصّة .

وفي رواية اُخرى تفسير الرّحمن بالعاطف على خلقه بالرّزق ، لايقطع عنهم موادّ رزقه ، وان انقطعوا عن طاعته ،

و عن المجمع عن عيسى بن مريم عليه السلام : الرّحمن رحمن الدّنيا ، والرّحيم رحيم الآخرة .

و في بعض ادعيّة الصّحيفة السجّاديّة ، يا رحمن الدّنيا والاخرة ، ورحيمهما ، وعن الصّادق ، الرحمن إسم خاصّ لصفة عامّة ، والرّحيم إسم عامّ لصفة خاصّة .

أقول : أصل الرّحمة العطوفة ، وقد يوجد في الرّحيم منا ثلثة أشياء : الرّقة ، والانكسار من ملاحظة حال المرحوم ، ثمّ العطف والشّفقة ، ثمّ ما يفعل به من مايقتضيه حال العطف من الاحسان والانعام ، و يشبه أن يكون الموضوع له اللّفظ هو الثّاني ، والاوّل من مباديه ، والثّالث من نتايجه ، فعليهذا لانلتزم في إطلاقها على الله تجوّزاً باثبات الغاية كما ذكروه ، لتخيّل دخول الرّقة في حقيقته ، فراراً عن القول باتّصافه تعالى بها ، فليس اطلاق الرّحيم على الله مقصوراً على إعتبار أخذ الغاية ، والغاء حقيقة الصّفة ، بل للرّحمة ، و كذا سايرافعال الله مبادى وجوديّة غنيّة عن التّحقيق ، هي حقيقة معاني الالفاظ ، فحقيقه الرّحمة هو المعني الّذي باعتباره يرحم الممكنات ، وهو حقيقة إسم الرّحيم من أسمائه المخلوقة العينيّة ، كما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله ان الله تعالى مائة رحمة ، أنزل منها واحدة إلى الأرض ، فقسّمها بين خلقه ، فبها يتعاطفون ، ويتراحمون ، وأخّرتسعاً وتسعين يرحم بها عباده يوم

القيمة ، فاطلاق الرّحمن والرّحيم على الله تعالى باعتبار خلقه الرّحمة الرّحمانيّة والرّحيميّة باعتبار قيامها به ، قيام صدور ، لاقيام حلول ، فرحمته الرّحمانيّة افاضة الوجود المنبسط على جميع المخلوقات ، فايجاده رحمانيّته ، والموجودون رحمته ، ورحمته الرحيميّة افاضة الهداية والكمال لعباده المؤمنين في الدّنيا ، ومنّه بالجزاء والثّواب في الآخرة ، فايجاده عامّ للبرّ والفاجر ، وهدايته مخصوصة للمؤمنين ، والرّحمن من جهة دلالته على الرّحمة المطلقة العامّة لايطلق على رحمة المخلوقين ، فهو من خصايصه تعالى ، والرّحمة الرّحيميّة من جهة أخذ الخصوصيّة ، والتّقيد فيها لامانع من إطلاقه على ما بينهم من الرّحمة المقيدة ، فمن نظر إلى العالم من حيث قيامه بايجاد الحق تعالى ، فكانّه نظر إلى رحمانيّته ، وكانّه لم ير في الخارج إلّا الرّحمن ، ورحمته ، ومن نظر إليه باعتبار إيجاده فكانّه لم ينظر إلّا إلى الرّحمن .

وبقى هنا وجه اطلاق الرّحمان ، واضافته إلى الدّنيا ، والرّحيم إلى الآخرة تارة ، وإطلاقهما واضافتهما إلى الدّنيا والآخرة في الدّعاء ، بقوله ﷺ : يا رحمان الدّنيا والآخرة ورحيمهما ، امّا الأوّل فللاشارة إلى الرّحمة المطلقة الّتي لايختصّ بها المؤمن ، والرّحمة الخاصّة الّتي يختصّ بها المؤمن بغلبة ظهور الاولى في الدّنيا ، والثّانية في الآخرة ، وأمّا الثّاني فللاشارة إلى وجودهما في الدّارين ، و عدم منع الكفّار من جميع وجوه الرّحمة الرّحيميّة ، فانّ دعوتهم إلى الايمان ، ببعث الأنبياء ، وانزال الكتب ايضاً حظّهم من الرّحمة الرحيميّة ، فهم لسوء إختيارهم منعوها عن أنفسهم ، و ضيّعوها .

ثمّ انّه يصح أن يدّعي مدّع انّ الرّحمة كلّها من الرّحمن الرّحيم ، لانّ ما يتراىء في العالم من الرّحمة ، فهي أيضاً من اشعّة رحمته ، وآثارها ،

فنسبتها إليه تعالى اصدق من نسبتها إلى غيره ، ونسبتها للغير ، إنّما هو بنحو من التّأويل ، كنسبة نور المصباح إلى الزجاجة بمجرّد وساطتها في ايصال النّور، بل كنسبة الاشراق إلى ضوء الشّمس، ونسبتها إلى الله كنسبة الاشراق إلي الشّمس .

ثمّ انّه قد يستشكل الخبيث في قلب المؤمن ، بمنافات وجود الآلام والاسقام ، والاحتياج والمكاره في العالم ، لاسيّما في المؤمن والولي مع كمال الرّحمة والقدرة؛ فيجيبه المؤمن بانّ هذا الشّرور والاسواء ، ليست إلّا للرّحمة بنتايج عواقبها الخيريّة ، و يرده الخبيث بالقدرة على ايصال الخيرات بغير توسيط الآلام ، فيتحيّر المسكين عن جوابه ، والّذي يسنح ببالي في جوابه ، انّ الوجه في تقدير الفيض كمّاً و كيفاً ، كما يفهم من قوله تعالى : وما ننزّله إلّا بقدر معلوم ، إنّما هو قضيّة تقييد مقتضيات ساير الصّفات بصفة الحكمة ، فالحكيم لا يخلق ولا يعمل ، ولا يجود ، ولا يرحم بما ينافيه الحكمة .

ثمّ ان حظّ العبد من صفة الرّحمان ، ان لايدع لذي فاقة فاقة إلّا يسدّها بقدر طاقته ، ولا يترك فقيراً في جواره و بلده إلّا ويقوم في تعهده ، ودفع فقره امّا بماله اوجاهه ، او السّعي في حقّه بالشّفاعة إلى غيره ، فان عجز عن ذلك كلّه فيعينه بالدّعاء ، وإظهار الحزن من حاجته وضرّه رقّتاً وعطفاً عليه ،كالسّهيم في الضرّ ، والحاجة،وامّا حظّه من رحمة الرّحيميّة ، أن يرحم عباد الله الغافلين ، فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله بالوعظ والارشاد بطريق اللّطف ، لا العنف ، و أن ينظر إلى العاصين بعين الرّحمة ، لا الازراء ، وأن يفرض كلّ معصيته من العاصين كانّها ~~...~~ معصيته ويجتهد في ازالتها بقدر طاقته و وسعه ، فيصرف بذلك العصاة عن التّعرّض لسخط الله ، اولبعده عن

جواره والابتلاء بعقابه .

هذا ، والمهمّ ان يعرف الانسان في الخارج إسم الله الرّحمن الرّحيم، ويتوجّه به إلى الله في الاستغاثه في أُموره كلّها ، معرفة جزئيّة شخصيّة ، فانّ لكلّ شيء جهتان : جهة من الله ، وهي جهة إسم الله الّذي به أُوجده الله ، وجهة نفسه ، وحق الاستعانة باسم الله أن يعرف الانسان هذه الجهة في الخارج فيتوجّه بها إلى الله ولا بأس للاشارة برد بعض ما حدث بين أهل العلم من الاشكال في قرائة بسملة السّور من دون تعيين السّورة ، وقرائتها بقصد سورة اخرى غير السّورة المقرّوة، بلحاظ انّ البسملة في كلّ سورة آية منها، غير البسملة في السورة الأُخرى ، لما ثبت انّها نزلت في اوّل كلّ سورة إلّا سورة برائة ، فتعيين قرآنية هذه الالفاظ ، إنّما هو بقصد حكاية ماقرئه جبرئيل عليه السلام على رسول الله ، وإلّا فلا حقيقة لها غير ذلك ، و على ذلك يلزم في قرآنيّة الآيات ان يقصدمنها ماقرئه جبرئيل عليه السلام ، وماقرء جبرئيل عليه السلام في الفاتحة حقيقة بسملة الفاتحة ، وهكذا بسملة كلّ سورة لا يكون آية منها إلّا بقصد بسملة هذه السّورة ، فاذا لم يقصد التّعيّن ، فلا يكون آية من هذه السّورة ، بل ولا يكون قرآناً ، والجواب عن ذلك كلّه أنّ للقرآن كلّه حقايق في العوالم ، ولها تأثيرات مخصوصة ، وليست حقيقتها ، مجرّد مقرويّتها من جبرئيل عليه السلام ، بل المقروية لجبريل لاربط لها في الماهيّة ، والبسملة ايضاً آية واحدة ، نزلت في اوّل كلّ سورة ، فلا يختلف بنزولها مع كلّ سورة حقيقتها ، وليست بسملة الحمد مثلا إلّابسملة الاخلاص ، ولا يلزم ان يقصد في كلّ سورة خصوص بسملتها بمجرّد نزولها مرّات ، وإلّا يجب ان يقصد في الفاتحة ايضاً تعيّن مانزل أوّلاً ، أو ثانياً ، لأنّها أيضاً نزلت مرّتين ، فلا ضيرأن لايقصد بالبسملة خصوصيّة السّورة ، بل لا يضرّ

قصد سورة ، وقرائة البسملة بهذا القصد ، ثمّ قرائة سورة اخرى ، وليس هذا الاختلاف إلّا كاختلاف القصد الخارج عن تعيين الماهيّات مثلا إذا فرضنا انّ الصّلوة في المسجد افضل ، و غفل المصلّي عند الصّلوة عن كون الصّلوة في المسجد ، بل اشتبه عليه الامر وفرض نفسه في غير المسجد وصلى هذا لا يضرّه في صلوته ، وفي كون صلوته في المسجد ، نعم لايستحقّ ثواب قصد الصّلوة في المسجد ، بل الّذي دلّ عليه بعض الاخبار ، انّ الامر في النيّة اوسع ممّا ذكرنا ، مثل ما ورد في احتساب صوم من غفل عن دخول شهر رمضان ، بنيّة غيرصوم‌شهر رمضان ، عن شهر رمضان ، هذا .

ولنذكر الآن ما أخّرنا ذكره من القول في تفسيرالاسم .

اقول : تفسير الإسم في الأخبار بالسّمة بمعني العلامة معروف ، والاخبارفي‌حدوث اسماء الله‌تعالى متواتره،وفي اثبات‌الاسماء العينية له تعالى كثيرة ، وفي كونهم ﷺ اسماء الله الحسنى مستفيضة ، ويفهم منها أن جميع افعال‌الله في العالم من‌الابداع،والخلق‌والرّزق،والحفظ وغيرها انّماهي قضيّة اسمائه ، وان الله تعالى إنّما جعل بعض مخلوقاته واسطة لخلق بعضها‌الآخر و سمّاه اسماً لنفسه كما في مضامين بعض الادعيّة ، اسئلك باسمك الّذي خلقت به البحر ، وباسمك الّذي خلقت به الجبال ، وهكذا ، وانّ لاسمائه تعالى مراتب بعضها فوق‌بعض ، فيكون‌اعظم‌اسمائه مخلوقه الاوّل ، والواسطة بينه و بين الكلّ ، فينطبق بمعونة بعض الاخبار‌بحقيقة نور نبيّنا ، وآله المتّحدين معه في النّورانيّة .

ولا بأس أن نذكر من تضاعيف هذه الجملة ما فيه كفاية لإثبات ما ذكر .

منها ما رواه في‌التّوحيد عن الرضا عليه السلام ، حين سئل عن تفسير

البسملة ، قال: معني قول القائل: بسم الله ،اى أسم ُعلى نفسي سمة من سماة الله، وهي العبادة ، قال الرّاوى فقلت له : ما السّمة ؟ قال : العلامة :

أقول: المتحقّق بحقيقة التّسمية ، متحقّق بمقام العبوديّة، الّتي كنهها الرّبوبيّة ، و هي علامة الرّبوبيّة ، ومظهرها لأنّ العبوديّة فناء ، وتبعيّة وقابليّة ،وسؤال،والتجاء ، واعتصام ، والرّبوبيّة كمال وجود ، واعطاء وإيجاد وامداد وتأثير ، و الاولّة مظاهر للآخرة فمن يسمّي نفسه بهذه السّمات ، أي بجهات الفقر والفناء ، فقد ناله بما يريد من تأثير الرّبوبيّة ، ومن يسمّى بسمات نفسه ، أي رأى لنفسه قدرة وحولاً وقوّة ، إحتجب بنفسه عن ربّه ، وذلك لان ّكلّ ممكن موجود ، زوج تركيبي ّ له وجود وماهيّة ، أي لوجوده الخاص ّ جهتان : جهة من ربّه ، وهو ايجاده له ، وجهة من نفسه وهو انانيّته وماهيّته ، وهذه الجهة فناء وعدم مع قطع النّظار عن جهة إيجاده تعالى له ، والفاعل عند فعله إذا التفت ان ليس له من جهة نفسه إلّا الفقر ، وانّ الحول و القوّة كلّها من جهة إيجاد الربّ ، فهو متسم نفسه بسمة من سمات الله ، وهو فقره وفنائه ، وذلك علامة الله ، فكانّه إذا رأي نفسه فقيراً فانياً ، بل فقراً وفناء ، توجّه في تحصيل مرامه من فعله ، إلى الله و إلى اسمائه .

ومنها ما رواه في الكافي ، والتّوحيد ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : انّ الله خلق اسماً بالحروف غير متصوّت ، وباللّفظ غير منطق ، وبالشّخص غير مجسّد ، وبالتّشبيه غير موصوف ، و باللون غير مصبوغ ، منفيّ عنه الاقطار ، مبعد عنه الحدود ، محجوب عنه حسّ كلّ متوهّم ، مستتر غير مستور ، فجعله كلمة تامّة على أربعة اجزاء معا ليس منها واحد قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة اسماء لفاقة الخلق إليها ، وحجب واحداً منها ، وهو الاسم المكنون المخزون ، فهذه الاسماء الّتي ظهرت . فالظّاهر هو الله تعالى: وسخّر

سبحانه لكلّ اسم من هذه الاسماء أربعة اركان ، فذلك اثنى عشر ركناً ،
ثمّ خلق لكلّ ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها ، فهو الرّحمن الرّحيم،
الملك القدّوس الخالق ، البارء المصوّر، الحيّ القيّوم ، لاتأخذه سنة ولانوم،
العليم الخبير ، السّميع البصير ، الحكيم العزيز ، الجبّار المتكبّر ، العليّ
العظيم ، المقتدر القادر ، السّلام المؤمن المهيمن ، البارىء المنشي ، البديع
الرّفيع ، الجليل الكريم ، الرّازق المحيى المميت ، الباعث الوارث ، فهذه
الاسماء ، وما كان من الاسماء الحسنى ، حتّى تتمّ ثلثمائة وستين اسماً ، فهي
نسبة لهذه الاسماء الثّلثة ، وهذه الاسماء الثّلثه أركان وحجب الاسم الواحد
المكنون المخزون بهذه الاسماء الثلثة ، و ذلك قوله تعالى : قل ادعوا الله أو
ادعوا الرّحمن ، ايّاً ماتدعوا فله الاسماء الحسنى .

أقول : يشبه أن يكون المراد من هذا الاسم العينى ، هو أول خلق الله
النّور المحمّدي ، وبجزئه المخزون المكنون ، جهته الإلهيّة، وباجزائه الثّلثة
الظّاهرة ، عوالمه الثّلاثة ، عالم روحه المجرّدة ، وعالم مثاله المقيّد بالصّورة،
وعالم جسمه المقيّد بالمادّة ، والصّورة ، وباركانها الاربعة ، الاملاك الاربعة ،
إسرافيل ، و ميكائيل ، وجبرائيل ، وعزرائيل الموكّلين بالحيوة ، والموت ،
والعلم ، والرّزق ، أونفس الموت والحيات ، والعلم ، والرّزق ، وان يكون
المراد من الثّلث مائة ، والسّتين ، جملة الاسماء الّتي هي فعل منسوب إلى
الاركان الاثنى عشر ،ما يفيضه الله تعالى بوساطة الاملاك الأربعة ، في العوالم الثّلثة
من تفاضل آثار أفعالهم ، مثلا كلّما يوجد في عالم الارواح ، والمثال، والاجسام
من فعل الرّزق ، فهو مايفيضه باسم الرّزق بواسطة ميكائيل ، وهكذا مايوجد
فيها من العلم ، والهداية ، فهو مايفيضه بوساطة جبرئيل باسم العلم ، وهكذا
جملة التّأثيرات الواقعة في العوالم الثّلاثة بايجاد الله تعالى: بوساطة هؤلاء

الاملاك الموكّلين بالاحياء ، والاماتة والرّزق ، والعلم ، و يجمعها ثلثمائة و ستّين نوعاً من المؤثّرات المسمّاة بالاسماء العينيّة ، ويمكن أن يكون تحت كلّ واحد من هذه الانواع ، اصناف عديدة ، وافراد غير محصورة ، ويعدأيضاً من عالم الاسماء ، وبهذا اللّحاظ قيل : انّ اسماء الله غير محصورة ، ولابد أن يكون بعضها فوق بعض ، ومحيطاً ببعض ، وبعضها في عرض بعض ، والمحيط بالكلّ هو الواحد الاحد ، ولعلّه المراد بقول اميرالمؤمنين عليه السلام في خطبته : لكلّشيء منها حافظ ورقيب ، و كلّ شيء منها بشيء محيط ، والمحيط بماأحاط منها ، الواحد ، الاحد ، الصّمد .

و منها ما رواه في الكافي باسناده ، عن أبي عبد الله عليه السّلام ، في قول الله تعالى : ولله الاسماء الحسنى ، فادعوه بها ، قال : نحن والله الاسماء الحسنى - اه .

ومنها مارواه في الوافي ، قال : قال نبيّنا صلى الله عليه وآله أوّل ماخلق الله نوري ، وفي رواية أخرى ، روحي .

وفي بعض دعوات شهر رمضان ، انّه عليه السلام الحجاب الاقرب ، فيكون طرف الممكن ، وواسطة بين الواجب وساير الممكنات ، متّصلة بحقيقته ، و مستمدّة منها ، وعلى هذا فمن قدران يخلي نفسه ، وفكره من جميع الاكدار ، وظلم المعاصي ، و انواع الخيالات ، والاوصاف الطّارية عليها ، و كشف عن وجه روحه هذه الاغشية ، و ساير الحجب ، يمكن له أن يعرف نورهم صلوات الله عليهم ، ويتّصل روحه بارواحهم ويستمدّ من نورانيّتهم ، فيكون حينئذ من شيعتهم المقرّبين ، واوليائهم السّابقين ، رزقنا الله ذلك ، وجميع اوليائه المؤمنين ، ويحتمل أن يكون هذا هوالمراد بمعرفةالاسم الاعظم ، فانا

عرفه وليّ من الاولياء معرفة شخصيّة ، وتوجّه به إلى الله في دعائه ، اجابه الله بالقبول ونيل المسئول .

وأمّا قوله :

الحمد لله ، أي جنس الحمد ، أوجميع افراده ، ملك لله ، اومختصّة به جلّ جلاله ، لأنّ الحمد هو الثّناء في مقابل الجميل ، سواء كان من الفضايل ، ام الفواضل ، والحامد معترف بنعمة الله ، و مظهر شكره ورضاه ، من منّة الله عليه بلسانه ، و من زاد على ذلك وأعتقد ان جميع النّعم والخير والفضل من الله ، يزيد شكره ورضاه لامحالة ، ثمّ انّ في ذكر لفظ الجلالة في مقام الحمد ، إشارة لعلّة اختصاص الحمدلله تعالى، لانّ معني لفظ الجلالة إنّما يشير إلى الذّات المستحقّ لجميع صفات الكمال .

و منها غناه عن الكلّ في جميع الجهات ، واحتياج الكلّ اليه في جميع الجهات ، و هذا يقتضى استحقاقه باختصاص الحمدله ، فمن راى الخير كلّه من الله ، لايطمع في احد غيره ، ويتخلّص من رعونات الرّياء ، والسّمعة ، بل النّفاق ، و غيرها من الاخلاق الرزيلة الّتي تنشاء من الرّغبة ، والرّهبة، و بالجملة حال الحمد معرفة النّعمة و الرّضا عن المنعم ، فمن لم يصدق قلبه حمده ، وكان قلبه غير راض ، و غير متشكّر ، فحمده باللّسان من شعب النفاق .

« برزبان الحمد واكراه ازدرون ✻ از زبان تلبيس باشد بافسون »

هذا حال مطلق الحمد ، فكيف اذااعتقد انّ جميع النعم الغير المحصورة من الله .

هذا و من اللازم في المقام ، إن نذكر بعض ما ورد في البسملة ، ليتّم به المقصود ،

في الكافي عن الباقر عليه السلام اوّل كلّ كتاب نزل من السّماء بسم الله الرّحمن الرّحيم ، فاذاقرئتها فلاتبال ان لاتستعيذ ، و اذاقرئتها سترتك ما بين السّماء والارض .

وعن القميّ عن الصّادق عليه السلام ، انّها احقّ ما يجهربه ، و هي الاية الّتي قال الله عزّ وجلّ : و اذا ذكرت ربّك في القرآن وحده ، و لوّا على ادبارهم نفورا .

قيل : لعل الوجه في رجحان الاجهار به أن يكون موجباً لظهور فيوضاته في العالم .

روى الشيخ في الصحيح ما هوصريح في كونها افضل آيات الفاتحة .

و في رواية انّه اعظم آية من كتاب الله .

و في اخرى انّه اكرم آية في كتاب الله .

و في رواية أنّه اذا لم يجهربه الامام ، ركب الشّيطان كتفه ، و يكون هواماماً للنّاس حتّى ينصرفوا .

وعن النيسابورى ، مرسلا عن أمير المؤمنين عليه السلام : أنّه قال : لمّانزلت بسم الله الرّحمن الرّحيم ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله اوّل ما نزلت هذه الاية علي ادم عليه السلام ، قال : امن ذرّيّتي من العذاب ماداموا على قرائتها ، ثمّ رفعت فانزلت على ابراهيم عليه السلام فتلاها وهو في كفةالمنجنيق ، فجعل الله عليه النّار برداً وسلاما ، ثم رفعت بعده فما انزلت الّا على سليمان عليه السلام ، عندها قالت الملائكة تمّ والله ملكك ، ثمّ رفعت فانزل الله تعالى عليّ ، ثمّ يأتى امتي يوم القيمة و هم يقولون : بسم الله الرّحمن الرّحيم ، فاذا وضعت اعمالهم في الميزان ترجّحت ، اقول : يستشعر من قوله عليه السلام : ثمّ رفعت انّ انزالها ليس بمجرد قرائة الملك لفظها على الانبياء ، و إلّا فلا معنى لرفعها ، فيمكن

ان يكون انزالها ورفعها ، انزال حقيقتها و آثارها في العالم ، كما يشعر به ما ورد على ما ببالي ، انّه بعد ما انزل اهدنا الصّراط المستقيم ، ارتفع التّنصر و التّهوّد من امّة محمد ﷺ .

روى في الكافي و العلل باسانيد معتبرة ، عن الصّادق في ذكر صلوة ليلة المعراج بطوله : ثمّ انّ الله عزّ وجل قال : يا محمد ﷺ استقبل الحجر الاسود ، و كبّرني بعدد حجبي ، فمن اجل ذلك صار التكبير سبعا ، لأنّ الحجب سبعة ، و افتتح القرائة عند انقطاع الحجب ، الى ان قال : فلمّا فرغ من التكبير والافتتاح ، قال الله : الان وصلت اليّ فسمّ باسمي ، فقال : بسم الله الرحمن الرّحيم الحديث ، اقول : هذا الحديث بهذا الاعتبار ، انّما يفتح منه لاهله ابواب من اصول المعارف ، و من ادني مايعلم منه ، انّ التّسمية له حقيقة عالية ، وليس يحصّل ذلك بمجرّد التّلفّظ ببسم الله الرّحمن الرّحيم ، و هكذا ساير اجزاء الصّلوة و القرائة ، و يشبه ان يكون وجه تعليق الاذن في التّسمية بالوصول ، انّ الوصول لايتحقّق إلّا بفناء العبد وارتفاع الحجب الظلمانيّة و النّورانيّة كلها بينه و بين الله ، ولا تيسر ذلك إلّا بتخلّي العبد عن جميع عوالمه و اسمائه ، و اوصافه ،وح يصير اهلا لظهور اسماء الحقّ الّتي في حيطة لفظ الجلالة عموماً ، و ظهور الاسماء الّتى تحت حيطة الرّحمن و الرّحيم خصوصاً ، وعند ذلك يتحقّق العبد بحقايق هذه الاسماء ، و يكون لوحاً جامعاً لاسماء الله تعالى ، و مظهراً لها كما ورد انه ﷺ رحمة للعالمين ، و وجه الله و خليفة الله ، ومعلّم الملائكة والانبياء ، هذه كلّها من آثار مظهريّة الأسماء الثلاثة ، و مظهراً لبهاء الحق و سنائه و ملكه ، ولعل هذه حقيقة نزول التّسميه ، وروحه فمن اراد التّسمية فله ان يتشبّه به ﷺ بما يمكنه بقدر مقامه ، و ادنى مراتبه لامحالة ان يتوجّه بقلبه وروحه الى حقايق هذه

الاسماء بعد معرفتها ، و ذلك لاتيسّر إلّا ان يحصل لنفسه حظّا من هذه الاسماء ، ولكنّه بالنّسبة الى حقيقة لفظ الجلالة لاحظّ له إلّا بالتّألّه ، و ليس يمكن لاحد من الممكن ان يعرف حقيقة الالوهيّة بوجه من الوجوه ، نظير انّه لايمكن لفاقد قوة البصر ان يعرف معنى البصر ، بل الامر أجلّ من ذلك ، لأنّه لايمتنع عليه ذلك بأن يخلق الله فيه قوّة البصر ، ثمّ يعرفه معنى البصير ، ولكن صيرورة الممكن بالذّات واجباً بالذّات محال ، لايتعلّق به القدرة ، و فرضه تناقض ، فحظّ العبد من ذلك التّاثر بمعنى ان يكمل حقيقة العبوديّة ، و امّا خاصيّة الالوهيّة ، و هو الغناء الذّاتى ، والوجوب الذّاتى فلا حظّ له من ذلك ابدا ، و من هذا الباب قول اقرب المخلوقات و اعلمهم بالله : انالااحصى ثناء عليك ، وقوله : ما عرفناك حقّ معرفتك ، ما ينحصر حظّ العبد من هذه الاسم ، في ان يكون مستغرق الهمّ بالله ، و لا يلتفت الى غيره و يعرف حقيقة فقره ، و فقر ماسواه في جميع الجهات ، ولا يرى في الوجود الّا الله واسماءه ، وافعاله ، فحقايق ماسوى ، امّا الاسماء وامّا الافعال ، و في الأخبار المستفيضة ، انّ بسم الله الرّحمن الرّحيم ، الى الاسم الاعظم أقرب من سواد العين الى بياضه ، اومن بياض العين الى سواده ، على اختلاف الرّوايات ، و ظنّى انّ المقصود انّ المراد انّ حقيقة هذه الاسماء من جهة وجود لفظ الجلالة فيها ، و كونه جامعاً لساير الأسماء ، هوالاسم الأعظم ، و التعبير بالاقربيّة من المحيط والمحاط ، اشارة الى الاتّحاد بطريق التّكنّي ، اويقال: من جهة انّ المذكور لفظ بسم الله الرّحمن الرّحيم ، والاسم الاعظم حقيقته و الحقيقة ليست متّحدة مع اللّفظ ، و لكنّها اقرب اليه من المحيط والمحاط المسمّين ، لانّ قرب الاوّلين قرب المداخلة ، والاخرين قرب الملاصقة .

وروى في الاخبار ايضاً تأكيد في التّسمية ، ولولانشاد شعر .

وفيها ولربّما ترك بعض شيعتنا في افتتاح امره بسم الله الرّحمن الرّحيم ، فيمتحنه الله بمكروه ، لينبّهه على شكر الله و الثناء عليه ، و يمحق عنه وصمة التّقصير عند تركه بسم الله الرّحمن الرّحيم ، الى ان قال : فقال الله جلّ جلاله لعباده : ايّها الفقراء لرحمتي ، اني قد الزمتكم الحاجة الىّ في كلّ حال، وذلّة العبوديّة في كلّ وقت، فالىّ فافزعوا في كلّ امر تأخذون فيه وترجون تمامه، وبلوغ غايته ،فانّي ان اردت ان اعطيكم لم يقدر غيري على منعكم، وان اردت ان امنعكم لم يقدر غيري على اعطائكم، فانا احقّ من سئل، واولى من تضرّع اليه ، فقولوا عند افتتاح كلّ امر صغير او عظيم : بسم الله الرّحمن الرّحيم ، الى ان قال قال رسول الله : من حزنه امر تعاطاه ، فقال : بسم الله الرّحمن الرّحيم ، وهو مخلص لله ، و مقبل بقلبه اليه ، لم ينفكّ من احدى اثنتين ، امّا بلوغ حاجته في الدّنيا ، و امّا تعدّ له عند ربّه ، و يدّخر لديه ، و ما عند الله خير وابقى .

اقول : ومن هذه الرّواية يعلم انّ التّسمية ليس بمجرّد ذكر اللّفظ باللّسان . واخطار معناه على القلب ، بل باتّصاف القلب والجوارح بالفزع إلى الله ، وانّه لايضيع من قال بهذه الصّفة : بسم الله الرّحمن الرّحيم تسميته، وينال ه ثمرة التّسمية امّا في الدّنيا ، وأمّا في الآخرة ، وما ينال في الآخرة خير وأبقى .

وأمّا قوله : الحمد لله . اى جنس الحمد ، وهو الثّناء باللّسان على الجميل الاختيارى لله ، لانّ كلّ جمال يوجد فهو اثر من آثار جماله ، و كلّ خير في العالم فهو من آثار فيضه ، و ذكر اسم الله في المقام كأنّه اشارة إلى علّة إختصاص الحمد لله تعالى ، لانّ الله اسم للذّات المستجمع لجميع صفات الكمالات ، ومن جملتها انحصار الجمال والخير فيه ، فهو في قوّة ان يقال : كلّ الحمد لمن هو مستجمع لجميع الكمالات والخيرات ، لانّ كل كمال

وخيرمنه وله ، والظّاهران ّ المراد منه إنشاء الثّناء بهذا اللّفظ فيكون معناه اثنى على الله بجميع الثنايا واحمده بجميع المحامد كلّها ، والاخبار بمحموديّته تعالى واقعاً في جميع المحامد ، وان لم يشعر الحامد به ، لان ّ قصد حامد زيد مثلا في قبال احسانه حمده ، من جهة انّه منعم عليه ، و المنعم الحقيقى في جميع النّعم هوالله ، كما في دعاء الصّحيفة : و أنت من دونهم وليّ الاعطاء فيرجع الحمد كلّه إلى الله .

وأمّا ماورد من ترجيح شكر المنعم من النّاس ، فلكونه واسطة ومظهراً لنعمة المنعم تعالى ، فلا ينا في انحصار حقيقة الحمد في الله ، فظهر أن ّ وجود المظهر ، والصّورة منتسب إلى من ظهر وتصوّرفيه ، فكذلك محموديّته وجميع شئونه الثّبوتيّة منتسبة إليه اوّلا وحقيقة ، ثمّ إلى المظهر ثانياً ومجازاً ، فمن عرف ذلك ، ورأى الخير كلّه من الله لايطمع في غيره ، ويخلّص من رعونات الرّياء والسّمعة والنّفاق ، ويخلص عباداته من هذه الجهة ، وهكذا يخلص من أكثر الاخلاق الرّذيلة الّتي منشئها الرّغبة والرّهبه من النّاس ، وبالجملة حال الحمد معرفة النّعمة ، وإظهارها ، والرّضا من المنعم ، فمن صدق قلبه وعمله حمده باللسان فهو الحامد ومن لم يصدّق قلبه عمله ولسانه فهو منافق ومدلّس :

« برزبان الحمدوإكراه از درون ☆ از زبان تلبيس باشد يا فسون »

ثمّ إنّما قلناه من كون الحمد هو الثّناء باللّسان ، انّما يعم ّ لسان الحال و القال ، و إلّا وما من شيء إلّا يسبّح بحمده ، كما نطق به القرآن .

رب العالمين : أى مبلغ كلّشيء من العقل الاوّل إلى مرتبة الجمادات ، بجميع اجزائها وجزئيّاتها ، وافرادها وجهاتها إلى كماله الّذي حكم به حكمته ، واقتضته اسمائه بتدبير اموره ، و تغذيته ، وتنميته وحفظه وامساكه ، و جميع لوازمه ، فان الرب ّ صفة مشبّهة بمعني إسم الفاعل ،

و التّربية يتبع المربّي في كماله ، و العالمين جمع العالم ، والربّ مضاف إلى الجمع المحلّي باللاّم ، فيفيدأنّ ربوبيّته تعالى شاملة لكلّ مافي الوجود بجميع جهاتها ، وهو متوحّد في هذه الرّبوبيّة ، و وجه الشّمول انّ لفظ العالم إنّما يطلق على جملة ما سوى الله ، وعلى كلّ نوع من أنواعها ، فكانّه اعتبر في اطلاقه اجتماع امور مع نحواتّحاد بينها ، مثلا يقال : عالم الافلاك عالم الملكوت ، ويجمع ويقال عوالم الافلاك ، و عوالم الملكوت من جهة أنّ الافلاك ، و كذا الملكوت مشتملة على عدّة أمور مجتمعات بين افراد كلّ منها متحد في جهة ، ويقال : عالم العقول ، عالم الأرواح ، عالم الانسان ، وعالم زيد ، بل يقال عوالم زيد ، لان كلّ فرد من افراد الانسان كانّه نسخة مختصرة من العوالم كلّها بالقوّة ، فباعتبارهذه القوّة ، هو مركّب من العوالم الغير المحصورة .

وبالجملة العوالم كثيرة جدّاً ، وفي بعض الأخبار إنّ في عالم المثال ثمانية عشر الف عالماً .

وروى الصّدوق في آخر الخصال عن الباقر عليه السلام ، انّ الله خلق الف الف عالم ، والف الف آدم ، ونحن في آخر العوالم ، وآخر الآدميّين .

وبالجملة انّ الله بحكم هذه الآية ، ربّ جميع هذه العوالم حتّى الجنّة والشّياطين كما صرح بذلك في دعاء ليلة العرفة ، بقوله : و ربّ الشّياطين ، وما أضلّت .

وبالجملة مفيض وجودجميع الاشياء إلى أبد الاباد ، بعد إيجادها اوّلا ، إنّما هو الله ربّ العالمين ، فجميع العوالم مع اجزائها و جهاتها ، قائمة بتربيته ، و ربوبيّته ، فمن أمعن نظره في العالم ، رأي العوالم كلّها قائمة بالربّ تعالى ، ورأي إنّ ربوبيّته تعالى ، و تربيته ليس كتربية الملاك

للأملاك ، ولا كتربية الاباء للاولاد ، ولا كتربية النّفس للاعضاء ، ولا كتربية النّفس للقوى ، ولكن تربية النّفس للقوى اشبه بتربيته تعالى من غيرها ، من حيث انّها محصّلة للقوى ومقوّية لها ، وحافظه ، ومبلّغة لها إلى كمالاتها الاوّليّة ، والثّانويّة .

وبالجملة العوالم كثيرة بعضها محيط بالبعض ، كاحاطة الماء بالأرض ، والهواء بالماء ، وهكذا الافلاك الباقية، حتّى ينتهي إلى فلك الافلاك . ومحدّد الجهات الّذي هو منتهى الاشارات الحسيّة المحيطة بجميع الاجسام ، وهو اصفاها ، والطفها بحيث يشبه طرفه الاعلى بعوالم المثال، وهي محيطة به ، وبما دونه احاطة لطيفة لايساوق احاطة الاجسام المادية بعضها ببعض ، وهي عوالم كثيرة بعضها فوق بعض ومحيط به ، حتّى ينتهي إلى الطف عوالمها الّذي يشبه في اللّطف إلى عوالم النّفوس المجرّدة ، عن المادّة والمقدار ، وهكذا إلى ان ينتهي إلى العقل الأوّل ، والنّور الأوّل ، وهو أقرب الخلايق كلّها من الله الجليل ، ومحيط بالكلّ احاطة عقليّة ، والمحيط به هو الله ، ولكن باحاطة غير مساوقة لاحاطة غيره من المراتب ، نعم احاطة العقل الاوّل اشبه باحاطته من احاطة غيره بما دونه .

ويدلّ على هذا التّرتيب الكلّي اجمالا ، كلمات المعصومين عليهم السلام ، لايحافي مطاوي بعض الادعيّة والخطب .

ومن جملة ذلك ، قول اميرالمؤمنين في خطبته الّتي قال ثقة الإسلام : انّها من مشهورات خطبه عند ذكر العوالم ، وكلّ شيء منها لشيء محيط ، والمحيط بما احاط منها الله الواحد الأحد ، بل الّذي يقوله اهل التّحقيق : انّ كلّما في هذا العالم عالمنا الحسي من الجواهر و الاعراض ، فله حقيقة في عالم المثال ، ولكن صفاته وآثاره انّما يناسب بعالمه ، بل لكلّ محسوس

وجود في كلّ عالم من عوالم المثال عليحده ، و لكلّ شيء فيها حقايق في العوالم الّتي فوقها ، ولكن يختلف آثار تلك الحقايق و صفاتها ، و صورها باختلاف العوالم ، ففي كلّ عالم لحقيقة واحدة آثار وصفات عليحده ، تناسبها مثلا حقيقة العلم في عالمنا هذا كما نرى ، و في بعض عوالم المثال له صورة كصورة اللّبن .

ومن الأخبار الّتي يمكن الاستدلال ، والاستيناس لما ذكرنا ، مادلّ على انّ الاشياء تنزل من السّماء إلى الارض ، وتعرج منها إلى الله في يوم مقداره خمسين الف سنة .

و فى القرآن المجيد : وان من شيء إلّا وعندنا خزائنه ، وما ننزّله إلّا بقدر .

وفيه : وفي السّماء رزقكم وما توعدون .

وفي الأخبار انّ الله خلق ملكاً في صورة الإنسان ، يسترزق للادميين وملكاً في صورة الثّور ، يسترزق للبهائم ، وهكذا .

وفيها : خلق جوهراً فخلق منه الماء ، وخلق من زبد الماء الارض ، ومن دخانه السّموات ، وخلق من التراب الإنسان .

و فيها : كما مرخلق من اسمه المكنون ، اثنى عشر اسماً ، و خلق من كلّ منها ثلثين اسماً ، فعلا منسوباً اليها .

و فيها : انّ الله تعالى خلق الف الف عالم ، و الف الف آدم .

و وعن أمير المؤمنين عليه السلام : قد دورتم دورات ، و كورّتم كورات ،

و هذامحمول على مادلّ على التنزّلات الوجوديّة ، ويمكن ان يستدلّ لذلك بكلّ مادلّ على انّ الملائكة وسايط فيض الاله في العالم ، لانّ عوالم الملائكة مختلفة ، بعضهم من عوالم المثال ، و بعضهم من عوالم النّفوس ، و

بعضهم من عوالم العقول .

و بالجملة كما انّ العوالم في قوس النّزول مترتّبة ، فكذلك في قوس الصّعود .

وممّا يدلّ على ذلك في قوس الصّعود ، الاخبار الّتي دلّت على تجسّم الاعمال في البرزخ ، و القيمة و اختلاف صور الادميّين في البرزخ ، و القيمة ، حتّى في بعضها انّ الاعمال و الاوقات يجيىء يوم القيمة مجتمعة في وقت واحد ، ويجيىء يوم الجمعة كالعروس ، والصّلوة يجيىء في صورة شابّ حسن الوجه ، بل وفي بعضها انّ حقايق الجمادات ايضاً في الاخرة ذوات حياة ونطق و شعور ، وانّ عالم الاخرة هي دار الحيوان ، و كلشيء فيها حيّ ناطق شاعر ، و للاعراض فيها احكام جواهر هذا العالم ، و يفهم منها انّ الله تعالى انّما جعل الصّورة الانسانيّة انموزجاً لكل ما في جميع العوالم ، و نسخة مختصرة من اللّوح المحفوظ .

كما يشير اليه الابيات المنسوبة الى أمير المؤمنين : اتزعم انّك جرم صغير ـ اه .

وقوله ﷺ : اوّل ما خلق الله نوري .

و قولهم : و خلق من نورنا انوار شيعتنا ، قبل ان يخلق الملائكة ، فسبّحنا ، و سبّحت شيعتنا ، و سبّحت الملائكة و يدلّ عليه تعالى قوله تعالى : و علّم آدم الاسماء كلّها ـ اه .

و بالجملة كلمة اهل التّحقيق من علمائنا مجتمعة على انّ الصّورة الانسانيّة صورة جامعة لجميع ما في العوالم كلّها بالقوّة ، فكما انّ الله تعالى اودع فيها من جميع انواع ما في هذا العالم الحسّي ، من جواهره و اعراضه ، فكذلك جعلها معجوناً مركّبا من جميع ما في العوالم العالية فوق هذا العالم

ولكن بالقوّة ، وفي معراج السّعادة ، عن الصّادق ﷺ : الصّورة الانسانية اكبر حجّة الله على خلقه ، وهو الكتاب الّذي كتبه بيده ، و هو الهيكل الّذي بناه بحكمته ، وهي مجموع صور العالمين ، وهي المختصر من العلوم في اللّوح المحفوظ ، وهي الشّاهد على كلّ غائب ، والحجّة على كلّ جاحد وهي الطّريق المستقيم على كلّ خير ، وهي الصّراط الممدود بين الجنّة و النّار .

اقول : فعلى هذا ما يمنع العاقل ان يتدبّر في كتاب نفسه . ليظهر منه ما خفي عليه من اسرارعالم الكون ، بكلمات نفسه ، وحروفها، اماسمعت ما في ابيات أمير المؤمنين ﷺ : باحرفه يظهر المضمر ، والله تعالى يقول : سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم ، و كيف كان يجب على العبدبحكم العقل بعد التّفطّن بانّ ربّه يربيه في جميع عوالمه من جميع جهاته الّتي لايحصيها هو نفسه في جميع آفاته ، بل لا يشعر منها إلّا الاقل ، ان يحب هذا الربّ الودود ، ويخدمه بما يمكنه من عباداته ، ويخلص في عباداته ، و يوحّده في ربوبيّته ، ويترقّى عن مراقبة غيره في حركاته وسكناته كلها فضلاً عن عباداته ويستحي منه عن قصوره وغفلته عنه مع فقره اليه من وجوه غير محصورة ، وذكره تعالى له مع غناه عنه في جميع هذه الجهات ، وغيرها .

ثمّ انّ توحيد الربّ تعالى في ربوبيّة عزيز المنال ، علماً و اعتقاداً صعب الاشكال حالا وعملا ، والمتخلّق بهذا العلم والحال و العمل هم العارفون الكاملون ،المتخلّصون من أكثر رعونات العامّة في اعمالهم وأحوالهم وافعالهم لا سيّما هموم الدّنيا والرّياء في العبادات ، ومراقبات العباد في الحركات و السّكنات لاسيّما ، اذا صارت هذه الاوصاف ملكة للعبد ، فيورث له تعظيم الربّ تعالى والانكسار ، والحياء والخشوع والاخبات ، والانقطاع والوقوف

على حدود الفقر الاتم ،والاحتراز عن ارتداء شيء من مراتب جلال الربوبيّة فان انكشف له حقيقة معنى ربوبيّته ، ورأى جميع اجزاء العوالم من جهات كثيرة تحت تربيته تعالى ، وتحت مراقبته ورأى نفسه بجميع عوالمه مستغرقة في نعمه في افاضة وجوده ، وحفظه و رزقه و اصلاحه ، و تدبير اموره و تبليغه إلى كماله اللآئق به ، يفيض عليه بجوده ، ويرزقه من فضله ، و يحفظه في كنفه ، ويحميه في ظلّ عنايته ، و يصلح جميع شؤنه بمنّه حتى يبلغه كماله في جميع هذه الصّفات والشّؤن ، على اتمّ الوجوه ، وا كمل السّعادات ، و انّه لا يرضى له في ذلك بنعمة دون اخرى ، حتّى يتمّ له جميع النّعم ،وصنوف المنن بحيث لا يهمل له تصفية لونه ، وتزيين صورته و ترتيب جفونه وتمريض عينيه ، وتقويس حاجبه ، وتأمّل في مراقبته تعالى في مراتب حفظه من اصناف هذه المهلكات ، والموذيات والمولمات ومنغّصات العيش والسّعادة ، والكمال في جزء جزء من اجزاء بدنه واجزاء عوالم خياله وساير قواه وقلبه وروحه ، وسرّه في جميع تقلّباتها ،يذعن لامحالة ان يشكر له لبعض هذه النعم بقدر الامكان ،ولا يعارضه لامحالة بالتعرّض لمراسم كبريائه في حدود عوالم الرّبوبيّة .فان حكم المربوب المطلق من جميع الوجوه ، بالنّسبة إلى الربّ المطلق من كلّ الجهات ليس إلّا الاخلاص الصّادق في جميع حدود العبوديّة .

والمخلص كما عن مصباح الشّريعة ذائب روحه ، و باذل بهجته في تقويم ما به العلم والعمل ، والعامل والمعمول بالعمل ، وهو تصفية معاني التّنزيه في التّوحيد .

أقول : من جملة لوازم هذا التّوحيد ، ان لا يرى غيره تعالى ضارّاً ولا نافعاً ، بل ولا مؤثّراً في الوجود ، والعمل على ذلك مع ما يتراءى في هذا العالم بمقتضى كونه دار غرور من وجود الأسباب . وتخيّل تأثيراتها صعب

المنال لاينال إلّا بمعرفة كاملة ، وكشف عوالم الغيب ، وغلبة السرّ ، ولعلّ العمل على ذلك هوالمراد بالاستقامة الّتى فيقوله تعالى : واستقم كما امرت، في سورة هود الّتي ، قال رسول الله ﷺ فيها شيبتني سورة هود ، وقيل قاله: لمكان هذه الاية ، ولا يذهب عليك انّ في تصوّر ربوبيّته تعالى بجميع هذه العوالم ، بعدتشريح جزء من اجزائها مايبهر العقول ، مثلا إذا عقل الانسان انّ نسبة هذا العالم المحسوس ، إلى عوالم الجبروت ماذا ، لانّها او بعضها عوالم غير متناهية ، و نسبة المتناهى إلى غير المتناهى معلوم ، ثمّ يتفكّر في هذا العالم المحسوس الّذى فرضنا انّه اصغر العوالم ، واضيقها ، واحقرها ، وراجع تارة إلى علم الهيئة و قدر في نفسه ماثبت في هذا العلم ، من وجود الافلاك ، ونجومها وكواكبها مثلا ، ذكروا ان الكواكب الثّابتة كلّها شمس كشمسنا هذه في فضاء غير متناه ، ولكلّ منها اراضى، وذكروا في سعة مقدار هذا الشّمس ، انّها تزيد على كبر ارضنا هذه باثنى عشر الف مليون ، فانظر انت ايها الانسان الحسّى ، بعين حسّك نسبة كبرها الى الفلك الرّابع ، الّذي هى فيها ، كيف نسبتها اليه في الكبر والصّغر ، ثم تفكّر فيماوردانّ الفلك الرّابع ، بالنسبة الى الخامس، كحلقة في فلاة ، وهكذا الي الفلك السّابع ، وإلى الكرسى ، وإلى العرش ، ثمّ راجع إلى ارضنا هذه ، وتأمّل في سعتها ، وانسب سعة جثّتك إلى تمامها ، ثمّ اترك الكلّ ، وخذمن بدنك هذا ما في عينك من الاجزاء ، و الخواص ، و التّدابير ، و شرايط الصّحة ، و راجع عكوس تشريح طبقاتها ، و استارها ، و عروقها ، و تقدير غذائها ، و التّدابير الّتى استعملت لكلّ واحد من اجزائها ، و اندفاع ما بقى من فضلة غذائها ، و التّدابير الّتي استعملت في اشكال استارها والوانها ، و

رقتها وسخنها ، والتّدابير الّتي استعملت في وضع كلّ واحد منها على ترتيبها وتفكّر في آفاتها و اسقامها وادويتها ، وما استعمل في خواص ادويتها ، وعلوم علاجها ، وراجع الى اطبّائها ، و معالجتها ، فانّ عمر انسان واحد لايكفي لتحصيل تكميل علوم علاجها ، ثمّ انظر ماذاترى من عظمة امر الرّبوبيّة بالنّسبة إلى جميع بدنك ، ثمّ الى ابدان جميع الاناسي ، ثمّ ساير الحيوانات، ثم عوالم النّبات و جمادات هذه الارض ، ثمّ ثمّ ثمّ ثمّ ، حتّى ينتهي الى اخر ذرّات المحسوسات من الافلاك و الكواكب و الكرات ، و مخلوقاتها ، ثمّ في عوالم المجرّدات من المادّة ، من عوالم المثال ، ثمّ في عوالم النّفوس والارواح، ثمّ في عوالم العقول و قل عن حقيقة قلبك و سرّك ، و روحك و شراشر وجودك : سبحان ربّي العظيم وبحمده ، حتّى تؤدّى حقّ ادب ربّك العظيم، و تصير اهلا لقربه ، و الفناء بفناء ربك الاعلى .

الرّحمن الرّحيم ، قد مضى الاشارة الى تفسيرها ، ولكن يلزم في المقام الاشارة إلى وجه تكرار هذين الاسمين في سورة الفاتحة ، في خبر المعراج ، فقال : الحمدلله ربّ العالمين ، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله في نفسه : شكراً : فقال الله: يامحمد صلى الله عليه وآله قطعت حمدي ، فسمّ باسمي ، فمن اجل ذلك جعل الرّحمن الرّحيم في الحمد ، وفي بسم الله الرّحمن الرّحيم مرّتين ، ولعلّ المراد انّ قوله صلى الله عليه وآله شكراً في نفسه ، من جهة انّه ليس بعنوان قرائة كلام ربّه قطع لقرائه الحمد الّذي هو كلام الله و حمدالله لنفسه ، فلزم لابتدائه ثانياً ذكر اسمه تعالى ، فذكره بالرّحمن الرّحيم ، لانّ المقام مقام الحمد ، فاقتضى ذكر الرحمن الرّحيم، اولانّ اسم الله قد تكرّر فاختيارهما للتّسوية في التّكرار بين هذه الاسماء .

و قيل : اصل التّكرار من جهة انّ الاوّل اشارة الى توصيف اسم الله

بهما ، والثانى اشارة الى توصيف الذّات ، و تقديم الأوّل على الثّاني، لعلّه للتنبيه على مقام العبد القارى ، فيكون مقامه اوّلا النظر الى مقام الاسماء ثمّ الى مقام الذّات .

و قيل : يحتمل ان يكون المراد من ذكرهما في التّسمية ، نفس الصّفتين من حيث انفسهما ، و في مقام الحمد من حيث ظهورهما في العالم .

مالك يوم الدين و قرء ملك ، و غيرهما ، و الاصل فيهما واحد ، و هو الاستيلاء والقدرة ، والافتراق من الصيغ ، و كيف كان ليس مالكيّته تعالى كمالكيّة الملاّك لاملاكهم ، ولا كما لكيّة الملوك لممالكهم ، ولا كمالكيّة النّفوس ، للاعضاء ، و لا كمالكيّتها للقوى و الصّور العلميّة ، بل هي اجلّ و اعلى من هذه كلّها ، إلّا انّ مالكيّة النّفوس للصّور العلميّة اشبه لمالكيّته تعالى من غير ها ، لقيامها بالنّفوس ، و ايجادها بمجرّد الالتفات ، وافنائها بمجرّد الاعراض .

يوم الدّين ،يوم الحساب والجزاء ، اوالشّرع و كلّها منطبقة ليوم القيمة، لها اسماء كثيرة منتزعة من صفاتها ، و وقايعها كيوم الحشر والنّشر ، و يوم الندامة ، ويوم الحسرة ، و يوم الطّامّة ، وغيرها ممّا عبّر بها في كلمات المعصومين ، اخبارهم وادعيتهم ، وطوله على ما في القرآن خمسون الف سنة . فعن النبيّ ﷺ انّه تلى يوم يقوم النّاس لربّ العالمين .

ثم قال : كيف بكم اذا جمعكم الله ، كما يجمع النبل في الكنانة ، خمسين الف سنة ، لاينظر اليكم ، وقال تعالى في جزاء الاعمال والمظالم ،ولا تحسبنّ الله غافلا عمّا يعمل الظّالمون ، انّما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار، مهطعين مقنعي رؤسهم ، لايرتدّ اليهم طرفهم و افئدتهم هواء .

روى في الكافي باسناده ، عن سيد العابدين عليه السلام قال : حدثني ابي عليه السلام انه سمع اباه أميرالمؤمنين عليه السلام ، يحدث الناس ، قال : اذاكان يوم القيمة ، بعث الله الناس من حفرهم بهما جردا مردا في صعيد واحد،ليسوقهم النور ، و يجمعهم الظلمة ، حتى يقفوا على عقبة في المحشر ، فيركب بعضهم بعضاًفيزدحموا ، دونها ، فيمنعون من المضى ، فيشتد انفاسهم ، ويكثرعروقهم، ويضيق بهم امورهم ، ويشتد ضجيجهم ، ويرتفع اصواتهم ، فقال ، هواول هول من اهوال القيمة ، قال : فيشرف الجبار تعالى عليهم من فوق عرشه في ظلال من الملائكة ، فيأمر ملكاًمن الملائكة ، فينادى فيهم : يامعشر الخلايق انصتوا ، واستمعوا منادى الجبار ،قال:فيسمع آخرهم كما يسمع اولهم ، قال : فيسكن أصواتهم عندذلك ، و تخشع ابصارهم ، و تضطرب فرائصهم ، وتفزع قلوبهم ، ويرفعون رؤسهم إلى ناحية الصوت ، مهطعين إلى الداعى ، قال : فعند ذلك يقول الكافر ، هذايوم عسير ، قال ، فيشرف الجبار تعالى ذكره الحكم العدل عليهم ، فيقول :اناالله الذي لاإله إلا انا الحكم العدل . الذي لايجور اليوم، احكم بينكم بعدلي ،وقسطي ، ولايظلم اليوم عندي احد ، اليوم آخذللضعيف من القوى حقه،ولصاحب المظلمة بالمظلمة ، بالقصاص من الحسنات والسيئات و انتسب على الهبات ، ولا يجوز هذه العقبة اليوم عندى ظالم ، ولاحدعليه مظلمة إلا مظلمةوهبها صاحبها ، وانتسبه عليها ، و اخذله بها عند الحساب تلازموا أيها الخلايق ، واطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم بهافي الدنيا ،وأنا شاهد لكم بها عليهم ، و كفى بالله شهيدا قال : فيتعارفون ، ويتلازمون ، فلا يبقي أحد له عند أحد مظلمة او حق إلا لزمه بها ، فيمكثون ماشاء الله ، فيشتد حالهم ، ويتكثر عرقهم ، ويرتفع اصواتهم بضجيج شديد ، فيتمنون المخلص منه بترك مظالمهم لاهلها ، قال : فيطلع الله تعالى على جهدهم ،

فينادى مناد من عندالله تعالى يسمع آخرهم كما يسمع اوّلهم : يا معشر الخلايق انصتوا الداعى الله ، و اسمعوا ان الله تعالى يقول : انا الوهّاب ان احببتم ان تواهبوا فتواهبوا ، و ان لم تواهبوا اخذت لكم بمظالمكم ، قال : فيفرحون بذلك لشدّة جهدهم ، و ضيق مسلكهم ، و تزاحمهم ، قال : فيهب بعضهم مظالمهم رجاء ان يتخلّصوا ممّا هم فيه ، و يبقى بعضهم فيقول : ربّنا مظالمنا اعظم من ان نهبها ، قال فينادى مناد من تلقاء العرش : اين رضوان خازن الجنان، جنان الفردوس، فيأمره الله تعالى ان يطلع من الفردوس قصراً من فضّة بما فيه من الانية والخدّام ، قال: فيطلعه عليهم في حفّافة القصر الوصايف والخدام ، قال : فينادى مناد من عندالله تعالى : يا معشر الخلايق ارفعوا رؤسكم، فانظروا الى هذا القصر ، قال : فيرفعون رؤسهم ، فكلّهم يتمنّاه ، قال : فينادى مناد من عندالله هذا لكلّ من عفى عن مؤمن ، فيعفون كلّهم إلّا القليل ، قال: فيقول تعالى لايجوز جنّتي اليوم ظالم ، ولايجوز الى نارى اليوم إلّا ظالم ، ولا احد من المسلمين عنده مظلمة ، حتّى يأخذها منه عندالحساب ، ايّها الخلايق استعدوا للحساب ، قال : ثمّ يخلّى سبيلهم ، فينطلقون الى العقبة ، فينكروان بعضهم بعضاً ، حتّى ينتهوا الى العرصة ، والجبّار تعالى على العرش قال قد نشرت الدّواوين ، و نصبت الموازين ، و احضر النّبيّون ، والشهداء ، و هم الائمّة ، يشهد كلّ امام على اهل عالمه بأنّه قد قام فيهم بامر الله تعالى ، و دعاهم الى سبيل الله .

أقول : في احوال القيمة و احوالها ، وشدايدها و كيفيّاتها تفاصيل كثيرة في الاخبار ، تركناها لعدم احتمال المقام كلّها ، و أنّما ذكرناهذه الرّواية لما فيها من الاشارة إلى بعض الجهات الّتي ترد على اهل الايمان في

اهمّ الحقوق ، من الرّفق ، و اللّطف ، بعثاً للقلوب للرّجاء والحياء ، ثمّ انّ لهذه الاسماء الخمسة تأثير الاصحاب اليمين من المتّقين في استجلاب بعض الصّفات الحسنة لقلب القارى من الخضوع ، والتّذلّل لله تعالى و من الحياء و الخدمة و الذكر الدائم ، و قطع الطّمع عن غير الله ، فما يرغب و يرهب إلّا لربّ العالمين ، و الرّجاء الى رحمة الرّحمن الرّحيم ، و الطّلب من فضله، والاطمينان بمواعيده ، و عدم الالتفات الى خير الغير و شرّه ثمّ الخوف من عقوبة يوم الدّين و شدايده و اهواله ، و حياء العرض على مالكه ، فانّ ذلك امر عظيم كماسمعته فيما نقلناه عن مصباح الشّريعة ، و الافتضاح على رؤس الاشهاد ، هذه كلّها لاصحاب اليمين ، وأمّا العارفون فلهم عندذكرها تأثرات، و تنقّلات فاخرة عند انكشاف حقيقة هذه الاسماء ، و تجلّيها على اسرارهم و ارواحهم ، و قلوبهم بالتّرقّي عن علم اليقين الى عين اليقين ، و عنه الى حقّ اليقين .

و من ذلك ما روى من غشوة الصّادق عليه السلام ، عند تكرار مالك يوم الدّين .

و ما روى عن السجّاد انّه اذا قرئه يكرّره ، حتى يكاد ان يموت ، و بالجملة للعارفين عندذكر اسماءالله الحسنى حالاتسنيّة و لذّات فاخرة ، و تفرّجات عالية في متنزّهات دارالجلال ، وتانّسات ناعمة من تجلّيات انوارصفات الجمال في دارالوصال .

و بالجملة يسير في هذه الاسماء في جميع العوالم من مبدئها إلى منتهيها، بل يري المبدء والعالم . والمنتهى ، ويتفرج بالتدبّر في الاسم الاخير ، في تفاصيل عوالم القيمة ، كما صرّح به في خبر المعراج ، ثمّ إنّ ترتيب هذه الاسماء بهذا المنوال إنّما هو مطابق للترّتيب الواقعى ، فانّ مقام لفظ الجلال مقدّم على

مقام الرّبوبيّة، ومقام الرّبوبيّة مقدّم على الرّحمة الرّحمانيّة و هو مقدّم على مقام الرّحيميّة، ومقام الرّحيميّة مقدّم على مقام الاسم الاخير، لانّ الرّحمة الرّحيميّة ظهورها التفصيلىّ انّما هو يوم الجزاء، و يوم الجزاء اصله الرّحمة وما تظهر فيه من العقوبة و النّار إنّما مبناه ايضاً على الرّحمة على المظلوم، و اهل الدّين لانّ الغضب عرضىّ خلق ايضاً للرّحمة .

ثمّ انّ اضافة الملك الى يوم الدّين من اضافة الصّفة المشبّهة إلى غير معمولها، كقولك : ملك الزّمان، فيكون منعوته و إضافة مالك إليه باجراء الظرّف مجرى المظروف مجازاً، أو يجعل اليوم عبارة عن النشاءة الآخرة، و على اىّ حال تخصيص المالكيّة او الملك، ليوم الدّين من جهة اختصاص ظهورهما التّام التّمام لذلك اليوم، فانّ ذلك اليوم اى النّشائة الدّنياويّة من جهة كونها دار غرور قد يترای فيها مالك غيره تعالى من عباده، ولكنّ يوم القيمة يوم لمن الملك اليوم، فيظهر فيه سلطان الله، و يضمحلّ فيه سلطان العباد، وملكهم من رأسه، وينكشف توحيد الحقّ في مالكيّته بجميع العالمين، بخلاف دار الدّنيا فان توحيدها تين الصّفتين و كذا ساير الصفات فيها غير ظاهرة على العامّة وغيب بالنسّبة إليهم، وإن كان منكشفاً على اهل المعرفة، ولكنّه من جهة قدرته لاحكم له فاختص ظهور اختصاص المالكيّة بيوم الدين، ثمّ انّ في ذكر الأسماء الخمسة في المقام اشعاراً بانحصار جهات الحمد فيها، فكانّه يقال : للعبد ان كان حمدك لاحد لكماله وجماله، وجلاله، فيجب ان ينحصر في الله، لانّ ذلك كلّه له، ولا كمال لاحد إلّا وهو منه، وله وبه، وإن كان لكونه محسنا : فجميع الاحسان من ربّ العالمين، وإن كان لرجاء فضل، ونعمة و رحمة دينيّ اودنيويّ، فمالك جميع النّعم، و معطيها الرّحمن الرّحيم و إن كان لخوف من سطوة سلطان، فالسّلطان القاهر إنّما هو مالك يوم الدّين

فلا ينبغي الحمد إلّا لله ربّ العالمين الرّحمن الرّحيم مالك يوم الدّين .

إياك نعبد وإياك نستعين-اي لانعبد سواك ، ولانخضع لغيرك ، أولا نريد من عبادتنا مطلوباً غيرك ، كما ورد كلاهما في الأخبار ، و الحصر يعرف من تقديم إيّاك ، ولاسيّما بملاحظة انفصال الضّمير . مع امكان اتّصاله ، هذا انّما هو في المعنى الاوّل ، وامّا المعنى الثّاني ، فبتقريب انّ التشريك في المطلوبيّة انّما ينافي توحيده في كون الخير منه ، وإنّ الكمال و الجمال له ، و إنّ الوجود الحقيقي له ، فيكون حقّ العبوديّة ان لايرى غيره شريكاله في ذلك كلّه ، فينحصر المطلوبيّة إيضاًفيه ، و ايضاً أنّ من استحق لحصر جميع وجوه العبودية له ، استحقّ جميع وجوه المطلوبية .

قال بعض المحقّقين : يمكن ان يكون في تقديم الضمّير على الفعل أيضاً اشارة لطيفة إلى ذلك ، فكانّه بتقديمه يشير إلى انّ المعبود احقّ بالتقدّيم في كلّ اللّحاظات ، فيجب أن يكون نظر العبد في جميع تقلّباته اوّلا إليه ، ثمّ به إلى غيره من حيث نسبته إليه ، لامن حيث نفسه ، فيكون في لحاظ المطلوبيّة ايضاً كذلك ، بل لايمكن التّوحيد الكامل في العبادة ، الا بأن لايكون للعبد هوى في غيره لان النفس لابدّ له من الخضوع والميل الى مايهواه ، فلايخلص التّوحيد في العباده .

ثمّ انّ في ايراد الفعل بصيغة المتكلّم مع الغير ، تأدّباً عن عدّ نفسه لايقاً لمقام العبودّية ، ولأنّ العبودية صفة مشتركة في جميع ماسواه ، فلاوجه للانفراد والاختصاص ، وتشرّفاً بضمّ عبادته بعبادة عباد الله الصّالحين واستعطافا بذكرهم مع نفسه ، و احترازاً عن الدعوى الكاذبة ، بطريق تغليب عبادات المخلصين على عبادته في دعوى الاخلاص ، فيكون في دعوى الاخلاص من جهة عبادتهم صادقا .

ثمّ ان الالتفات في هذه الاية من الغيبة الى الخطاب ، فكأنّه اشارة إلى انّه ينبغي للقاري أن يكون بذكر هذه الاسماء مترقيّاً من عالم البعد الى القرب ، ومن الغيبة إلى الحضور ، فكأنّه يرى بقلبه الله جل جلاله ،ويخاطبه عن حضور بقوله : إياك نعبدو إياك نستعين .

في الحديث القدسي : انا جليس من ذكرني .

ثم انّ للعبوديّة ظهوراً في جميع عوالم العبد ، وشئونه من عالم عقله الى روحه ونفسه و قلبه واجزاء بدنه من رأسه إلى قدمه ، وفي حركاته وسكناته كلّها وإلى بعض مراتبها اشير في حديث[1] عنوان البصري ، وهو ان لا يرى العبد لنفسه فيما خوّله الله ملكا، لان العبيد لا يكون لهم ملك، بل يرون المال مال الله، يضعونه حيث امر الله به وان لا يدبّر لنفسه ، وان يكون جملة اشتغاله بما امره الله تعالى به ونهاه عنه ، فاذا لم ير العبد فيما خوّله الله ملكا ، هان عليه الانفاق ، وإذا فوّض العبد تدبير نفسه إلى مدبّرها ، هانت عليه مصائب الدّنيا ، وإذا اشتغل العبد فيما امره الله و نهاه ، لا يتفرّغ منهما إلى المراء و المباهات فاذا اكرم الله العبد بهذه الثلث ، هانت عليه الدّنيا والرّياسة و الخلق ، ولا يطلب الدّنيا تفاخراً و لا تكاثراً ، ولا يطلب عند النّاس عزّاً وعلوّاً ولا يدع ايّامه باطلة ، فهذا اوّل درجة المتقين ،

أقول القول الجامع في مراتب العبودية ان يرى العبد نفسه ، وجميع العالمين من جميع الجهات ، فقراء إلى الله الغني عن الكلّ من كلّ الجهات و المغني لكلّ غنيّ كذلك و يعمل بمقتضى ذلك ، والنّاس في ذلك على مراتب لا تحصى ، فالكامل في العبودية التّامّة من جميع الوجوه في جميع الآنات ان وجد فهو اعرف الخلايق كلّهم ، و أقربهم إلى الله ، و هو سيّد الانبياء ، خاتم النّبيّين ، و خلفائه الاثنى عشر المتّحدين معه في المعرفة ، وهم الكاملون في

---

(١) رواه شيخنا البهائي ره في الكشكول عن الشهيد (ره) .

مراتب التّوحيد في جميع وجوهه ومراتبه ، وبعدهم الاعراف فالاعرف ، وهكذا إلى أن ينتهي إلى آخر عوالم أصحاب اليمين ، وأدنى مراتب المسلمين الموحّدين، و هو الّذى يوحّد الله في الخالقيّة ، ولايستكبر بتشريكه في نصب النّبوّة والخليفة ، وهذا ينفعه توحيده بالآخرة في انجائه من الخلود في العذاب الدائم ، ويكون عاقبة أمره إلى رحمة الله و الجنّة ، ولو بعد حين ، و المراتب الثّلاث المذكورة في الرّواية ، منشأها توحيده تعالى في المالكيّة ، و الرّبوبيّة و المعبوديّة الّتي هي من شئون الالوهيّة ، فانّ العبد اذا رأى الملك كلّه لله ،لايرى لنفسه ولالغيره ملكا ، واذا رأى انّ الله هو الرّبّ المطلق ، اى لم ير لاحد تأثيراً في التّربية والايصال إلى الكمال في شيء من الامور ، يرى التّدبير كلّه لله ، وانّ غيره لايقدرون لانفسهم نفعا ولاضرّا ، ولاموتاً ولاحيوةً ، ولانشوراً ، واذا رأى ان لااله إلّا الله ، وانّه لايستحقّ احد شيئاً من وجوه المعبوديّة ، اشتغل بالعبوديّة و الطّاعة في جميع شئونه وحالاته ، فلا يتفرّغ إلى بشيء عن ذلك .

و اياك نستعين : على طاعتك ، و عبادتك ، و على دفع شرور اعدائك، وردّ مكائدهم ، والقيام على ما امرت .

و الظّاهر انّ المراد من دفع شرور الاعداء ، و مكائدهم ما يكون من جهة مناقضتها لاصل العباده او تكميلها لتكون الاستعانة خالصة في مراتب العبادة ورجّح بعض المحقّقين ارادة الاطلاق في متعلّق الاستعانة ، من جهة حذف المتعلّق ، لانّ مناسبة المقام قرينة الاختصاص ، و يبالى أنّ في الاخبار ايضاً نهياً عن الاستعانة في غير جهة العبادة .

و بالجملة حصر الاستعانة من فروع توحيد الرّبوبيّة ، فمن اعتقد ان لاربّ إلّا الله ، يرى النّفع و الضّرّ كلّه منه ، فلايرجو إلّا خيره ، و ذلك لايلايم الاستعانة بالغير ، فلا يستعين ، ولايستغيث ، ولايفزع ، ولايلتجي إلّا

به ، و هذاالتّوحيد امر صعب علماً و حالا وعملا ، فمن وفّق له فله حظ من عوالم العبوديّة ، بل من مراتب المعرفة ، بل من درجات القرب ، رزقنا الله و جميع الطّالبين التّرقّي الى مدارج مراتب المعرفة والزلفى .

ثم انّ ما اخترناه من الاستعانة في الاية إنّما هي في العبادة بعين وجه التّرتيب بينهما ، لانّ القارى بعد ذكر الايات الثّلثه ، يفزع الى عرض الاخلاص في العبودية ، بعد الاظهار ، تعيّن له اظهار انّ العبادة لايمكن لنا إلّا بعونك .

و قيل انّ الاية بشطريها ينفى الجبر و التّفويض بنسبة العبادة الى العباد ، ولكن بعون الله ، فالله تعالى معين له لاقاهر له بغير ارادته ، بل موجد لافعاله بعد ارادته ، كما أنّه خالق لارادته ايضاً على مايقتضيه ذاته ، فلاجبر لكون الفعل بارادته ، ولاتفويض لكون ارادته موجوداً بارادة الله .

و بالجملة اراد أن يوجد الاشياء بارادة العبد و اختياره ، فالعبد من جهة كونه مختاراً في افعاله ، لم يجبر على الفعل ، و من جهة كونه مجبوراً في مختاريّته ، لم يفوّض اليه الامر ، فلاجبر ولاتفويض .

ثمّ أنّ كمال الاستعانة لايتمّ إلّا بعلوم ، من جهة المستعين والمستعان منه ، العلم بفقر نفسه ، و على عدم قدرته على انجاح مطلبه ، و العلم بغناه المستعان ، و قدرته على اعانته و عنايته على المستعين ، و عدم بخله عن اجراء عنايته و علمه بحال المستعين من فقره ، و كونه صلاحاً له ، فاذا تمّ للعبد هذه العلوم من احوال نفسه وربّه تمّ له حال يقتضى الاستعانة ، و يستدعيه لسان حاله قبل لسان قاله ، و كلّما كمّل اعتقاد هذه الصّفات في نفس المستعين و في المستعان منه ، كمل حال الاستعانة ، واذا كمل ذلك ثارت فيوض الرّبّ الاعانة والاجابة ، مثلا اذا انكشف للعبد حقيقة فقره ذاتاً ، و وجوداً

وصفةً وفعلاً من جميع الوجوه في جميع الاوقات والاحوال ، ورأى نفسه محتاجاً بل احتياجاً و فقراً في كلّ ان من اناته من جميع الجهات ، حتّى انّه لا يكفيه ايجاده في الان السّابق لوجوده في الحال ، بل يحتاج في وجوده الفعلي إلى ايجاد آخر جديد على ماهو الحق في احتياج الاكوان في الان الثّاني الى علّة محدثة ، وكذا في وجود سفاته يحتاج في كلّ آن إلى فيض جديد و ايجاد آخر .

و بالجملة رأى نفسه و سفاته وجميع مايحتاج اليه في جميع آناته فقيراً من جميع وجوه الحيثيات إلى ربّه ، وراى ربّه غنيّاً مطلقاً في جميع هذه الوجوه ، ومنعماً عليه في كلّما هو واجده من وجوه النّعم ، اى لايحيط بها علمه ، ولايقدر على احصائها انعم الله عليه بذلك كلّه قبل وجوده ، ووجود فقره ، ومع جهله لوجوه نعمه ، وهوموجود بايجاده ، وحيّ باحيائه و مرزوق برزقه ، وساكن في ملكه ، يتقلب بقوّته في معصيته ، و هولايأخذه بمعصيته ، و يؤاخذ من يفترّ بمعصيته ، من دون ان يسئله شيئاً من ذلك ، فكمل عند ذلك رجاءه بعنايته ، و يقوى حال الاستعانه في قلبه ، فاذا استعان بعد هذا الحال فيما لا يضرّه ، فدعائه مستجاب ، وحاجته بالباب ، وان كان دعائه دعاء الشّر بدعاء الخير ، يعطيه الخير بدل مادعاه من الشّرّ في الدّنيا اوالاخرة ، و ما في الاخرة خير وأبقى ، فالاولى للدّاعي ان يستثنى في دعائه غير الاصلح ، اويشترط الصّلاح و العافية ، اذا لم يكن ممّن يرضي ببلاء الدّنيا مع خير الاخرة .

ولايذهب عليك أنّ ماذكرنا من شرايط كمال الاستعانة من العقايد في سفات الحقّ تعالى كلّها من لوازم الاسماء الخمسة ، بل كلّ ذلك مندرجة في لفظ الجلالة اجمالا ، وفي الباقي تفصيلا .

اهدنا الصراط المستقيم ، عن تفسير الامام عليه السلام ، و عن المعاني

يعني ارشدنا للزوم الطّريق المودّي لمحبّتك ، والمبلّغ الى جنّتك ، والمانع من ان نتبع اهوائنا فنعطب او ان نتّخذ بارائنا فنهلك .

و في بعض الاخبار ، أنّه الطّريق إلى معرفة الله ، وفيها انّه صراطان: صراط في الدّنيا ، و صراط في الاخرة ، امّا الصّراط في الدّنيا ، فهو الامام المفترض الطّاعة من عرفه في الدّنيا ، واقتدى بهداه مرّ على الصّراط الّذي هو جسر جهنّم في الاخرة ، و من لم يعرفه في الدّنيا زلّت قدمه عن الصّراط في الآخرة ، فتردي في نارجهنّم .

و فيها انّ الصّراط أميرالمؤمنين عليه السلام .

و فيها أنّه معرفة الامام .

و فيها نحن الصّراط المستقيم .

و فيها أنّه أميرالمؤمنين عليه السلام ، و معرفته ، والدّليل على أنّه أميرالمؤمنين عليه السلام ، قوله تعالى : و انّه لدينا لعلّي حكيم ، و هوأميرالمؤمنين عليه السلام في امّ الكتاب ، في قوله : الصّراط المستقيم .

و فيها أنّه صلى الله عليه وآله وصف الصّراط ، فقال : الف سنة صعود ، والف سنة هبوط ، و الف سنة خذال .

و فيها أنّه ادقّ من الشّعر ، واحدّ من السّيف فمنهم من يمرّ عليه مثل البرق ، ومنهم من يمرّ عليه مثل عدوالفرس ، ومنهم من يمرّ عليه ماشياً ، ومنهم من يمرّ عليه حبواً ، ومنهم من يمرّ عليه متعلّقاً ، فتأخذ النّار منه شيئاً وتترك شيئاً .

و فيها أنّه مظلم يسعى النّاس عليه بقدر أنوارهم .

أقول هذه الاخبار غير متناقضة ، بل كلّها مؤتلفة في بيان معنى الصّراط ، و كلّ منها ناظر الى فرد من افراده ، لانّ الصّراط و كذلك

ساير المعاني له حقيقة ، و روح ، و له صورة و قالب ، و قديتعدّد الصّور ، و القوالب لحقيقة واحدة ، بل لايكاد يوجد حقيقةإلّا ويتعدّد صورتها ، وأنّما وضعت الالفاظ للارواح والحقايق ، و لوجود هما في القوالب يستعمل الالفاظ على الحقيقة لاتّحاد ما بينهما ، مثلا لفظ القلمروحه عبارة عن آلة نقش الصّور في الالواح ، من دون ان يعتبرفيها كونها من قصب اوحديد،اوغير ذلك ، بل ولا ان يكون جسماً ، ولا كون النقش محسوساً ، و هكذا لفظ الصّراط وضع لحقيقة يؤدّي سلوكه إلى المقصود ، و هذا روح لفظ الصّراط ، وله قوالب : منها الطّرق في البوادى و البلاد المعدّة للسّلوك من بعضها إلى بعض ، و كذا طرق ساير المقاصد و منهذه الافراد الطّريق إلى معرفة الله ، و قربه و جواره في الجنّة ، وهوالعمل بالدين و الشريعة ، و معرفة الامام وطاعته، و معرفة خصوص أمير المؤمنين ، و الصّورة الانسانيّة اى اوصافه ، و اخلاقه وحدوده في الدّنيا ، ومنهاجسرجهنّم ، فمن الطرق الموصلة إلى ذلك في الدّنيا، ما هومستقيم ، وهوالطّريق الّذي لايتصوّر ان يوجد بين مقام القاصدوالمقصد طريق أقرب منه ، ومنها ماليس كذلك ، والاوّل واحد ، والثّاني يتعدّد إلى ماشاء الله من الطّرق المعوجة ، بحسب انفاس الخلايق غير الاكمل منهم ، ولكن بعض هذه قريب من الاستقامة و بعضها اقرب ، و هكذا بعضها بعيد و بعضها ابعد ، حتّى ينتهى الى طريق ابغض الخلايق ، و ابعدهم من الله ، و هوابليس و اخوانه في المبغوضيّة ، والاكمل طريقة إلى الله أقرب من الكلّ ، و هوالّذي يكون معرفته بالله تعالى و باسمائه و صفاته و افعاله ، أكمل المعارف . واخلاقه احسن الأخلاق ، و مزاجه اعدل الامزجة ، هذا بالنّسبة إلى الأقرب الواقعى من بين الطّرق كلّها ، و أمّا بالنّسبة إلى كل فرد فرد، فأقرب طرقه يلاحظ الى حاله الفعلى ، وتفصيل هذا الاجمال : انّ كلّ انسان

له قوس نزول من عالم الغيب الى هذا العالم، و قوس صعود منه إلى عالم الغيب، والانسان من حين تولّده، بل من اوّل خلق نطفته، بل تربته في هذا العالم، ساير الى عالم الغيب، نعم مادام لم يلج فيه الرّوح، فسيره في هذا العالم، و من بعد ماولج فيه الرّوح، سيره في عوالم الغيب بروحه، امّا سير تربته إلى عالم الغيب، من جهة ترقّيه من عالم الجماد إلى النّبات، حتّى يصير غذاء للانسان، فيصير الغذاء جزء بدن انسان ثمّ يصير نطفة، ثمّ علقة، ثمّ عظماً، فكسونا العظام لحماً، فخلقناه خلقاً آخر، فتبارك الله احسن الخالقين، و هكذا يترقّي بعد ولادته بكمال شعوره حتّى يصل إلى اوان البلوغ، وعند ذلك يكمل عقله، بحيث يشرف بتشريف التّكليف، و عند ذلك يتعين له أن يختار السّير في عوالم الغيب إلى طريق السّعادة، و القرب و المعرفة و الجنّة، او إلى طريق الشّقاوة و البعد، والجهل و مهوى دركات السّجين، بارادته لانه يكشف له بطريق العقل و الشّرع عن النّجدين، اي طريقي السعادة و الشّقاوة، و الجنّة و النّار، و القرب و البعد، فيختار السّعادة بتحصيل اخلاق الرّوحانيّين، و تكميل ملكات المقرّبين، و معارف اهل اليقين من الايمان بالله، وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر حتّى يلحق بالعليّين، او الشّقاوة بالاشتغال بالشّهوات، و سلوك طريقة الشّياطين في اعمال الحيل، والخداع في تحصيل أسباب الالتذاذ، والانهماك في شهوات هذه الدّنيا الدّنيّة وزخارفها بالكفر بالله، و ملائكته و كتبه ورسله، و اليوم الآخر وجحده، و الخلود إلى الأرض حتّى يلحق بحزب الشّياطين، في مهوى دركات السّجين، و كلّ حركاته الاختياريّة، مؤثرة في روحه، و حقيقته، و قلبه اثراً مقرّباً له من الله، و من الرّوحانيّة، اومبعداً حتّى المباحات، و كلّ اثر يحصل في الرّوح والقلب بمنزلة قدم في السّير الى الجنّة اوالنّار، فان كانت هذه الحركة

ازيدالحركات المفروضة في هذا الان له في حصول القرب ، و الرّوحانيّة ، و أسرع في الايصال ، فهوسيرفي اقرب الطّرق ، والّافبقدرنقص الحركة في حصول القرب ، و بطوئه ، يكون الطّريق بعيداً ، ومن الحكمة الالهيّة أنّه جعل لكلّ عمل مؤثّر في القلب قرباً ، أو بعداً تأثيراً في التّوفيق ، و الخذلان ، فانّ عمل الخير يجعل القلب صالحاً ، ومستعدّاً لانتشاء اعمال الخير . ويسمّي ذلك توفيقاً ، وعمل الشّر يجعله مستعداً لانتشاء اعمال الشرّ و يسمّى خذلاناً ، و عندالتّوفيق يظهر غلبةالملاءكةالموكّلين لالهام الخيرفي القلب ، على الشيّاطين الموسوسة فيه بالشرّ ، و عندالخذلان يظهر غلبتهم على الملاءكة ، فقلب المؤمن دائماً بين اصبعي الرّحمن ، يقلبها على طبق أثرات أعمالها الماضية ، ويحصل من هذه التّقلّبات السّير ، أمّا إلى جنّة اونار ، فالسائر هوالرّوح الانسانى ، و سيره حركاته المائلة إلى الخير ، اوالشرّ في نفسه ، يضع قدمه على رأسه ، و رأسه على قدمه ، و حاصل سيره حصول الاوصاف الرّوحانيّة او الطّبيعيّة ، و أثر الحاصل حصول القرب ، أو البعد ، ثمّ أنّ منشاء هذه الحركات المؤثّرة في القلب ، ايضاً صفات القلب السّابقة على الحركات ، من مراتب المعرفة ، و العلم ، و الكفر ، و الجهل اللّازمة لا لاوصاف الذاتيّة المقتضية لها ، و بعبارة اخرى الصّفات الّتي اقتضتها ذات الانسان ، وتعيّن لها بحكم الحكيم تعالى عند تعيّن انيّته ، و ايجاد ماهيّته في الخارج ، فانّ لسان حال كلّ ماهيّة ، سائل من الجواد الحكيم ، أن يهب له ما يناسبها من الصّفات ، و سؤال لسان الحال لايردّ أبداً ، و هذه الصّفات الذّاتيّة ، أقتضت صفات اخرى مؤثّرة في أعمال الجوارح المؤثّرة ايضاً في تقلّب القلب ، و تأثيره بالأثرات النّوريّة الرّوحيّة أوالظّلمانيّةالطبيعيّة ، وكلّ أعمال الجوارح أنّما يوجد بحكم الحكيم تعالى بواسطة ارادة العامل ، و الاوصاف المؤثّرة

في ارادة الخير والشرّ، وأنّما هي ماساله انيّته، وماهيّتهعن الجوادالحكيم، أن يهبها له فهو باقتضاء ماهيّته سئل ربّه أن يؤتيه توفيق سلوك طريق السّعادة، والجنّة والقرب والزّلفي، أو خذلانسلوك طريق الشّقاء والنّار والبعد، وهذا أحد وجوه قولهم: لاجبر ولاتفويض، بلأمربين الأمرين، و وجه نسبة الخير إلى الله والشرّ إلى العبد، و نسبة خلقهما معاً إلىالله، و اذاتمهّدت هذه المقدّمات، تبيّن منها صحّة اطلاق الصّراط على الصّورة الانسانيّة، اي صفاتها، واطلاقه علىالامام، وعلى هداه، وعلى الشّريعة، و على جسرجهنّم، فانّ كلّها طريق إلى الجنّة، وإلى عالم النّور والزّلفي، ثمّ انّ الطّريق المستقيم المطلق، ليس إلّا لمن كان معارفه بالله، و باسمائه و صفاته، وأفعاله، وملاء كته و كتبه ورسله وشرايعه، حتّى علم كلّ حركة وسكون مطابقاً لما في الواقع، ممّا حكم به وبكمّه و كيفه، حكمة الحكيم تعالى، وأخلاقه كلّها معتدلة بين الافراط والتّفريط، لاتميل عن الاعتدال مقداردرّة الى الطّرفين، و مزاجه أعدل الامزجة، لانّ للمزاج ايضاً تأثيراًفي الافعال و الأعمال، نظير تأثير الاخلاق فيها، و مع ذلك يساعده التّوفيق والعصمة منالله، حتى يكون سلوكه في أقرب الطرق حقيقة، و انّماشرطنا مع ماذكر التّوفيق والعصمة، لانّ الالحوادث الكونية أيضاً تأثيراً فيذلك، و هو لايستقيم إلّابهما، و لذلك ايّدالله المعصومين بالرّوح القدس، بلتولّى الله بلطفه رياضة قلوبهم بالخوف والرّجاء، كمااشير اليه في بعض الزّيارات و الطّريقالمستقيم لكلّ مكلّف هو أقرب مايمكن له بلحاظ خصوص صفاته الذّاتيّةمن الطّرق المؤدّية الى مقام قربه الممكنلهفي حقّه، و هو انيكون جميع حركاته الاختياريّة انفع له في مرتبته من ايصاله إلى رضا ربه، حتّى أنّه لو فرض انّ اشتغاله بصلوة ليالي رجب، انفع له من اشتغاله بمطالعة

الكتب العلميّة ، أو بالعكس ، أوافطاره مع قوّة العبادت انفع له من صومه، من جهة الضعف، كان أقرب طرقه الانفع ، بل و يمكن ان يكون في بعض الاحيان له ترك الأعمال الخيريّة انفع ، كماورد في ذلك ، انّ العبد قديحرم ليلةاوليلتين من التّهجد ، لئلاّ يدخله العجب ، بل وروى انّه قديبتلي باللّمم لحفظه من العجب الّذى هواخسر منه ، وبالجملة الصّراط المستقيم لكلّ نفس في كلّ يوم ، بل في كل نفس وحركة وسكون مايكون انفع له بالنسبة إلى حاله الحاضر ومابعده في سلوك طريق الخير والسعادة ، فمن وفّق لذلك : فهداية خاصّة من الله تعالى وإلّا فهذه العلوم الاكتسابيّة لايحيط بجهات هذا المراد ، و لعلّ لذلك و روائه : ادقّ من الشّعر ، و لصعوبة العمل بعد الهداية ، وروائه احدّ من السّيف ، ثمّ إنّ الّذى في رواية امير المؤمنين عليه السلام إنّ المراد في طلب الهداية في هذه السّورة ، إنّما هوالثّبات على الهداية السابقة ، و انّا يمكن ان يكون المقصود من الصّراط ، الايمان كما يشير إليه بعض الرّوايات ، او يكون هذا المراد مختصّاً به ، و بامثاله من المعصومين فانّهم لايتفاوت احوالهم في الهداية بانواعها ، وجهاتها ، فيكون مطلوبهم ، ومسئولهم ان يهديهم الله في اللاحق مثل مايهديهم في السّابق ، و هذا معنى الثّبات ، وأمّاامثالنا فالمطلوب ان يزيدنا ربّنا هدايتنا في الاتية على السّالفة ، حتى نهتدى إلى السّير في حظائر القدس : والسّلوك في مقامات الانس بانطماس آثار العلايق الجسمانيّة والطّبيعيّة بوظهور انوار التجلّيات الالهيّة الجماليّة والجلاليّة ، وانكشاف الاسرار الغيبيّة ،

هذا ولايذهب عليك ، انّ كلّ جماد ونبات ، وحيوان مالم يصل إلى حدّ الانسان المكلّف ، إنّما سيره وحركته من اوّل تكوّنه بحركته الكميّة والكيفيّة ،بل الصّور الجوهريّة على صراط مستقيم ، بمعنى خروجه تدريجاً

من القوة إلى الفعل ، حتّى ينتهى إلى كماله اللائق بنوعه ، و شخصه في الفعليّات اللائقة به ، ان لم يمنعه مانع وأمّا الانسان بعد الوصول إلى اوان الاختيار المعتبر في التّكليف ، فقد يخرج في سيره النفسانى من القوى إلى الفعليّات اللائقة بنوع الانسان ، من دون تخلّل فعليّة مخالفة لنوعه ، بين تلك الفعليّات حتّى يصل إلى اقصى درجات المراتب من الفعليّة اللائقة بالانسان الكامل ، وهذا نادر ، وهذا هو السّائر في الصراط المستقيم الانسانى و الاغلب إنّما يخرج بعد وجود الحركة الاختياريّة فيه من القوى إلى الفعليّات ، مع تخلّل الفعليّات الغير اللائقه ، فيكون سيره لاعلى الصّراط المستقيم الانسانى ، بل قد يكون سيره بسوء اختياره في الاعوجاج ، بحيث ينتهى به إلى اخسّ مراتب من الفعليّات اللائقة للبهايم و السّباع ، بل الشّياطين ، وقد يقف فيمسخ بصورته الفعليّة الّتي هو عليها ، نعوذ بالله من خزى الدّنيا والاخرة ، ثمّ إنّك سمعت في الاخبار ، إنّ الصّورة الانسانيّة هو الصّراط المستقيم إلى كلّ خير ، وذلك انّ حركة الانسان نحو كما لاته الّتى فيها كلّ خير و سعادة ، إنّما هو بالحركة الكيفيّة والحركة الجوهرية ، فالطريق في ذلك هى مراتب الكيف والصّور المتعاقبة على الجوهر الانسانى من الملكات الشريفة ، وانوار المعارف الرّبّانية ، فالسّالك جوهر الانسان ، والمقصد كماله ، والطّريق تحصيل هذه الملكات ، وانوار المعارف والعلوم ، ففى هذه الحركة يوجد الطريق بنفس السّير ، لاقبله ولا بعده ، ثمّ انّ نور المعرفة عبارة عن ظهور مراتب النفس والرّوح ، والعقل ، فالنّور بلحاظ طريق ، و بلحاظ مقصد ، و بلحاظ سالك ، ثمّ انّ حقيقة على عليه السلام و حقيقة الائمه عليهم السلام من جهة انّها نور الانوار ، واصل كلّ نور ، وهو نور الله في العالمين ، فهو في الحقيقة صراط الله المستقيم ، بلاتجوّز ، وهو وجه الله الّذى إليه يتوجّه

الاولياء وهوجنب‌الله الّذی‌إليه مصير العباد ، كمافي الزّيارة الجامعه ،وإياب الخلق أليكم .

صراط الذين انعمت عليهم هذاتفصيل‌للمراد من الصراط المستقيم وهم‌شيعةأميرالمؤمنين من الامّة وصراطهم بعيْنه‌اخلاقهم ، واوصافهم و اعمالهم الّتي اشارإلى جملتهاهو عليه السلام حين سئله‌الهمّام عن ذلك ، فقال : هم العارفون بالله ، العاملون بامرالله ، أهل الفضايل ، النّاطقون‌بالصّواب مأ كولهم‌القوت و ملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع ، ثمّ انّ‌وصف‌الصراط المستقيم بذلك ، يمكن‌ان‌يكون للارشادإلى حقيقته‌الّذي هوعبارة عمّا بين الافراط والتفريط في‌حقّ الولي،ومابين‌الغالي‌والقالي ، والاقتصاد في الاخلاق اوفي‌حقّ الغيرلدفع توهّم ان يرادبه صراط كلّ نفس إلى كماله اللاّيق بشخصه الّذی يقتضيه ذاته ، ولوازم ذاته بحكم اقتضاء اسماء الله تعالى‌له ، مثلاً الصّراط المستقيم ليس‌من جهة ماهيّته و صفاته الذّاتيّة ومايوصله إلى‌اسفل الدرّكات ، فكانّه يقول : اهدنا الصّراط المستقيم الّذي استقامته واقعيّة ، موصلة إلى رضاك وجوارك ، و هو صراط الّذين انعمت عليهم ، من شيعة أميرالمؤمنين ، لا إلى صراطی الّذي استقامته موصلة إلى مايقتضيه ذاتی و صفاتی ، و بعبارة اخرى اهدني إلى الصّراط إلّذي يقتضيه فضلك ، وانعامك لاإلى مايقتضيه عدلك ، وهو صراط الّذين انعمت‌عليهم بولاية أميرالمؤمنين .

غير المغضوب عليهم ، من الضالّين والمنكرين .

ولا الضالين فيه بالغلو ، ثمّ‌انّ‌تغييرالاسلوب‌في غيرالمغضوب عليهم ولاالضالّين ، مع ماقبلها حيث ، قال في‌الاوّل : الّذين انعمت عليهم ، ولم يقل في الثّاني : غير الّذين‌غضبت‌عليهم ، لعلّه للاشارة إلى انّ النعمة نسبتهااليه تعالى اصليّ ابتدائي و الغضب‌تبعيّ من جهة اقتضاء صفات العبد ذلك ، كما

اليه الاشارة في قوله تعالى : ما اصابك من حسنة فمن الله ، وما اصابك من سيّئة فمن نفسك ، هذا

و في ثواب الاعمال باسناده عن ابي عبدالله عليه السلام انّه قال : اسم الله الاعظم ، يقطع في ام الكتاب ،

عن العياشي عن النبيّ صلى الله عليه وآله انّ امّ الكتاب افضل سورة انزلها الله في كتابه ، وهي شفاء من كلّ داء إلّا السّام اي الموت ،

اقول اطلاق امّ الكتاب لعلّه لاشتماله لكلّ ما في الكتاب ، كما ورد التصّريح ، به فيما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام انّه قال : كلّ ما في القرآن في الحمد ، و كلّ ما في الحمد في البسملة ، و كلّ ما في البسلمة في الباء ، و كلّ ما في الباء في النقطة ، وانا النقطة تحت الباء .

وروى ايضاً بالباء ظهر الوجود ، وبالنقطة تميّز العابد من المعبود ،

أقول : مقام العبوديّة المطلقة ، مقام الولاية ، لانّه درجة الفقر المطلق وبعدها مقام الالوهيّة .

كما روي عن النبيّ عليه السلام الفقر فخرى ، ولعلّه المراد من قول القائل : إذا تمّ الفقر ، فهو الله ، بلحاظ دلالة الفاء على التعقيب ، بل لعلّه المراد من قول الصّادق عليه السلام في مصباح الشّريعة : العبوديّة جوهرة كنهها الربوبيّة ،

وهذا كلّه من شئون ماذكرناه سابقاً عند ذكرنا لهذا الحبر انّه يعرف من بعض الاخبار ،

انّ الله تعالى خلق عالم الحروف في قبال ساير العوالم ، فالالف كما في بعضها للاشارة إلى مقام الالوهيّة ، والباء اشارة إلى مرتبة المخلوق الاوّل ، والنقطة اشارة إلى جهة انيّته وماهيّته ،

وعن العيون عن الصّادق عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : لقد

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: قال الله عزّ وجل: قسمت فاتحة الكتاب بيني و بين عبدي فنصفها لي، و نصفها لعبدي ولعبدي ما سأل، اذا قال العبد، بسم الله الرّحمن الرّحيم، قال جلّ جلاله: بدء عبدي باسمي، وحقّ عليّ ان اتمّم أموره، و ابارك له في احواله، و إذا قال: الحمدلله ربّ العالمين، قال جلّ جلاله: حمدني عبدي، و علم انّ النعم الّتي له من عندي، وانّ البلايا الّتي اندفعت عنه فبتطوّلي، أشهدكم انّي اضيف له إلى نعم الدّنيا نعم الاخرة، و ادفع عنه بلايا الآخرة، كما دفعت عنه بلايا الدنيا، وإذا قال: الرّحمن الرّحيم، قال جلّ جلاله: شهد بانّي الرّحمن الرّحيم، اشهدكم لاوفرنّ من نعمتي حظّه، ولاجزلنّ من عطائي نصيبه، فاذا قال: مالك يوم الدّين.

قال الله تعالى: اشهدكم كما اعترف بانّي الملك يوم الدّين، لاسهّلنّ يوم الحساب حسابه، ولاقبلنّ حسناته، ولاجاوزنّ عن سيّئاته. فاذا قال العبد: ايّاك نعبد، قال الله: صدق عبدي أيّاى يعبد، أشهدكم لاثيبنّه على عبادته ثواباً يغبطه كلّ من خالفه في عبادته، لي، فاذاقال: و ايّاك نستعين، قال الله تعالى: بي استعان، والىّ التجأ، اشهدكم لاعيننّه على أمره، ولاغيثنّه في شدايده، ولاخذّن بيده يوم نوائبه، فاذا قال: أهدنا الصّراط المستقيم، إلى آخر السّورة، قال الله: هذا لعبدي، و لعبدي ما سأل، فقد أستجبت لعبدي، و أعطيته ما أمّل، و أمنته ممّا منه وجل.

أقول سبحانه من كريم، ما أكرمه؟ اين الغافلون، اين العالمون، ليقدروا موقع هذا الكرم، و يوحدّوه سبحانه في هذه الجهة من عطيّة كرمه أيضا، كما وحّدوه في ساير صفاته العليا، و يحكموا عقولهم فيما يجب عليهم في شكر هذه الكرامة العظمى، و يعترفوا بانّهم لوصرفوا تمام عمرهم في شكرها لمّا ادّوا شيئاً من حقّه الواجب، كيف و الهنا جلّ جلاله من لطفه و

عنايته اوجب لعبيده هؤلاء الاذلاء ، الصّلوة ، وأذن لهم في ذكره وعبادته ، و جعل عبادتهم سبباً لمغفرة ذنوبهم ، واصلاح عيوبهم ، و ترقّياتهم إلى الدّرجات العلى ، و شرّفهم في تكليفهم بالصّلوة ، بهذا التّشريف ، ثمّ يرضي لهم أن يناجوه في صلوتهم ، ويترك جوابهم ، ويقنع بجزائهم عن جوابهم ، بل ولا يرضى جوابهم بمقدار سؤالهم ، ويزيد في اكرامهم بالجواب عن المساوات .

وفي بعض الأخبار ان الله تبارك وتعالى يقول بعد القرائة : انّ له بكلّ حرف درجة من فلان و فلان ، يعدّ الجواهر ، ودرجة من نوری علی مایبالي من لفظ الخبر .

قل هو الله أحد عن الباقر عليه السلام .

قل ، اي [1] أظهر ما أوحينا اليك ، وبعثناك به بتأليف الحروف الّتي قرأناها لك ، ليهتدي بها من القي السّمع و هو شهيد ، و هو اسم مكنّى مشاربه إلى الغايب ، فالهاء تنبيه على معنى ثابت ، والواو إشارة إلى الغائب عن الحواس الخ .

أقول لفظة : **هو** اسم الذّات في مرتبة غيب الغيوب ، و**لفظة الجلالة** أيضاً اسم للذات ، ولكن من حيث الجامعيّته لجميع الصّفات الكماليّة .

الاحد ، أي الفرد المتفرّد الّذي ، لاينبعث من شيء ، أي أحديّ المعنى ، لاينقسم في عقل ، ولاوهم ، ولاوجود .

الله الصمد ، أي السّيّد المصمود اليه ، والّذي لاجوف له ، والّذي لا يأكل ولايشرب ، والّذي لاينام ، و الدّائم الّذي لم يزل ولايزال ، و الفرد بالالهيّته ، المتعالى عن صفات الخلق .

وعن الصّادق عليه السلام ، عن أبيه انّه كتب اهل البصرة الى الحسين عليه السلام

---

(١) رواه في تفسير البرهان .

ابن علي عليه السلام، يسئلونه عن الصّمد، فقال: كتب اليهم: بسم الله الرّحمن الرّحيم، أمّا بعد فلاتخوضوا في القرآن ولاتجادلوا فيه ولاتتكلّموا فيه بغير علم فقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من قال في القرآن بغير علم، فليتبوّء مقعده من النّار، وأن الله فسّر الصّمد، فقال: قل هو الله أحد، الله الصّمد، ثمّ فسرّه، فقال: لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

لم يلد، لم يخرج منه شيء كثيف كالولد، وسائر الاشياء الكثيفة الّتي تخرج من المخلوقين، ولاشيء لطيف كالنّفس، ولا تنشعب منه البدوات كالسنة والنّوم، والخطرة، والهمّ والحزن، و الضّحك، و البكاء، و الخوف، و الرّجاء، و الرّغبة، والسّامة، والجوع، والشّبع، تعالى عن أن يخرج منه شيء، وأن يتولّد منه شيء، كثيف أولطيف.

ولم يولد، لم يتولّد من شيء، ولم يخرج من شيء كما يخرج الاشياء، الكثيفة من عناصرها، كالشيء من الشيء، والدّابّة من الدّابّة، و النّبات من الأرض، والماء من الينابيع، والثّمار من الاشجار ولا كما يخرج الاشياء اللّطيفة من مراكزها، كالبصر من العين، و السّمع من الاذن، و ألشّم من الانف، و الذوق من الفم، والكلام من اللسان، والمعرفة والتّمييز من القلب، وكالنّار من الحجر، لابل هو الله الصّمد الّذي لامن شيء، ولافي شي، ولاعلى شيء، مبدع الاشياء، و خالقها، و منشيء الأشياء بقدرته، يتلاشى ما خلق لالفناء بمشيّته، و يبقى ما خلق للبقاء بعلمه، فذالكم الله الصّمد، ألّذي لم يلد ولم يولد عالم الغيب وألشهادة الكبير المتعال.

ولم يكن له كفواً أحد، وعن الصّادق عليه السلام انّه ورد وفد من فلسطين على الباقر عليه السلام، فسئلوه عن مسائل، فاجابهم، ثم سئلوه عن تفسير الصّمد.

فقال: في الصّمد خمسة أحرف فالالف دليل على أنيّته، و هو قوله:

شهدالله أنّه لااله إلّا هو ، و ذلك تنبيه واشارة إلى الغائب عن درك الحواس

واللاّم دليل على الهيّته ، بانّه هوالله ، والالف واللاّم يدغمان ،
ولايظهر ان على الحواس ، ولايقعان في السّمع ، ويظهران في الكتابة ، دليلان
على أنّ الهيّته بلطفه . خافية لاتدرك بالحواس ، ولايقع في لسان واصف ،
ولا في اذن سامع لانّ تفسير الاله ، هو الّذي اله الخلق عن درك ماهيته ،و كيفيته
بحسّ أو بوهم ، لابل هو مبدع الاوهام ، وخالق الحواس ، و انّما يظهر ذلك
عند الكتابة ، فهو دليل على ان الله أظهر ربوبيّته في ابداع الخلق ، وتركيب
ارواحهم اللطيفة في اجسادهم الكثيفة ، فاذا نظر العبد إلى نفسه ، لم ير روحه ،
كما انّ لام الصّمد لا يتبيّن ، ولايدخل في حاسّة من حواسه الخمس ، فاذا
نظر إلى الكتابة ظهر له ماخفي ، ولطف ، فمتى تفكّر العبد في ماهيّة الباري ،
و كيفيّته ، اله فيه ، وتحيّر ،ولم تحط فكرته بشيء يتصوّر له لانّه عزّ وجلّ
خالق الصّور ، فاذا نظر إلى خلقه ثبت له أنّه خالقهم ، ومركّب ارواحهم في
أجسادهم .

وأمّا الصّاد ، فدليل على انّه عزّ وجلّ صادق ، وقوله صدق وكلامه
صدق ودعى عباده على اتباع الصّدق بالصّدق ، ووعد بالصّدق دار الصّدق .

و أمّا الميم فدليل على دوام ملكه ، وأنّه عزّ وجلّ دائم تعالى عن الكون
و الزّوال ، بل هو عزّ وجلّ مكوّن الكائنات الّذي كان بتكوينه كائن .

ثمّ قال عليه السلام قال : لو وجدت لعلمي الّذى اتاني الله عزّ وجلّ حملة ،
لنشرت التوحيد والاسلام والايمان ، والدّين والشّرايع من الصّمد ، و كيف
لي بذلك ، ولم يجد جدّى أمير المؤمنين عليه السّلام حملة لعلمه ، حتّى كان
يتنفّس الصّعداء . ويقول ، على المنبر : سلوني قبل أن تفقدوني ، فانّ بين
الجوانح مني لعلما جمّا ، هاه هاه ، الالاأجد من يحمله ، و انّي عليكم من الله

الحجّة البالغة .

أقول : هذه جملة ماتيسّر لي إلى الان من أخبارهم في تفسير السّورة ، ولعلّ مالم اذكر ازيد ممّا ذكرت ، ولكن في ذلك كفاية لمن عقل ، وتفكّر فيها بنور من الله ، فلفظة هو إشارة إلى مرتبة غيب الغيوب ، ولفظة الله إلى مرتبه ظهور الاسماء اجمالا ، ولفظة الاحد إلى تفرّده الحقيقي من مرتبة الاسماء ، و لفظة الصّمد إلى كيفيّة تفرّده ، و أصالته ، و أنّ مبدئيّته للاشياء ليس كمبدئية ساير الاشياء بعضها لبعض ، و انّ الوجود الحقيقي مختصّ به ، والاشياء كلّها قائمة بقيّوميّته و قدرته و ليست احاطته للأشياء كاحاطة بعضها ببعض ، حتّى العقل بالمعقولات ، فانّ احاطة كلّ منها إلى غيره يشبه باحاطة المجوّف لما في جوفه . إلاّ الله المحيط الصّمد الّذى ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، هذا .

والأخبار في فضلها ، وفضل قراءتها كثيرة :

وفيها ، انّ من قرئها ثلث مرّات ، فكانّه قرء القرآن كلّه .

وفيها انّ من مضت عليه جمعة ، ولم يقرء بقل هو الله أحد ، ثمّ مات مات على دين أبي لهب .

وفيها : انّ من اصابه مرض ، أوشدّة فلم يقرء في مرضه أو شدّته بقل هو الله أحد ، ثمّ مات في مرضه و في تلك الشدّة الّتي نزلت به فهو من أهل النّار .

وفيها انّه جاء رجل الى النّبي ﷺ فشكى اليه الفقر ، وضيق المعاش فقال له رسول الله ﷺ إذا دخلت بيتك فسلّم ان كان فيه احد ، وان لم يكن فيه احد فسلّم ، و اقرء قل هو الله احد مرّة واحدة ، ففعل الرّجل فافاض الله عليه رزقا ، حتّى افاض على جيرانه.

وفيها انّ من يؤمن بالله واليوم الاخر ، فلا يدع ان يقرء في دبر الفريضة بقل هو الله احد ، فانّه من قرئها جمع له خير الدّنيا و الاخرة ، وغفر الله له ، ولوالديه وما ولدا ،

اقول اجمال ما دلّت عليه هذه الاخبار من معانى الفاظ هذه السّورة ، ان هو اشارة إلى الذّات الغائبة عن الحواس والاوهام ، والله اى المعبود المفزع الّذي تحيّر الخلق عن درك ماهيّته ،

الاحد اى الفرد الحقيقيّ الواقعي معنى وخارجاً ، الاحد اى المعنى لاينقسم في وهم ، ولاعقل ولاوجود ، الصّمد اى السيد المصمود الّذي لاجوف له ، والّذي لم يخرج من شيء ، ولايخرج منه شيء منشيء الاشياء ، وخالقها ،

ولم يكن له كفواً احد ، هذا كفى للقرائة ،

وامّا تكبير الرّكوع ، ولعلّ المناسب ان يقصد به تكبيره تعالى من تجويز ان يقدر احد ان يقوم بعبادته ، و يكون قصده من رفع اليد أيضاً ، التبرّى من هذا الاعتقاد ، فينحطّ عن حال القيام للرّكوع ، والتواضع عن قوته وقدرته ، وارادته ويتأدب لله بهذا الخضوع ، ويذكر ذكر الرّكوع ، ويريد من تسبيحه تنزيه ربّه عن الشرّيك في الارادة ،

ثمّ انّ تسبيحه تعالى إنّما هو قضيّة صفاته الجلاليّة السلبيّة ، و اصل صفاته الجلاليّة السّلبيّة ، راجع إلى سلب الحدود ، و سلب الحدود راجع إلى سلب السّلوب ، و مصداق سلب السّلوب فيه تعالى ليس الاسعة الوجود ، هذا بخلاف تنزيه الممكنات ، فانّ السّلوب الرّاجعة إليها ، إنّما هو بسلب الوجودات الّتي هي منتزعة من حدود وجوداتها ، لا من وجوداتها ، فتسبيحه تعالى ، إنّما هو بما يحمد به ، فلذلك يقرن تسبيحه في الاغلب بحمده ، كمافي تسبيح الرّكوع و السّجود ، ومن ذلك قوله تعالى :

فسبّح بحمد ربّك ، هذا وحقيقة تنزيهه تعالى ان يعتقد العبد بسلب النقايص بجميع وجوهها عن الله جلّ جلاله ، بقلبه ويعمل بمقتضى ذلك بجوارحه ، وهو يقتضي كمال اغلب الصّفات الحسنة في العبد ، من الاخلاص ، و الصدّق ، والتّوكّل ، والتّسليم ، والرّضا ، و التّوحيد ، لانّ العبد إذا اعتقد كماله تعالى من جميع الوجوه ، لابدّ ان يعتقد كمال قدرته ، وعنايته وعلمه ، وتوحيده تعالى في ذلك كلّه ، فلا مناص له إلّا من هذه الصّفات المذكورة ، لانّه ان لم يعتقد الضرّ و النفع من غيره ، لايراقبه في اعماله ، و افعاله ابداً ، و ذلك يتمّ به الاخلاص ، والصّدق ، و إذا عرف علمه تعالى بصلاح نفسه ، و كمال عنايته في حقّه و قدرته الكاملة على اصلاحه ، يتمّ له الثلّثة الاخيرة ، و إذا اعتقد كماله من حيث انتفاء الشرّيك ، ومن حيث انتفاء الانقسام والتّجزية في الوهم ، والعقل و الوجود لتمّ له التوحيد بمعنييه الّذين ، يجوزان عليه تعالى ، كما وجد في كلام أمير المؤمنين ، و سيّد الموحّدين عليه السلام في تفسير الوحدة ، الّتي تجوز على الله ، واجماله انّ ما يليق أن يراد من معنى الواحد عليه تعالى ، اثنان .

احدهما انّه لاشريك له .

وثانيهما انّه احدىّ المعنى ، و كلا المعنيين قضيّة سلب النقايص ، الّتي هي اضداد الكمال ، فحال التّسبيح في العبد ، ان يكون قلبه معتقداً في ربّه الكمال من جميع الوجوه ، ويكون جميع حركاته وسكناته ناشية من هذه المعرفة ، هذا في التّسبيح الكامل المطلق ، و أما التّسبيح المقيّد ، فهو أيضاً بحسب القيود ، مثلا التّسبيح الرّكوعى يشبه ان يكون تنزيهاً من نقص الشّركة في الحول ، والقوّة والارادة ، كما يشعر بذلك .

ما في مصباح الشرّيعة ، قال الصّادق عليه السلام لايركع عبدالله تعالى

ركوعاً على الحقيقة، إلّا زيّنه الله بنور بهائه وأظلّه في ظلال كبريائه، وكساه كسوة اصفيائه، و الرّكوع اوّل والسّجود ثان، ومن اتى بالاوّل صلح للثّاني، و في الرّكوع أدب، وفي السّجود قرب، و من لا يحسن الادب لا يصلح للقرب، فاركع ركوع خاضع لله عزّ وجلّ بقلبه، متذلّل و جل تحت سلطانه، خافض لله بجوارحه، خفض خائف حزين على ما يفوته من فوايد الرّاكعين.

وحكى انّ ربيع بن خثيم كان يسهر بالّليل إلى الفجر في ركوع واحد، فاذا اصبح يزفر، فيقول: اوّه سبق المخلصون، وقطع بنا، واستوف ركوعك باستواء ظهرك، وانحطّ عن همتّك في القيام بخدمته، الّا بعونه وفرّ بالقلب عن وسوسة الشّيطان، و خدايعه ومكايده، فانّ الله رفع عباده بقدر تواضعهم له، ويهديهم إلى اصولَ التّواضع، والخضوع والخشوع بقدر اطّلاع عظمته على سرايرهم - انتهى.

اقول: تأمّل في هذه الكلمات، وتحقّق بمافيها يكفيك في هذا المقام فان تأمّلت في قوله الرّكوع اوّل، و السّجود ثان، وفي الرّكوع أدب، وفي السّجود قرب، عرفت وجه ما ذكرته من الاستشمار، فانّ التّبرى عن الحول والقوّة، والتّوكّل والتسليم، الّتي هي قضيّة التّنزيه عن الشّريك في الحول والقوّة والارادة من الادب، ومقام الفناء الّذى لازمه القرب، الّذي هو عبارة عن التنزيه السّجودى من القرب، وأيضاً قوله: و انحطّ عن همتك في القيام بخدمته إلّا بعونه، كالصّريح في انّ المراد من الرّكوع هو الأشارة بالتّبرى عمّا ذكر، وتنزيه الرّب عن الشّريك فيها، وأيضاً الجزاء الّذي ذكر اولا لمن اتى بحقيقة الرّكوع، إنّما يناسب ما ذكرنا من التّبرى، لانّه المناسب بنور البهاء، والاستظلال في ظلال الكبرياء.

وبالجملة فمن كان مراعياً للاسباب و ناظراً في الامور بتدبيره و حوله

و قوته ، و معتمداً عليهافهو لم يركع بحقيقة الركوع ، ولم ينزه الله بتنزيه الركوعى ، وان اطال الركوع وسبح مائة مرة .

وبالجملة حقيقة الركوع وروحه ان يكون قلب العبد على صفة التوكل وعمله عمل المتوكلين ، ولا يرى مدبرا ، بل ولافا علا بالاستقلال الا الله ، و يتبرى عن الحول و القوة ، و يكون كدبه و تشبثه للاسباب من جهة الامر ، و لا يمكن لمثل هذا ان يكون في كسبه حريصا ، ولا اخذاً للحرام ولا الشبهات بل و لايمسك ولاينفق إلّالله ، و بامرالله ، بل يكون الانفاق و الامساك عنده على السواء ، بل ويسوى عنده الوجود و العدم ، والفقر والغنا ، و عند ذلك يتولى الله تدبير اموراته بنفسه ، ولايكله إلى غيره ،

و أمّا القيام عن الركوع فليكن النية فيه الارتفاع بالله على اعدائه بعد التواضع له .

و برفع اليد لتكبيره التبري عن التواضع لاعدائه ثم إنّه يستحب الاستيفاء بالركوع باستواء الظهر ، وان يمد عنقه ، ناوياً بانى امنت لك ، وان ضربت عنقى ، ثم برفع راسك راجيا القبول خضوعك ، وتسبيحك وحمدك ، وناوياً الارتفاع على اعدائه بحوله وقوته ، ومؤكداً لرجائك ، بقول سمع الله لمن حمده ، أي اجاب الله لمن حمده ، مردفاً ذلك بالحمد والشكر ، بقول الحمدلله رب العالمين ، ثم تزيد في الخشوع والتذلل إلى ربك بعد الارتفاع على اعدائه بقول اهل الكبرياء والعظمة ، والجود والجبروت ، كانك بعدما قمت للعبودية ، اقتضى ذلك ، ان تتبرى من حولك وقوتك ، في القيام بعبوديته بالركوع ، وتنزهه تعالى عن الشريك في الحول والقوة ، واقتضى ذلك ان تظهر انك مع ذلك ترتفع على اعدائه ، واعداء اوليائه بحوله وقوته ، واقتضى ذلك أيضاً ان تذكر بعد الارتفاع ذلك ، و كبريائه وعظمته في ذلك الارتفاع ، فيتم لك

آداب العبوديّة علماً و عملاً ، ثمّ تترقى عن رؤية اداء حق ادب العبودية ، فتشرف بمقام القرب ، فكبّر ربّك عن الشّريك ، فكانّه إذا حصل لك القرب ، تجلّى لك انوار جمال الاحديّة ، و اضمحلّت عنده وجودات جميع الخلايق ، فكبّرت ربّك عن أن يكون له شريك في الكمال و خررت ساجداً لعظمته ، محتجباً عن جميع الاشياء ، ومنزّهاً له عن كلّ مايتوهمّ من النّقايص المضادّة للكمال ، حتّى الشّريك في الوجود الحقيقى ، فكانّك لاترى في الوجود إلّا الله ، وانّ وجودات جميع الممكنات كسراب بقيعة يحسبه الظّمآن ماء ، وترى انّ وجود العالم كانّه وجود خيالى ، والوجود الحقيقى العيني الخارجي هو وجوده تعالى ، بل ولاتلتفت إلى غيره ابداً .

في مصباح الشّريعة قال الصادق عليه السلام : ماخسر والله تعالى قط من اتى بحقيقة السّجود ، ولوكان في العمر مرّة واحدة ، وما افلح من خلا بربّه في مثل ذلك الحال تشبّهاً بمخادع نفسه ، غافل لاه عن ما اعدّ الله للساجدين ، من البشر «خ ل أنس» العاجل ، و راحة الاجل ، ولا بعد عن الله ابداً من احسن تقربّه في السجود ولاقرب إليه ابداً من اساء ادبه ، وضيّع حرمته بتعلّق قلبه بسواه في حال سجوده ، فاسجد سجود متواضع لله ، ذليل علم انّه خلق من تراب يطؤه الخلق ، وانّه ركّب من نطفة يستقذرها كلّ احد ، و قد جعل الله معنى السّجود سبب التقرّب إليه بالقلب ، و السّر و الرّوح ، فمن قرب منه بعد عن غيره ، الاترى في الظّاهر ، انّه لايستوى حال السّجود ، إلّا بالتّوارى عن جميع الاشياء ، والاحتجاب عن كل ماتراه العيون ، كذلك امر الباطن ، فمن كان قلبه متعلّقا في صلوته بشيء ، دون الله فهو قريب من ذلك الشيء ، بعيد عن حقيقة ما اراد الله منه في صلوته ، قال الله : ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله تعالى : لااطّلع على قلب عبدى ، فاعلم فيه حبّ الاخلاص لطاعتي لوجهى ، و ابتغاء مرضاتي ، إلّا تولّيت

تقويمه ، و سياسته و تقربت منه ، و من اشتغل في صلوته بغيري ، فهو من المستهزئين بنفسه ، مكتوب اسمه في ديوان الخاسرين إنتهى .

أقول تأمّل في الفاظ الرّواية ، لعلك تجدها دالّة على ما ذكرناه من معنى حقيقة السّجود ، فانّ المعنى الّذي من اتى به ، ولو في عمره مرّة واحدة لم يخسر ، لايناسب إلّا بما ذكرنا كما يشير اليه قوله من انس العاجل ، والانس لايكون الا بتجلّي المطلوب ووصاله ، و كذا قوله : خلا بربّه ، و كذا قوله : وقد جعل الله معنى السّجود سبب التّقرّب اليه بالقلب ، والسرّ و والروح وليس في غير ما ذكرنا من المعني هذه الخاصة فان التقرّب بالسرّ والرّوح ، لايكون إلّا بماذكرنا ، و ان كان ظاهر قوله : ممّن كان قلبه متعلّقا في صلوته بشيء دون الله ، فهو قريب بذلك الشيء اه ـ ، انّ المراد حضور القلب الّذي يلزم في جميع أحوال الصلوة ، من افعالها واقوالها و لكن الّذي يعطيه حقّ التّأمّل ، انّ هذا الّذي ذكرا خيراً ، كانّه صيغ لبيان امر عام لجميع اجزاء الصّلوة ، و هو الحضور ، و ذلك أيضاً يقتضى ان يكون حال السّجود كما ذكرنا ، لانّ حضور القلب في القيام مثلا يقتضي الالتفات الى مقام العبوديّة و الرّبوبيّة ، و في الرّكوع يقتضي الالتفات إلى الغير ، وإلى أنّ الحول و القوّة الحقيقيّة منفيّة عنهم ، و الحضور المناسب للسّجود ، هو بالفناء عن الكلّ ، والحضور عند الرّبّ تعالى ، و هذا عين ما ذكرنا من المعنى .

وبالجملة التّواري ، والاحتجاب عن الكلّ بالبدن بهيئة السّجود الظّاهريّة ، و التّوارى بالقلب و السرّ و الرّوح ، لايكون إلّا بماذكرنا.

هذا ولا يذهب عليك ، ما في الرّواية الاخيرة ، من وعد الله لمحبّ الاخلاص ، فضلا عن المخلصين ، و ان كنت تعجز عن نفس الاخلاص ، فاحذر لامحالة عن التّواني من حبّ الاخلاص ، فتحرم من كرامة تولّى الله جلّ جلاله تدبير امورك ، فتكون في صلوتك من المستهزئين بنفسك ، و تلحق

بالخاسرين.

ثمّ انّ السّجود من افضل الاعمال البدنيّة وأجابها للنّور.

كما روى عن الصّادق عليه السلام: وجدت النّور في البكاء والسّجدة.

وروى أيضاً أنّه أقرب حالات العبد إلى الله، لاسيما إذا كان جايعاً وباكيا.

وورد فيه فضايل جمّة.

منها انّه سئل جماعة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن يضمن لهم على ربّه الجنّة، فقال: على ان تعينوني بطول السّجود، قالوا: نعم فضمن لهم الجنّة.

و منها ما روى، أنّه قيل للصّادق عليه السلام: لم أتخذ الله إبراهيم خليلا قال: لكثرة سجوده على الأرض.

وروى أيضاً في الصّحيح، أنّ العبد اذا صلّى ثمّ سجد سجدة الشكر، فتح الرّب تعالى الحجاب بين العبد، و بين الملائكة، فيقول: يا ملائكتي أنظروا إلى عبدي، ادّى فريضتي، واتمّ عهدي، ثمّ سجد لي شكراً على ما أنعمت به عليه، ملائكتي ماذا له قال: فيقول الملائكة: يا ربّنا رحمتك، ثمّ يقول الرّب تبارك و تعالى: ثمّ ماذا؟ فيقول الملائكة: يا ربّنا جنّتك، فيقول الله تبارك و تعالى: ثم ماذا؟ فيقول الملائكة كفاية مهمّاته، فيقول الرّب ثمّ ماذا؟ قال: فلايبقى من الخير شيء الّا قالته الملائكة، فيقول الله تبارك و تعالى: ثمّ ماذا؟ فيقول الملائكة: يا ربّنا لاعلم لنا، قال: فيقول الله تبارك و تعالى: اشكر له كما شكر لي، و أقبل أليه واريه وجهي.

أقول: في هذه الرّواية كفاية لمن كان له قلب، اوألقى السّمع وهو شهيد.

أقول: روى عن أصحاب الائمة من طول السّجود، أمر عظيم هنيئاً لهم، ولمن تبعهم.

مثل ما روى عن الكشّي أنّه وجد في كتاب ابي عبدالله الشّاذاني بخطّه ، سمعت ابا محمد الفضل بن شاذان يقول : دخلت العراق فرأيت واحدا يعاتب صاحبه ، ويقول له : انترجل عليك عيال ، تحتاج ان تكتسب عليهم، وما آمن أن يذهب عيناك من طول السّجود ، قال : فلمّا أكثر عليه ، قال : أكثرت عليّ ويحك لوذهب عين احد من طول السّجود ، لذهبت عين ابن أبي عمير، ما ظنّك برجل سجد سجدة الشكّر بعد صلوة الفجر ، فما رفع رأسه الاّ عندالزّوال .

وروي أيضاً عنه .

قال : وذكر أبوالقاسم نصر بن الصّباح عن الفضل بن شاذان ، قال : دخلت على محمّدبن أبي عمير ، و هوساجد فاطال السّجود ، فلمّا رفع رأسه ، و ذكرله طول سجوده ، قال : كيف لورايت جميل بن درّاج ، ثم حدّثه إنه دخل على جميل بن درّاج فوجده ساجداً ،فاطال السّجود جدّا ، فلمّارفع رأسه ، قال له محمّدبن أبي عمير : أطلت السّجود،فقال : كيف لورايت معروف بن خرّبوز .

هذا و طول سجود السجّاد ، والكاظم معروف .

أقول :كان لي شيخ جليل عامل عارف كامل قدّس الله تربته ، مارايت له نظيراً في المراتب المذكورة ، سئلته عن عمل مجرّب يؤثر في اصلاح القلب ، و جلب المعارف ، فقال قدّس سرّه العزيز ، ما رأيت عملا مؤثّراً في ذلك مثل المداومة على سجدة طويلة في كلّ يوم و ليلة مرّة واحدة ، يقال فيها : لا إله إلّا أنت سبحانك انّي كنت من الظّالمين ، يقوله : و هو يرى نفسه مسجونة في سجن الطبيعة ، و مقيّدة بقيود الاخلاق الرّذيلة ، مقرّاً بانّك لم تفعل ذلك بى ، ولم تظلمنى ، و أنا ألّذي ظلمت نفسي و اوقعتها في هذا الحال ، و قرائة سورة القدر في ليلة الجمعة ، و في عصر ها

مائة مرّة ، و كان أصحابه عاملين بذلك ، كلّ منهم على حسب مجاهدته .

و سمع عن بعضهم ، انّه كان يقوله : ثلثة الآف مرّة .

و بالجملة هذه السّجدة ، و بركاتها معروفة عند العاملين بها ، ولكن بشرط المداومة و كيف كان سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى السّجدة الاولى ، قال : تأويلها اللّهمّ انّك منها خلقتنا ، يعنى من الأرض ، وتأويل رفع رأسك و منها ، اخرجتنا ، والسّجدة الثّانيّة ، واليها تعيدنا ، ورفع راسك ، ومنها تخرجنا تارة اخرى .

أقول : والّذي يفهم من تفسير الامام ، انّ النيّة من رفع الرّاس في السجدة الاولى ، قصد الارتفاع على اعداء الله ، و اعداء أوليائه .

و يمكن الجمع ، بانّ الاوّل اشارة الى مطلق الخروج الى الدّنيا ، و الثّاني اشاره الى حكمه ، و هو الايمان بالله ، و باوليائه .

ثمّ انّ السّجود من جهة أنّه صورة مقام الفناء ، ألّذي هو اقصى درجات الاستكانة ، ولذا ناسب أن يوضع فيه اعزّ الاعضاء على أرذل الأشياء ، ووجب أن يذكر الله عند تسبيحه باسمه الاعلى ، فاذا اتى العبد بذلك ، فرق قلبه وطهر لبّه بردّ الفرع على اصله ، ووضع نفسه موضعه ، شملته العناية الرّبانيّة لانّ عنايته تتسارع إلى مواضع الذّلّ ، ومراكز الاضطرار ، وايّ ذلّ اذلّ من مقام الفناء ، و أيّ اضطرار اشدّ من اضطرار وجه العبوديّة ، ثمّ انّه اذا اتمّ سنن العبوديّة بالفناء عن نفسه ، ثمّ الارتفاع بربّه ، كبّر وسأل ربّه مغفرة ذنوبه و تقصيره و قصوره في درجات أحوال الارتفاع ، فانّه غامض علماً و عملاً ، لكونه موافقاً لهوى النّفس ، ثم يؤكّد ذلّه بعد الارتفاع بالسّجدة الثّانية ، وتسبيح ربّه الأعلى بحمده ، فكانّه اتمّ فنائه عن نفسه ، بالفناء عن جميع آثاره ، فاستحقّ بذلك أقصى مقامات العبوديّة ، و مقام الشّهود ، والبقاء

الابدى ، فيرفع رأسه ، تأدّباً للقيام بالعبوديّة ، والبقاء بالله في مقام الشّهود، فيتشهّد فيه بالتّوحيد ، و يقرنه بالشّهادة بالرّسالة ، فيصلّي على النّبي وآله ، شكر النّعمة هدايتهم بذلك المقام الاسنى ، أو يقصد بها التّحية بحضّار مجلس الحضرة ، فيخصّ بها مقرّبي ملك الحضرة .

ثمّ يقوم للرّكعة الثّانية ، و يزيد فيها القنوت بعد السّورة ، و يطيل فيه جدّاً ، ويختار من الدّعوات الواردة فيه ، وفي غيره الزمها وأجلّها ، و مايؤثر في رقّة القلب ، و يراعي في ذلك شرايط الدّعاء مايمكنه ، فمن اطال قنوته ، وأحسن دعائه فيه ، فقد احرز حظّه من كل السّعادات ، فانّ الدّعاء من اوسع أبواب الرّحمة ، وهو طريق مستقلّ قبال طرق الخير كلّها إلى جميع السّعادات ، وأنا اخترت لقنوت الصّبح و المغرب دعوات من ادعية ائمتنا عليهم السلام ، و لو في غير القنوت ، ولا بأس به .

وإذا جلست للتّشهد بعد هذه الافعال الدقيقة ، والاسرار العميقة المشتملة على الاخطار الجسيمة ، فاستشعر الخوف التّام ، و الرّهبة و الحياء ، والوجل ، من ان يكون جميع ماسلف منك غير واقع على وجهه ، فاجعل يدك صفراً من فوايدها ، إلّا أن يتداركك الله برحمته ، و يقبل عملك النّاقص بفضله ، و أرجع إلى مبدء الامر ، وأصل الّدين ، واستمسك بكلمة التّوحيد ، وحصن الله الّذي من دخله كان امناً ، ان لم يكن حصل في يدك غيره ، و اشهد له بالوحدانيّة ، و احضر رسوله الكريم ، و نبيّه العظيم ببالك ، و اشهد له بالعبوديّة ، و الرّسالة ، وصلّ عليه وعلى اله مجدّداً عهد الله باعادة كلمتى الشّهادة ، متعرّضاً بها لتأسيس مراتب العبادة ، فانّها اوّل الوسائل ، واساس الفواضل، مترقّباً لاجابته صلى الله عليه وآله بصلوتك عشراً من صلوته ، إذا قسمت بحقيقة صلاتك عليه ، الّتي لو وصل إليك واحد منها ، افلحت أبداً .

وفي مصباح الشّريعة ، التّشهد ثناء على الله ، فكن عبدالله في السّر، خاضعاًله في الفعل ، كما انّك عبدله في القول ، والدّعوى، واوصل صدق لسانك بصفاء صدق سرّك ، فانّه خلقك عبداً ، و امرك ان تعبده بقلبك ، و لسانك و جوارحك ، و أن تحقّق عبوديّتك له ، بربوبيّته ، وتعلم أنّ نواصي الخلق بيده ، فليس لهم نفس ؛ ولا لحظة إلّا بقدرته ؛ و مشيّته ، و أنّهم عاجزون عن اتيان اقلّ شيء في مملكته ، إلّا باذنه وارادته .

اقول : ولا تغفل عمّا في هذه الكلمات الشريفة من الاشارات ، لاسيّما قوله و تحقق عبوديّتك له بربوبيّته ، فان تحقّق العبوديّة بالربوبية ، انّما يتمّ بالتّفويض الكامل ، والتّسليم المطلق من جميع الجهات ، ولا يتحقّق ذلك إلّا بأن يعلم العبد ان لانفس ، ولالحظة إلّا بقدرته ، و مشيّته و إذاعلم ذلك ، و اعتقد به اعتقاداً مباشراًلقلبه ، وعلماً صادقاً مؤثّراً في افعاله وأعماله ، لايرى في الوجود مؤثّراً إلّا الله ، ولافي الكون فاعلاغيره ، وحينئذ ينقطع إلى ربّه ، وينقطع طمعه عن النّاس ، و عن حوله وقوّته ، فيتمّ له التّوحيد العلمي، فيكون في شهادته بالتّوحيد، صادقاً و أما من لايرى الخير إلّا في المال مثلا ولايرى معطياً ، ولامانعاً إلّاالنّاس ، فهومضادّلتوحيدالله ، و منافق في شهادته بأن لااله إلّاالله ، والله يشهد انّ المنافقين لكاذبون ، فانّالله و انّااليه راجعون. مصيبة عظم رزئها ، وجلّ عقابها .

أقول : و من هذاالباب .

ما روى عن أميرالمؤمنين عليه السلام ، انّه لايجد عبدطعم الايمان ، حتّى يعلم أن الضار و النّافع هوالله ، و مثل هذا العبد لايكون بمافي يده اوثق منه بما عندالله ، و يسوّى عنده الوجود والعدم ، و الغنى و الفقر ، وامّا من يرى الاسباب ، ولم ير مسبّب الاسباب ، ولايطمئنّ على ضمان الله ، فهوحقيق

بان يعد عابداً لها ، لانه اللّهمّ إلّا ان يكون إيمانه اعتقاداً جازما ، ويكون عدم تأثير إيمانه في عمله من جهة مرض قلبه ، وضعفه ، و استيلاء الجبن عليه ، و انزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه ، فانّ القلب قد ينزعج تبعاً للوهم ، و طاعة له من غير نقصان في الاعتقاد ، كانزعاجه من ان يبيت مع ميّت في بيت ، أوفي قبرمع قطعه بانّ الميّت مثل سائر الجمادات ، لايقدر على شيء هذا ، ولا تغفل عمّا اشير اليه في امر الصّلوة ، و هي امور : منها انّ صلوتك للنبيّ ﷺ من قبيل صلوتك لله ، كما يفهم ذلك ، من قوله :أوصل - اه .

و هذا كذلك ، لانّ الصّلوة خدمة ، وعبوديّة ، و ميل ورغبة من العبد إلى الله ، وذلك بالنّسبة إلى الله ، انّما هو بالصّلوة ، و هكذا صلوة النّبيّ ﷺ خدمة ، و تواضع ، وميل ورغبة الى حضرة رسول الله ﷺ ، و صورة ذلك كلّه واحدة ، انّما هو بالصّلوة المسنونة له من الله .

و منها لزوم وصل صلوته بصلوة الله ، وطاعته بطاعته ، لأنّه بعد الله جلّ جلاله وليّ نعم الله على عباده وواسطة فيضه الاقدس ، و خليفة الله ، و جنب الله و بابه ، ووجهه الّذي يتوجّه إليه الاولياء ، وبعده خلفائه المعصومون: أمير المؤمنين ، والاحد عشر من اولاده .

و منها انّ في معرفة حرمته بركات ، و فوائد ، و انّ من لم يعرفه فاته فوائد صلوته ، فانّ معرفتهم ﷺ من مهمّات الأمور .

وقد روى في ذلك اخبار جليلة ، فارجع إلى ماروى في معرفتهم بالنورانيّة ، بل صحّ قول من قال : انّ الخير كلّه في كمال معرفتهم لانّه لاسبيل الى معرفة كنه الذّات عزّ وجل فالمعرفة الممكنة في حقّنا الّتي هي اسعد السّعادات ، و أفضل مقامات الدين كلّها ، بل لافضيلة مثلها انّما هي معرفة الاسماء ، و هم اسماء الله الحسنى ، بل الاسم الاعظم ليس إلّا حقيقتهم ، فمن عرف حقيقتهم

بالمعرفة الشّخصيّة ، فقد فازونال ، ولمّ ذلك : انّ المعرفة انّما هي بالوصول إلى المعروف ، و القرب منه ، وهذاهوالمقصد الاسنى والكرامة العظمى ،الّتي لامرتقى فوقها ، لافى الدّنيا ، ولا في الاخرة .

ثمّ انّ في فضيلة صلوته صلّى الله عليه و آله ، و ردت أخبار متواترة ، ويكفى منها خبر واحد مستفيض ، و هوانّه صلى الله عليه وآله و عدلمن صلّي عليه واحداً أن يصلّي عليه عشراً ، بل في رواية الكافي ، باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : إذا ذكرالنّبيّ صلى الله عليه وآله فأكثروا الصّلوةعليه ، فانّه من صلّي على النبيّ صلوة واحدة ، صلّى الله عليه الف صلوة ، في الف صفّ من الملائكة ، ولم يبق شيّ ممّا خلقه الله إلّا صلّى على العبد ، لصلوةالله عليه ، وصلوة ملائكته ، فمن لم يرغب في هذا ، فهوجاهل مغرور ، فقدبرء الله منه ، و رسوله ، و أهل بيته.

وروى فيه في حديث ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله من ذكرت عنده ، فلم يصلّ على فدخل النّار فأبعده الله .

أقول : من كان مصليّاً على رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويسلّم لامحالة ، يراقب ان لايضادّ في ذلك بعمله ، فانّ روح الصّلوة التحيّة والاكرام ، و روح السّلام مايحكى لك في مصباح الشّريعة ، و هذان المعنيان انّما يخالفان بالايذاء و الشّقاق ، و إذا صلّيت عليه و آله ، و سلمت بلسانك فراقب ، ان لاتؤذيه بعملك ، فيخالف قولك في لسانك ، لعملك بلسانك ، و غيره من جوارحك ، فانّ الأخبار وردت بعرض اعمالك على رسول الله صلى الله عليه وآله والائمّة عليهم السلام ، فماظنّك بهم ، إذاراوا منك القبايح والمعصية ، و إذا رؤا في عملك الظلم على شيعتهم ، و عترتهم ، أمايؤذيهم ذلك ؟ وليس مضاداً أومخالفاً مع الصّلوة والسّلام عليهم ، و إذاكان لسانك مخالفاً لعملك ، و قلبك ، كان نفاقاً تستجير من ذلك إلى الله .

وقد حكى من بعض أهل المراقبة : انّه كان يدعو لجماعة من اخوانه

المؤمنين مدّة ، و اتّفق له أنّه مات ابوه فورث منه مالا ، قال : أما كنت اواسي أخواني بالدّعاء بالنّعم الباقية : كيف ابخل عنهم من عروض الدّنيا الفانية ، فقسم ارثه من أبيه بين من كان يدعولهم .

أقول : من يحسد اخاه ببعض زخارف هذه الدّنيا ، كيف يمكن له ان يرغب ان يعطيه الله كرامات عوالم الاخرة ، و من لايقدر ان يرى في أخيه شيئاًمن النّعم الخسيسة ، كيف يشتاق الى ان يصل إليه النّعم الجليلة الفاخرة؟ وهل يكون هذا إلاّ خلفا ، والّذي يترای من بذل النّاس الدّعاء بالجنّة، و بخلهم وحسدهم في غير ذلك ، إمّا من جهة عدم اعتقادهم في تأثير دعائهم ، وإمّا من جهة عدم اطمينانهم بوجود النّعم الاخرويّة .

و كيف كان في مصباح الشّريعة : معنى التّسليم في دبر كلّ صلوة معني الامان ، اي من اتى بأمر الله تعالى ، و سنّة نبيّه خاضعاً له ، و خاشعاً فيه ، فله الامان من بلاء الدّنيا ، والبرائة من عذاب الآخرة ، و السّلام اسم من اسماء الله تعالى ، أودعه خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات ، والأمانات، والألصاقات ، وتصديق مصاحبتهم ومجالستهم فيما بينهم ، وصحّة معاشرتهم ، فأن اردت أن تضع السّلام موضعه ، و تؤدّی معناه ، فاتّق الله و ليسلم منك دينك ، و قلبك و عقلك ، لاتدنّسها بظلم المعاصي ، و لتسلم منك حفظتك ، لاتبرمهم ، ولاتملّهم ، ولاتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم ، ثمّ مع صديقك، ثم مع عدوّك ، فانّ من لم يسلم منه من هو أقرب اليه ، فالابعد اولى ، ومن لايضع السّلام موضعه هذا ، فلاسلام ولا تسليم ، وكان كاذباً في سلامه ، وان افشاه في خلقه .

أقول : تفطن يا عاقل من هذه الكلمات بحكم تسليمك على النّاس، و قلبك لايحب له سلامة جميع النّعم ، او بعضها ، هل هذا الانفاق ؟ و هل

المسلم ان يتوقّع لمثل هذا السّلام ، ما اعدّ الله للمسلم من الكرامات ، و هكذا تقول في لسانك : السّلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وتؤذيه بعملك وفعلك فتفطّن من ذلك على موقع سلامك لنبيّك ، و ائمّتك عليهم السلام في صلوتك ، او في زيارتك ، فانّ من ظلم النّاس و شيعتهم و ذرّيّتهم ، و اخذ منهم مالا ، و زارهم عليهم السلام بذلك المال ، لاسيّما اذا كان ملابساً بعين هذا المال ، عند التّسليم ، او بقوّته لاداء التّسليم ، فما حكم سلامه ، لاسيّما اذا كان مع مخالفته في الباطن ، مخالفاً لرضاه في الزّي والهيئة أيضا ، بأن يكون لبس لباس اعدائه ، و تشبّه باعدائه في اللّباس والهيئة ، وروّج بذلك اعداء الدّين ، و خلاف احكام الله ، فهل سلامه في هذا الحال سلام و تحيّة ، اوهو مستهزىء بنفسه ؟ بل يمكن ان يكون بعض هذه التّسليمات ، والزّيارات بمثابة السّهام على قلوبهم الزّكيّة ، و العياذ بالله ، واللّجاء اليه من امثال هذه الفضايح في الزّيارات ، الّتي هي من أفضل القربات ، قل : هل ننبيئكم بالاخسرين اعمالا ، الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الدّنيا ، و هم يحسبون انّهم يحسنون صنعا .

هذا ولا تقنع في تشهّدك بقدر الواجب تبعاً للمتعارف ، و اعمل فيه لا محالة ببعض فقرات التّشهّد الكبير ، و كذا لاتدع في سلامك التسليم على الائمّة ، بما ورد ، وعلى الانبياء و الملائكة ، فان تبعية السّلف صار داء عضالا لا ينجو منها إلّا الاوحدي ، واتّسع مجراها حتّى في العبادات ، والقربات ، مثلا ارى الشّيعة مولعين لذكر الشّهادة بالولاية في اذانهم ، مع اعتقادهم انّه لم يرد به رواية ، وان كان هذا الاعتقاد باطلا ، و يتركون السّلام على الأئمّة في صلوتهم ، مع اعتقادهم باستحبابه ، وهل هذا إلّا من جهة التّعارف ، وعدمه .

هذا و قد لزمني بعد ماسطرت هذه الجملة ، ان اذكر ما ورد في هذا

المعنى من الرّوايات ، في تفسير الامام عليه السلام قال إذا توجّه المؤمن في مصلاه ليصلّي ، قال الله عزّ وجلّ لملاءكته : يا ملائكتي اماترون الى عبدي هذا ، قد انقطع عن جميع الخلايق إليّ ، و امّل رحمتي وجودي و رأفتي ،اشهد كم انّي اخصّه برحمتي ، و كراماتي ، و إذارفع يده ، و قال : الله اكبر ، أثنى على الله ، قال الله لملاءكته : يا عبادي اما ترونه كيف كبّرني ، و عظّمني، ونزّهني عن ان يكون لي شريك ، او شبيه ، اونظير،ورفع يده ، و تبرء ممّا يقوله اعدائي : من الاشراك بي ؟ أشهد كم اني سا كبّره، واعظّمه فيدارجلالي، وأنزهه في تنزّهات دار كرامتي ، و أبرئه من آثامه ومن ذنوبه ، و من عذاب جهنّم و من نيرانها ، و إذا قال : بسم الله الرّحمن الرّحيم ، و قرء فاتحة الكتاب وسورة ، قال الله لملاءكته :اماترون عبدى ؟ كيف تلذّذ بقرائة كلامي أشهد كم ملاءكتي ، لا قولنّ له يوم القيمة أقرء في جناني ، وارق درجاتي ، ولايزال يقرء و يرقى بعدد كلّ حرف درجة من ذهب ، ودرجة من فضّة ، و درجة من لؤلؤ ، و درجة من جوهر ، و درجة من زبرجد اخضر ، و درجة من زمرّد أخضر ، و درجة من نور ربّ العزّة ، فاذاركع قال الله تعالى لملاءكته ، يا ملاءكتي كيف تواضع لجلال عظمتي ؟ أشهد كم لاعظمنّه في دار كبريائي وجلالي ، فاذارفع رأسه من الرّكوع ، قال الله تعالى لملاءكته : يا ملاءكتي اماترون كيف يقول ؟ ارتفع من أعدائك كما اتواضع لأوليائك ، وأنتصب لخدمتك ، اشهد كم ياملاءكتي لأجعلن جميل العاقبة له ، ولاصيّرنّه إلى جناني ، فاذا سجد قال الله تعالى لملاءكته : ياملاءكتي أماترون كيف تواضع بعد ارتفاعه ، و قال انّي ، وان كنت جليلا مكيناً في دنياك ، فانا ذليل عندالحقّ إذا ظهر لي ، سوف ارفعه ، و مادفع به الباطل ، فاذا رفع رأسه من السّجدة الاولى ، قال الله تعالى يا ملاءكتي امّا ترونه كيف قال : انّي و

ان تواضعت لك فسوف اخلط الانتصاب في طاعتك بالذّل بين يديك ، فاذا سجد ثانية ، قال الله تعالى لملائكته : أماترون عبدي ؟ هذا كيف اعاد التواضع لي لاعيدنّ اليه رحمتي ، فاذارفع رأسه قائماً ، قال الله تعالى : يا ملائكتي لارفعنّه بتواضعه ، كما ارتفع إليّ صلوته ، ثمّ لايزال يقول الله تعالى لملائكته هكذا في كلّ ركعة ، حتّى إذا قعد في التّشهّد الاوّل ، والتّشهّد الثّاني ، قال الله تعالى : يا ملائكتي ، قدقضى خدمتي و عبادتي ، و قعدثيني عليّ و يصلّي على محمد نبيّي ، لأثنينّ عليه في ملكوت السّموات و الارض ، و لاصليّن على روحه في الارواح ، فاذا صلّى على أمير المؤمنين في صلوته ، قال الله : يا عبدى لاصلّينّ عليك ، كما صلّيت عليه ، ولاجعلنّه شفيعك ، كما استشفعت به ، فاذا سلّم من صلوته ، سلّم الله عليه وملائكته .

أقول : سبحان هذا الربّ الودود ، العطوف الرّحيم الرّؤف ، و سبحانه من كريم ماالطفه ، و من لطيف ما أكرمه .

و منها ما في كتاب اللّئالي ، فقد روى انّه سئل ما الحكمة في انّه جعل للصّلوات الاذان ، و لم يكن لساير العبادات إذان ولا اقامة ؟ قال صلى الله عليه وآله : لانّ الصّلوة شبيهة بأحوال يوم القيمة ، لانّ الاذان شبيه بالنفخة الاولى لموت الخلايق ، و الاقامة شبيه بالنّفخة الثّانية ، كما قال الله تعالى : واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب و القيام إلى الصّلوة شبيه بقيام الخلايق ، كما قال الله .

يوم يقوم النّاس لربّ العالمين ، ورفع الايدي والتّكبيرة الاولى شبيه برفع الايدى لأخذ الكتاب يوم القيمة ، و قرائة الكتب بين يدى ربّ العالمين .

كما قال تعالى :

اقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ، والركوع شبيه بخضوع الخلايق لرب العالمين ، كما قال تعالى :

وعنت الوجوه للحي القيوم ، والسجود شبيه بالسجود لرب العالمين، كما قال عز ذكره .

يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود ، والتشهد شبيه بالجثو بين يدى رب العالمين ، كما قال تعالى :

فريق في الجنة وفريق في السعير.

و منها ما في اخبار المعراج ، من كون كيفية معراجه ﷺ منطبقة مع كيفية الصلوة ، من الاذان ، والوضوء إلى آخر الصلوة ، و فيما رواه في الكافي ، بعد ذكر تشريع الاذان والاقامة باجزائهما إلى السماء الرابعة ، ثم قيل لي : ارفع رأسك يا محمد ، فرفعت رأسي ، فاذا اطباق السماء قد خرقت، و الحجب قد رفعت ، ثم قال لي : طأطأ رأسك أنظر ماذا ترى ؟ فطأطأت راسي فنظرت إلى بيت مثل بيتكم هذا ، وحرم مثل حرم هذا البيت ، لو القيت شيئاً من يدى لم يقع الا عليه ، فقيل : يا محمد هذا الحرم ، وانت الحرام ، ولكل مثل مثال، ثم أوحى الله الي : يا محمد ادن من صاد ، واغسل مساجدك وطهرها، وصل لربك ، فدنى رسول الله ﷺ من صاد ، وهو ماء يسيل من ساق العرش الايمن ، فتلقى رسول الله الماء بيده اليمني ، ومن اجل ذلك صار الوضوء باليمين، ثم اوحي الله اليه ان اغسل وجهك ، فانك تنظر الي عظمتي ، ثم اغسل ذراعيك اليمنى واليسرى ، فانك تلقي بيدك كلامي ، ثم امسح رأسك بفضل ما بقى في يدك من الماء ، ورجليك إلى كعبيك ، فانني ابارك عليك و اوطئك موطئاً لم يطائه احد غيرك ، فهذا علة الاذان و الوضوء ، ثم اوحى الله تعالى إليه : يا محمد استقبل الحجر الاسود ، و كبر على عدد حجبي ، فمن أجل ذلك

صار التّـكبير سبعاً ،لانّ الحجب سبع فافتتح عندافتتاح الحجب ، فمن أجل ذلك صار الافتتاح ستة، و الحجب متطابقة بينهنّ بحار النّور ،وذلك النور النّور الّذي أنزله الله تعالى على محمد ﷺ فمن أجل ذلك صار الافتتاح ثلث مرّات ، لافتتاح الحجب ثلاث مرّات ، فصار التّـكبير سبعاً ، والافتتاح ثلاثاً ، فلمّا فرغ من التّـكبير والافتتاح ،اوحي الله إليه سمّ باسمي ، فمن أجل ذلك جعل بسم الله الرّحمن الرّحيم في اوّل السورة ، ثمّ اوحى الله إليه ان أحمدني ، فلمّا قال : الحمد لله ربّ العالمين ، قال النّبيّ في نفسه شكراً ،فاوحي الله إليه : قطعت ذكري ،فسم باسمي فمن أجل ذلك جعل في الحمد لله الرّحمن الرّحيم مرّتين فلمّا بلغ ولا الضّالّين ، قال : الحمد لله رب العالمين شكراً ، فاوحى الله إليه قطعت ذكري ، فسمّ باسمي ، فمن اجل ذلك جعل بسم الله الرّحمن الرّحيم ، ثمّ اوحى الله إليه ان اقرء يا محمد ، لانّ الله تعالى هو الله احد ، الله الصّمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً احد ، ثمّ امسك عنه ، فقال رسول الله ﷺ: كذلك الله ربّي ، كذلك الله ربّنا ، فلمّا قال : ذلك أوحى الله إليه اركع لربّك يا محمد ﷺ ، فركع فاوحى الله إليه و هو راكع ، قل : سبحان ربى العظيم و بحمده ، ففعل ذلك ثلثاً ، ثمّ اوحى الله اليه ان ارفع رأسك يا محمد ﷺ ، ففعل رسول الله ﷺ ، و قام منتصباً ، فاوحى الله عزّ و جلّ إليه ، ان اسجد لربّك يا محمد ، فخرّ رسول الله ﷺ ساجداً ، فاوحي الله عزّ وجلّ إليه ، قل سبحان ربّي الأعلى و بحمده ، يفعل ذلك ثلاثاً ، ثمّ اوحى الله إليه استوجالساً يا محمد ، ففعل ، فلمّا رفع رأسه من السّجود ، و استوى جالساً نظر إلى عظمته تجلّت له ، فخرّ ساجداً من تلقاء نفسه ،لا لامر امر به ، فسبّح ايضاً ثلاثاً ، ثمّ اوحي الله إليه ارفع رأسك ، انتصب قائماً ففعل فلم ير ماكان من العظمة إلى ان قال بعد الرّكعة الثّانية : ارفع رأسك يا محمد ثبتّك

ربّك ، فلمّا ذهب ليقوم ، قيل : اجلس ، فجلس ، فاوحى الله إليه : يامحمّد اذا ما انعمت عليك ، فسمّ باسمي ، فالهم بان قال ، بسم الله ، و بالله ، و لا إله إلّا الله ، والأسماء الحسنى كلّها لله تعالى ، ثمّ اوحى الله إليه ، يا محمّد صلّ على نفسك ، وعلى أهل بيتك ، فقال : صلّى الله عليّ وعلى اهل بيتي ، ثمّ التفت، فاذا بصفوف من الملئكة والمرسلين ، فقيل : يا محمّد سلّم عليهم ، فقال : السّلام عليكم و رحمةالله وبركاته ، فاوحى الله إليه : انّما السّلم و التحيّة ، والرّحمة والبركات لك ولذريّتك .

أقول ، كفي بهذه الاخبار للعاقل في الاطمينان ، بانّ تشريع الصّلوة انّما هولامر عظيم ، وهوحقيقةمعراج المؤمن ، و مطابق لاحوال يوم القيمة ، بل مطابق لأحوال المبدء .

كمابدء كم تعودون ، وإذاعرف العبد ذلك ، فله ان يعظم امرها غاية جدّه ، ويتشمرّ في تكميلها بكل ميسوره ، ويلتجأ في ذلك إلى الله تعالى حقّ الالتجاء ، و يقطع بعجزه وقصوره ، وتقصيره واضطراره إلى عنايته : فانّه تعالى قادر على مايشاء من الفضل ، والعدل معه و به ، فان طالبه باستحقاق الصدق و الاخلاص حجبه ، وردّ صلوته ، وان عطف عليه بفضله ورحمته قبل منه عمله ، و ان كان قليلا ناقصا ، واجزل عليه ثواباً عظيما ، وان علم الله من قلبه صدق الالتجاء اكرمه ، بتوفيقه وتاييده ، واعانه في توفية مراده ، فانّه كريم يحبّ الكرامة لعباده المضطرّين إليه ، المحترفين إلى بابه ، وقدقال في كتابه :.

أمّن يجيب المضطرّ إذادعاه .

فصل في التعقيب وهومن المهمّات ، و من مكمّلات الصّلوة ، وقد ورد فيه اشياء كثيره ، من القرآن والاذكار ، والادعية و الصّلوة ، وقد تعرض لجمعها جماعة من علمائنا ، وتصانيفهم في ذلك كثيرة معمولة ، ولكنيّ انتخبت

من ذلك بعضها لأهل العلم ، الّذين اوقاتهم مشغولة للعلم ، افادة واستفادة ، بعضها واردة بخصوص التّعقيب ، و بعضها لاخصوصيّة لها بذلك .

منها : الصّلوات بعد التكبيرات الثلث ، وصورتها : اللّهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد ، حتّى لايبقى من صلوتك شيء ، وارحم على محمّد وآل محمّد ، حتّى لا يبقى من رحمتك شيء ، وبارك على محمّد وآل محمّد ، حتّى لايبقى من البركات شيء وسلّم على محمّد وآل محمّد ، حتّى لايبقى من السّلام شيء .

والدّعاء على حجّة الله ، امام الزّمان عجل الله تعالى فرجه وعنورته: وعجل لوليّك الفرج ، وارئافيه ، وفي اهل بيته ، وشيعته ، ورعيّته ، وعامّته وخاصّته ، ما يأمل ، وفي اعدائه ما يحذر .

واتبعته بدعاء شيخي ووالدي ، وجماعة من خاصتي من الارحام واخوان الصّفا ، وعموم المؤمنين .

ثمّ بما ورد عن الباقر عليه السلام : اللّهمّ انّي اسألك من كل خير احاط به علمك ، و أعوذبك من كلّ سوء احاط به علمك ، اللّهمّ انّي اسألك عافيتك في اموري كلّها ، و اعوذبك من خزى الدّنيا وعذاب الآخرة .

واتبعته بما ورد من قولهم : اللّهمّ انّي اسألك الجنّة ، والحور العين ، برحمتك يا أرحم الرّاحمين .

فاتبعته بما ورد : اللّهمّ اهدني من عندك ، وافض عليّ من فضلك ، وانشر عليّ من رحمتك ، وأنزل عليّ من بركاتك ، و كرّره ثلاثاً .

ثمّ تسبيح الزّهراء عليها السلام ، والاخبار الواردة في فضله كثيرة ، لابأس بالاشارة إلى خبر واحد ، وهو ماروى عن الصّادق عليه السلام قال : تسبيح فاطمة في كل يوم ، في دبر كلّ صلوة ، احبّ الى الله من صلوة الف ركعة في كلّ يوم .

واتبعته بقراءة الفاتحة ، وآية الكرسي ، وآية شهدالله ، وآية الملك إلى

قوله بغير حساب ، فعن[1] النّبي ﷺ انّه قال : لمّا اراد الله ان ينزل فاتحة الكتاب، وآية الكرسي ، وشهد الله ، وقل اللّهمّ مالك الملك إلى قوله بغير حساب، تعلّقن بالعرش ، ليس بينهنّ وبين الله حجاب ، فقلن يا ربّ تهبطنا إلى دار الذّنوب ، وإلى من يعصيك ، ونحن متعلّقات بالطّهور والقدس ، فقال سبحانه: وعزّتي وجلالي مامن عبد قرء كنّ في دبر كلّ صلوة إلّا اسكنته حظيرة القدس، على ماكان فيه ، وإلّا نظرت إليه بعيني المكنونة في كلّ يوم سبعين مرّة و إلّا قضيت له في كلّ يوم سبعين حاجة ، ادناها المغفرة ، وإلّا اعذته من كلّ عدوّ ، ونصرته عليه ،ولا يمنعه من دخول الجنّة إلّا الموت .

ثمّ اتبعتها بقول : سبحان الله كلّما سبّح الله شيء وكما يحبّ الله ان يسبح ، وكما هو اهله ، وكما ينبغي لكرم وجهه ، وعزّ جلاله ، والحمد لله كلّما حمد الله شيء ، وكما يحبّ الله ان يحمد ، وكما هو اهله ، وكما ينبغي لكرم وجهه ، وعزّ جلاله ، ولا إله إلّا الله كلّما هلل الله شيء ، وكما يحبّ الله ان يهلّل ، وكما ينبغي لكرم وجهه ، وعزّ جلاله ، والله أكبر كلّما كبّر الله شيء ، وكما يحبّ الله ان يكبّر ، وكما ينبغي لكرم وجهه ، وعزّ جلاله ، سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله إلّا الله ، والله أكبر ، على كلّ نعمة انعم بها عليّ ، وعلى كلّ احد ممّن كان أو يكون إلى يوم القيمة ، اللّهمّ انّي اسألك ان تصلّي على محمّد وآل محمّد ، واسألك خير ما ارجو ، وخير مالاارجو، واعوذ بك من شرّ مااحذر ومن شرّ مالااحذر .

واتبعته بقرائة سورة التّوحيد ، ثلث مرّات ، هدية إلى صاحب الزّمان عليه السلام .

واتبعتها بقول اللّهمّ عرّفني نفسك ، فانّك أن لم تعرّفني نفسك لم

---

(١) رواه في الكافي باختلاف كثير .

اعرف رسولك ، اللّهمّ عرّفني رسولك ، فانّك ان لم تعرّفني رسولك لم اعرف حجتّك ، اللّهمّ عرّفني حُجتّك ، فانّك ان لم تعرّفني حجتّك ضللت عن ديني .

وهذا التّفصيل اخترته من جملة ما ورد خصوصاً ، وعموماً لتعقيب الصّلوات الخمس ، و قد وردت في الاخبار لها فضل عظيم ، طوينا تفصيلها للإختصار .

ولكن لصلوة الصّبح زيادة في المرويّ ، والمختار .

وهو دعاء العهد ، وعشر مرات اشهد أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له، الهاً واحداً أحداً فرداً صمداً ، لم يتخّذ صاحبة ولا ولداً .

و عشر مرّات ، اللّهمّ ما اصبحت لي من نعمة او عافية في دين اودنيا، فمنك وحدك لاشريك لك ، لك الحمد ، ولك الشكر بها عليّ يارب حتّى ترضى، وبعد الرّضا .

واثنى عشر مرّات ، سورة التّوحيد ، و سبع مرّات بسم الله الرّحمن الرّحيم ، لاحول ولاقوة إلّا بالله العليّ العظيم ، و ابتده كلّ يوم بين يدى عجلتي و نسياني بسم الله و بالله ، ماشاء الله لاقوّة إلّا بالله .

و عشر مرّات سبحان الله العظيم و بحمده ، لاحول ولاقوّة إلّا بالله .

وثلث مرّات ، سبحان الله ملاء الميزان ، و منتهى العلم ، ومبلغ الرّضا ، وزنة العرش .

و ثلث مرّات اللّهمّ أنت ربّي لاشريك لك ، اصبحنا واصبح الملك لله سبحان الله و بحمده ، و سبحان الله العظيم ، و استغفر الله الّذي لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم ، ذو الجلال والاكرام ، واسئله ان يصلّى على محمد وآل محمد ،وان يتوب عليّ توبة عبد ذليل خائف فقير ، بائس مسكين مستكين مستجير ،لايملك لنفسه نفعاً ، ولاضرّاً ، ولاموتاً ، ولاحياتاً ولانشوراً .

واستغفر الله الّذي لا إله إلّا هو الرّحمن الرّحيم ، بديع السّموات والارض من جميع جرمي وظلمي ، واسرافي على نفسي واتوب اليه .

و سبعون مرّة ، استغفر الله ربّي ، واتوب اليه .

و عشر مرّات أعوذ بالله السّميع العليم ، من همزات الشّياطين ، و اعوذبك ربّ ان يحضرون ، انّ الله هو السّميع العليم .

و مائة مرة ، لا إله إلّا الله ، وازيد عليها عشراً .

واتبعتها بدعاء الصّباح المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام .

و هذه كلّها في الادعيّة ، والاذكار .

و أفضل منها التّفكّر ، لاسيّما بعد صلوة الصّبح ، والمغرب ، وهو على وجوه .

منها الفكر في محاسبة النّفس ، فيما سبق من تقصيراته ، و ترتيب وظايف يومه الحاضر ، والتدّبير لدفع الصّوارف ، والعوايق الشّاغلة عن الخير ، واحضار النيّات الصّالحة في أعمال يومه ، في نفسه ، و معاملته للمسلمين ، و التّفكّر في نعم الله ، وآلائه الظاهرة ، والباطنة ، لتزيد معرفته بها ، و شكره عليها وفي عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الله ، وخوفه من التّعرّض لموجباتها ، و الفكر في الموت على التّفصيل الّذي اشير إليه في محلّه ، اومعرفة النّفس ، و اسرار الكون ، و في صفات الله و اسمائه ، ان كان من اهل هذا التّفكّر ، و انّ التّفكّر في هذه الأمور له شعب كثيرة ، و لكلّ أهل مخصوص به .

وفي الخبر تفكّر ساعة خير من عبادة سنة .

وفيه خير من عبادة سبعين سنة ، و لعل اختلاف المثوبة من جهة اختلاف انواعه ، والسّرّ في كونه خيراً من العبادة بالاعمال ، انّ فيه معنى الذّكر ، و

حقيقتهمع زيادة أمرين اعظمين و هما زيادة المعرفة و المحبّة اذالفكر مفتاح المعرفة وهو سبب انكشاف المعروف و شهوده ، وهوموجب للمحبّة إذلايحبّ القلب إلّا من يعتقد بجماله و جلاله ، وخيره ، ولايمكن ذلك الابمعرفة صفاته الجميله و الجليلة ، و مفتاحها الفكر ، والذّكر أيضا يورث المحبّة ، ولكن فرق مابين الحبّين فرق الخبر والعيان فانّ الفكرمفتاح الكشف والشّهود ، ولايتأتي من الذّكر ذلك ، وان كان يورث حبّ الانس بكثرة الذكر و من المهمات بعدالتعقيب ، سجدةالشكرلتوفيق اداء الصّلوة ، وورد فيها من الفضل العظيم مامضى .

و من المهمّات أيضاً النّوافل ، وبهايتمّ مانقص في الفرض من الاقبال، وقد ورد فيها تأكيد شديد ، وينبغي ان لايتركها ، ولوكان باقلّ مايصحّ من الاجزاء و لوكان في حال المشي إلى الحوائج ، ووقت نوافل الظّهرين تمام اليوم على الاقوى .

و بالجملةورد الحثّ الاكيد للنوافل حتّى عبرّ في بعضهاعن تركها بالمعصية ، وفي بعضهاعدّ فعلها من علائم الشّيعة ، وللعبدالمراقب لمراسم العبوديّة في حقّ النّوافل جدّ عظيم ، لسرّ لطيف ، وهوانّ اداء الحقوق الواجبة من جهة انّ في تركها عقاباً كانّه طاعة اجبارية ، و اداء النّوافل كانّه طاعة اختياريّة ، وهي في نظر المراقب اهمّ من هذه الجهة بل المواظبة ، والاهتمام على النّوافل يكشف عن كمال نيّةالعبد في الواجبات أيضاً ، فكانّ المواظب على النّوافل ليشهدحاله بانّه انّماقصدباداء الواجبات امتثال الامر ، ووجه الرّبّ تعالى ، ولم يفعلها بمجرّد خوف العقوبة .

و من النّوافل المؤكدّة ، صلوة اللّيل ، ومَاادريك ماصلوة اللّيل ، و هي نورمن الظلمة ، و انس من الوحشة ، وخلوة من الكثرة .

وعن الصّادق ﷺ انّهامرضات للرّبّ ، وحبّ الملائكة ، و سنّة الانبياء ، ونورالمعرفة ، واصل الايمان ، وراحة الابدان ، و كراهةالشّيطان،و سلاح على الاعداء واجابة الدّعاء وقبول الاعمال ، وبركة فيالرّزق ، وشفيع بين صاحبها و بين ملك الموت ، وسراج في قبره ، وفراش تحت جنبه ، وجواب على منكرونكير، ومونس وزاير في قبره إلىيوم القيمه ، وإذاكان يوم القيامة كان ظلافوقه ، و تاجاً على رأسه ، ولباساً على بدنه ، ونوراً يسعى بين يديه . وستراً بينه وبين النّار ، وحجّة بينه وبين الله تعالى ، وثقلا فيالميزان ، وجوازاً علىالصّراط ، ومفتاحاً الجنّة .

وفي رواية انّ الله تعالى اوحي إلىبعض الصّدّيقين ، انّ لي عباداًمن عبادى يحبوّني ، فاحبّهم ، و يشتاقون اليّ فاشتاق إليهم ، ويذكروني و أذكرهم ، وينظرون اليّ ، وأنظرإليهم ، فان حذوت طريقتهم احببتك ، وان عدلت عنهم مقتّك ، قال : يارب وماعلامتهم ؟ قال : يراعون الظّلال بالنّهار، كمايراعى الراعي الشّفيق غنمه ، ويحنّون إلىغروب الشّمس ، كمايحنّ الطّير إلىوكره عند الغروب فاذا جنّهم اللّيل ، واختلط الظّلام ، وفرشت الفرش ، ونصبت الاسرّة وخلىّ كلّ حبيب مع حبيبه ، نصبوا إلىّ اقدامهم ، و فرشوا وجوههم : وناجوني بكلامي ، و تملّقوا إليّ بانعامي ، فبين صارخ وباك ، ومتأوّه وشاك ، وبين قائم وقاعد ،وراكع و ساجد ، بعيني ما يتحمّلون من اجلي ، وبسمعي ما يشتكون من حبّي ، اول مااعطيهم ثلاث اقذف من نوري فيقلوبهم ، فيخبرون عنّي ، كماأخبرعنهم ، والثّانية لوكانت السّموات والارضون و مافيها فيموازينهم لاستقللتهالهم .

والثّالثة أقبل بوجهي اليهم ، افيرى من اقبلت بوجهي عليه ، يعلم احد ما اريدان اعطيه .

و فيها ان البيوت الّتي يصلّي فيها باللّيل ، ويتلى فيها القرآن، تضيء لأهل السّماء ، كماتضيء الكواكب لأهل الأرض .

و قال رسول الله ﷺ في وصيّته لأمير المؤمنين عليه السلام : وعليك بصلوة اللّيل ، وعليك بصلوة اللّيل ، و عليك بصلوة اللّيل .

وقال : الامرون إلى المصلّين باللّيل ، فانّهم احسن النّاس وجوهاً ، لانهم صلّوا باللّيل للّه سبحانه ، فكساهم من نوره .

أقول الأخبار في فضيلتها متواترة ، سوى ما نزل فيها من الآيات.

ولو لم يكن منها إلّا قوله تعالى : و من اللّيل فتهجّد به نافلة لك ، عسى ربّك ان يبعثك مقاماً محموداً ، لكفى ، فسبحان الله مااعظم شأنها واجلّ خطرها ، حيث جعل جزائها المقام المحمود ، واناأكتفي من ذكر أخبار فضيلتها بهذه الجملة ، و من اراد التّفصيل فليراجع إلى مافصّلتها .

في كتاب السّير إلى الله .

وأشير ممّا ورد في خزى من استخفّ بها وتركها، إلى ما رواه في البلد الأمين من قول الصّادق عليه السلام : ليس من شيعتنا من لم يصلّ صلوة اللّيل ، و إلى ماورد عنه عليه السلام قوله عليه السلام : ابغض الخلق إلى الله جيفة باللّيل ، وبطّال بالنّهار .

و ما ورد عن النّبي ﷺ قال : و ما نام احدا اللّيل كلّه الا بال الشّيطان في اذنه ، وجاء يوم القيمة مفلساً ، ومامن احد الاّ وله ملك يوقظه من نومه كلّ ليل مرّتين ، يقول : ياعبدالله اقعد لتذكّر ربّك ، ففى الثّالثة ان لم يتنبّه يبول الشّيطان في إذنه

أقول لاتكن كافراً بهذه الأخبار و امن بها وانّي اشهد الله.

انّي أعرف من المتهجّدين من كان يسمع من يوقظه ، و يناديه وقت

تهجده في اوائل أمره ، بلفظة آقا .

فيقوم لورده .

و ان كان لك قلب ربما استشعرت بساير ماورد في اثراتها ، وبالجملة ان كنت مؤمناً بهذه الفضايل لصلوة اللّيل ، لاتتركها ، ولاتضيّعها قطعاًفانّ الانسان لحبّ الخيرلشديد ، أما سمعت قوله في الحديث القدسي : ويحنّون إلى غروب الشّمس ، كما يحنّ الطّير إلى وكره وقت الغروب ، فانّ من آمن بصلوة اللّيل ببعض هذه الفضايل ، كيف لايحنّ إلى مجيىء وقتها ، اليس هذا الانسان من يبذل في التّقرّب إلى سلاطين الدّنيا ، و اشرافها ، والخلوة معهم ، ماله وأهله ، بل يتنافس في ذلك ببذل روحه ، و حيوته .

والله تعالى يقول : والمؤمنون اشدّ حبّاً لله ، ولاتصغ الى من يعتذر عن تركها بغلبة النّوم ، و عدم الانتباه ، لانّ هذا العذر مردود بوجوه .

منها قول أميرالمؤمنين عليه السلام لمن قال له : إنّي نمت البارحة من وردي، قال عليه السلام : أنت رجل قيدّتك ذنوبك .

ومنها انّ النّوم عن مثل هذا الامر العظيم غير ممكن ، غالباً الاترى هذا الخلق الطّالبين إلى الدّنيا ، لودعى احدهم سلطان زمانه الى خلوته في جوف اللّيل ، لاينام عن وقت دعوته ، بل لاينام في اوّل الوقت ايضاً ، ويشتغل بفكر مجلسه ، وصحبته مع السّلطان ، و انت إذا تأمّلت في أحوال نفسك ، تقطع بانّك إذا استيقنت بأنّه يأتيك في جوف اللّيل من يعطيك بالف تومان ، لاتقدر ان تنام من شوقك إلى هذا المال ، و من خوف فوته بنومك .

ومنها انّك قادر لامحالة على أن تنام عنده من يوقظك ، إلى ان تعتاد ذلك، فلست بمعذور ، وبالجملة النّوم عن مثل هذا الخير خزى ، لايقاس به خزى في الدّنيا أبداً .

والنّائمون عن صلوة اللّيل طوايف : طايفة منهم يشتغلون اوّل اللّيل إلى قريب الانتصاف في مجالسهم ، باالخوض فيما لايعني ، بل الخوض فيما ينهى عنه ، بل الخوص باغتياب المسلمين ، وبل وبل ، ويأكلون ، ويشربون حتى إذابلغت الحلقوم ، ثمّ ينامون في انعم فراش ، واروح مكان ، وهذاالنّائم لابدّان ينام من صلوة اللّيل ، لانّه من أوّل اللّيل انّما هيّأ اسباب النّوم باختياره ، بل يمكن ان يقال انّه لم ينم بعزم الانتباه ، بل ولا برجائه ، لأنّ زيادة الاكل والشّرب ، يسيرسبباًلبخارالمعدة ، وسكر الدّماغ ، وذلك موجب لكثرةالنّوم ، والاستيقاظ في أوّل اللّيل من أسباب النّوم في آخره ، وهكذا معصية أوّل اللّيل من أسباب النّوم في آخره ، وهكذا الفراش النّاعم والمكان المروّح ، يورث زيادة النّوم ، و ثقل الانتباه ، ومثل هذا الشّخص إذا اعتذر بعدم الانتباه ، فعذره مردود .

مثله من شرب دواء يزيل عقله في وقت الصّلوة ثمّ أعتذر بأنّي لم اعقل وقت الصّلوة .

نعم قد ينام من تهيّأ للانتباه بالتّخلّي من هذه الاسباب ، بل بالتّوسّل بما ورد في الأخبار في الاستيقاظ ، والانتباه لطفاً من الله اللّطيف عليه في سياسته أمر عبوديّته ، حفظاً له من العجب ، أوتعريضاً له بزيادة الاجر من كثرةاسف فوت التّهجّد ، و قضاء لمافات عنه وزيادة ، ولكن الّذي يستفاد من الاخبار ، انّ ذلك لايكون إلّا قليلاً ، ليلة اوليلتين .

أمّا من نام عنها لمرض ، اولعذر سماويّ ، فهو أيضاً على وجهين :

أحدهما : من جهة اللّطف الالهي كمامرّ ، فابتلاه بالمرض ، اوغيره من الاعذار ، ونومه بهذاالحال ، والابتلاء أفضل عنده من صلاته و تهجّده .

وقد ورد في الاخبار انّ لمثل هذا العبد ، يكتب مثل الّذي كان يعمل

سابقاً قبل إبتلائه بل ، وفي بعضها ان ّ محرابه ومصلاّه ، وأبواب السّماء الّتي كان يرفع منها عمله ، إنّما تبكى عليه .

و ثانيهما : من باب الخزى ، والنّكال بسبب كثرة ذنوبه الّتي صارت سبباً لسلب توفيقه .

ثمّ انّ من النّاس من اتاه الخبيث من جهة اليمين ، فغرّه بترك التهجّد بتخيّل إن إشتغاله بالمطالعة في العلوم أفضل ، وربّما اشتغل من اوّل اللّيل إلى آخره ، ونام عن فريضة الصّبح متخيّلا إنّ مطالعته أفضل من صلوته ، والأغلب في ذلك الاغترار .

لانّ تحصيل العلوم ، وإن كان أفضل بمراتب من العبادات البدنيّة ،و لكن له شروط .

منها كونها من العلوم النّافعة .

ومنها كون التّحصيل على التّرتيب الشّرعي ، ولايكون على خلافه كتحصيل العلم الّذي وجوبه كفائيّ ، وترك الّذي وجوبه عيني .

مثلا إذا امكن للانسان العلم بالمسائل بطريق التّقليد ، والعلم بتزكية النّفس ايضاً بطريق التّقليد ، اوالاجتهاد ، ترك علم تزكية النّفس رأساً ، و أشتغل بتحصيل المسائل بطريق الاجتهاد ، فانّ ذلك غير جايز ، وهكذا إذا فرغ من تحصيل العلوم اللاّزمة عيناً ، واراد الاشتغال بالعلوم الواجبة كفاية، فليكن مايشتغل به من ذلك اهمّها ، فان اشتغل بغير الاهمّ ، وترك الاهمّ ، لاسيّما إذا كان ذلك الاختيار من جهة الميل النّفساني ، لايكون ذلك عبادة لله، و ايضاً قد يشتغل الانسان بعد ملاحظة هذه الوجوه في الاهمّ ، وليكن اكثر إشتغاله من مقدّمات هذا الاهم في غير الاهم منها ، بل في غير اللاّزم ممّا يعد عند العامّة من الفضايل .

و منها كون تحصيلها قربة إلى الله ، وهذا من أشكل الشّرايط ، و أغمضها ، فيها هلك من هلك ، وبالجملة كون تحصيل العلوم مرضياً لله ، وعبادة خالصة لله لايوجد في الخارج الا نادراً ، و ظنّي انّه لايوجد في مائة الف واحد، وكان بعض اخواني المحصّلين من الاتقياء ، يقول : انا بعدما امكنني ان اشرك الله جلّ جلاله في تحصيلي العلوم ، فضلا عن ان يكون خالصاً لوجهه الكريم، ولعمرى انّ هذا حال اغلب المتّقين من المحصّلين ، وان لم يشعروا به ، و كيف لغير المتّقين الّذين لهم في تحصيل العلوم اغراض فاسدة ، من التمكّن و الاستيلاء بالعلوم على الحكم في الاموال ، والاعراض ، والنّفوس بالاهواء ، و العياذ بالله ، واللّجاء إليه من هذه المهالك ؛ ثم الاغترار ، وخيال انّ هذا التحصيل أفضل من التهجّد ، وصلوة اللّيل ، كيف و المتّقون إنّما يعالجون تصحيح نيّاتهم في تحصيل علومهم بصلوة اللّيل ، و التهجّد ، و التّضرّع في جوف اللّيل ، ولعمري انّ هذا الطّريق في تصحيح النيّات الواجبة العينيّة اسدّ الطّرق ، وانّه العروة الوثقى الّتي لا انفصام لها .

وحكى لي شيخي وسنادى في العلوم الحقّة ، انّه ما وصل احد من طلّاب الآخرة إلى شيء من المقامات الدّينيّة ، إلّا من المتهجّدين و ظنّي انّي بعد ماسمعته منه ، وجدته في رواية ايضا ، هذا و ما رويناه عن الصّادق عليه السلام من قوله عليه السلام ، ليس من شيعتنا بل وفي غير هذه الرّواية ، ليس منّا من لم يصل بصلوة اللّيل ، كاف في دفع هذه الوسوسة ، ولقد اجاد شيخنا العلّامة الانصاري (ره) في جواب من سئله عن ترجيح المطالعة ، و صلوة اللّيل ، قال في جوابه : يا هذا هل تشرب القرشه ؟ قال : نعم قال : صل صلوة اللّيل مكان قرشتين ، هذا جواب متين فيه تعريض على فساد هذا التّخيّل ، و انّه من الغرور بوجه مليح ، فكانّه قال : انّك إذا كنت بهذا المثابة من المراقبة في

الأحوال ، والاخلاص في الاعمال ، حتى استشكل عليك الامر في صلوة اللّيل من جهة انها مرجوحة بالنسبة إلى المطالعة ، وتحصيل العلوم ، كيف خفي عليك انك تشتغل بشرب القرشة إلّتي أختلفت الاقوال في انه حرام ، اومكروه ، او مباح ، كيف لاحظت المعارضة بين المندوبين من جهة ضيق الوقت عنهما معا وانت مشتغل بما هو حرام ، اومكروه ، اومباح، فيالله من هذا الخطب الفظيع، ان يدلس الخبيث على العلماء ، ان اشتغاله بمطالعة هذه العلوم المعلومة المرسومة ، الّتي اغلبها لايمكن تصحيح قصد لها شرعي بوجه من الوجوه الصّحيحة، أفضل من الاستغفار في الاسحار ، والخلوة مع العزيز الغفّار ، كيف و العلم الّذي لايبعث الانسان على التهجّد ، هو علم لانور فيه ، ولاثمرة له ، ولاخير، والعلم على ما قاله الصّادق عليه السلام ، ملازم مع الخشية ، وصاحب الخشية لا يمكنه ترك التهجّد ويفزع إليها من خشيته .

و ايضا المؤمن انما يرى صلوة اللّيل ازيداثرا في تحصيل العلم من المطالعة وقدكان شيخنا (ره) اوصى لنا ان نلتجاء إلى الله ، وتتضرّع إليه عند تحيّرنا في المطالب العلمية ، وقدجرّبنا ذلك والسّر في كون التهجّد ، والدّعاء من أسباب تحصيل العلم ، انّ العلم كما صرّح به في بعض الروايات ، ليس بكثرة التعلّم ، بل نور يقذفه الله في قلب من يشاء ، والتّهجّد انّما ينوّر القلب، ويثبت النّور في قلب المؤمن، وهكذا المناجات في اللّيل، كماروى عن الصّادق عليه السلام انه إذا تخلّى العبد بسيّده في جوف اللّيل المظلم، وناجاه اثبت الله النّور في قلبه فاذا قال يارب يارب ناداه الجليل جلّ جلاله : لبّيك عبدي سلني اعطك وتوكّل عليّ الى آخر الحديث، و كيف كان من كان له تتبّع ما في أخبار أهل البيت عليهم السلام، وأحوال السّلف من مشايخنا العظام (ره) لايشكّ في انّ صلوة اللّيل ليس مانعا لتحصيل العلم ، بل من أسبابه القريبة القويّة ، و كثير أماعرفنا من المحصّلين،

من كان من المتهجّدين ، و صار ذلك سبباً لاستقامة فهمه ، وجودة ذهنه في الوصول إلى المطالب الحقّة في المسائل العلميّة ، وارتقى إلى المراتب العالية من العلم ، بخلاف الطّالبين منهم المجدّين في مطالعة الكتب العلميّة ، و قلّما خرج منهم صاحب ملكة مستقيمة ، نعم ربّما يوجد فيهم ايضاً مدقّق مشكّك، ولكن لايكون محقّقاً ، ولايكون في علمه بركة كاملة ، بل يقلّ خيره ونوره ، ولا يوفّق لفوايد العلم هذا .

وقد خرجنا في هذا المقام عمّا أردنا من الايجاز لعقدة كان في قلبي من قديم الايّام ، عفى الله عن القول بالاهواء ، و عن طغيان القلم .

ثمّ انّ المؤمن لا بدّ ان يكون في أوّل يومه و اوّل ليله في فكر تهجّده ، وتهيئة أسبابه بالنّوم في النّهار ، واوّل اللّيل ، وتهيّأ اسبابه من المكان المناسب ، و كتب الدّعوات ، وماء الوضوء والسّواك ، والسّراج وقرائة آية قل انّما انا بشر ـ اه .

أقول : هذا من المجرّبات عند المتهجّدين ، وورد ايضاً عن النبيّ ﷺ من اراد قيام اللّيل ، و اعدّ مضجعه فليقل اللّهمّ لا تؤمنّي مكرك ،ولاتنسني ذكرك ، ولا تجعلني من الغافلين ، اقوم ساعة كذا و كذا فانّه يوكّل الله به ملكاً ينبّهه في تلك السّاعة .

و بالجملة من جهة انّ الحال في اوّل اللّيل ، مؤثّرة في توفيق آخر اللّيل ، لابدّ لطالب التهجّد الجدّ في القيام على وظايف آداب النّوم على مرضات الرّبّ تعالى ، ليوفّقه على مرضاته في آداب القيام و التهجّد ، ومن الوظايف المهمّة ان يحاسب نفسه عند نومه من أوّل قيامه في اللّيلة الماضية ، إلى حاله الحاضر محاسبة كاملة ، كما قرّر في محلّه ، ثم ليعلم انّ النّوم اخ الموت ، و انّ عند النّوم يقبض الله روحه ، ويتوفّاه كما يتوّ في روح الميّت،

ويذكر بل و يقرء قوله تعالى : «الله يتوفي الانفس حين موتها ، و الّتي لم تمت في منامها» فيأخذ عند النّوم عدّة الموت الصّغير ، ويعلم انّه ان لم يعد الله روحه إلى بدنه ، فهو ميّت لايقوم أبداً ، و ان اعاده فبفضل جديد ، فيقول عن قلبه ولسانه : ربّ ارجعون لعلّي اعمل صالحا ، ويتذكّر إنّ النّائمين كلّهم يقولون ذلك ، بلسان حالهم و كثيراً منهم يردّ عليه ، بقوله تعالى: كلا انّها كلمة هو قائلها ، و من ورائه برزخ إلى يوم يبعثون ، وينام على طهارة وذكر ، ويعمل باهمّ ماورد في هذا الحال ، من الادعية والاذكار مسلّماً روحه ، ونفسه و قلبه و قالبه ، واموره كلّها لله ، ويقول بلسان حاله «روح إلى الله .

و أمّا الوظايف المرويّة .

فمنها التّسمية في اوّل الدّخول إلى الفراش ، و قرائة آية آمن الرّسول ـ اه ، عن ظهر القلب ، ملتفتاً إلى مافيها من الاشارة إلى تفضّلاته جلّت الأوه إلى هذه الامّة بشفاعة رسول الله ﷺ ، و متشكّراً بقلبه نعمة ربّه و شفاعة نبيّه ﷺ .

ثمّ تسبيح الزّهرا ﷺ ، ثمّ قرائة الفاتحة ، وقرائة سورة التّوحيد ثلث مرّات ، اواحد عشر مرّة ، و يقول : يفعل الله مايشاء بقدرته ، ويحكم مايريد بعزّته ثلاث مرّات ، ثمّ يقرء آية الكرسى ، و آية شهد الله ، ثمّ يستغفر بما ورد ، ثمّ يقرء التّسبيحات الاربع ، ثمّ يصلّى على النبيّ ﷺ و آله ﷺ ، وعلى الانبياء الماضين صلوات الله عليهم اجمعين .

وقد ورد لذالك كلّه فضايل لاتحصى ، وينام على طرفه الايمن مستقبل القبلة ، كماينام الميّت في قبره ، و يذكرالله بعد ذلك ، ويتوجّه إليه حتّى يغلب عليه النّوم في حال الذّكر ، وإذانام هكذا فهو في عبادة ، بل روحه عندالله ، وفي كنفه ، وظلّ عطوفته ، بل هذا النّوم اعلى و اشمخ من يقظة

الغافلين ، وإذانام هكذا يرجي ان يمنّ عليه جلّ جلاله ببعض الكرامات و البشارات الخاصّة بالرّؤيا ، وغيرها كماورد في الآية الشريفة « ولهم البشرى في الحيوة الدّنيا ، وفي الآخرة » و فسّرت في الاخبار بالرّؤيا الصّالحة ، و اشهد بالله انّي اعرف من زار بعض الائمّة عليهم السلام في الرّؤيا ، وسئله عن بعض المعارف الجليلة ، والاسرار الخفيّة ، واجيب بماقرّت به عينه ، و من انكشف له في الرّؤيا عن حقيقة نفسه . ورأى كانّه قد تلاشت العوالم ، و طلع مكانها روحه و نفسه ، ورأى كانّ نفسه متّحدة بحقيقة ملك الموت ، وانتبه من نومته ، وهوعلى هذا الحال ، ورأى بعد الانتباه أنّ روحه كانّها تجذب بدنها اليها ، وهاله ذلك ، ونادى ضجيعته : يا فلانة يافلانة حتّى ذهب عنه هذا الحال ، و هذا الحال هو عبارة عن معرفة النّفس الّتي هي طريقة إلى معرفة الرّبّ كما في الاخبار المستفيضة ، وغير ذلك من امثاله ، و بالجملة يمكن للمجاهد ان يكتسب في نومه مالا يكتسب في اليقظة من العوالم الرّوحانيّة ، ثمّ انّه إذا نام على ذلك فله ان يتذكر كلّما انتبه قبل وقت قيامه ، بما ورد و غيره و يقول عند تقلّبه على فراشه : ، التسبيحات الاربع اوالثّلاث باسقاط اوّلها

وعن الباقر عليه السلام في قوله تعالى : وقليلا من اللّيل مايهجعون ، قال: كان القوم ينامون ، ولكن كلّما انقلب احدهم ، قال : الحمد لله ، ولا اله إلّا الله ، والله اكبر ، وإذا استيقظ للقيام ، فله ان يتذكّر بذلك فضل الله عليه بحيوة جديدة ، ويخرّ قبل ان يجلس ساجداً ، ويقول في سجوده : بعض ما ورد ، وايسرها ان يقول : الحمد لله الّذي ردّ عليّ روحي لاعبده واشكره او يقوله : قبل السّجدة بمجرّد الانتباه على فراشه ، ثمّ يسجد ، ويقرء فيه قوله تعالى : الحمد لله الّذي بعثني من مرقدي هذا ، ولو شاء لجعله ساكناً الى يوم القيمه ، الحمد لله الّذي جعل اللّيل والنّهار خلفة لمن أراد أن يذّكر،

او اراد شكوراً ، الحمد لله الّذي جعل اللّيل لباسا ، والنّوم سباتاً ، وجعل اللّيل والنّهار نشوراً ، لااله إلّا انت سبحانك انّي كنت من الظّالمين ، الحمد لله الّذي لايخبوء منه النّجوم ، ولاتكنّ منه السّتور ، ولا يخفى عليه ما في الصّدور ، ثمّ يجلس من السّجدة ، ويقول : حسبى الربّ من العباد ، حسبي الّذي هو حسبي منذ كنت حسبي ، حسبي الله ونعم الوكيل ، واذا التفت العبد على نعمة هذه الحيوة الجديدة ، وحمدالله عليها ، فليغتنم الفرصة ، ويكون جدّه ورجائه في ان يحصّل في حياته هذه حياتاً باقية ، لاموت بعدها ابداً ، وليعلم انّ حياته هذه بمنزلة رأس مال اعطاه الله تعالى ليتّجر به ، وان امكنه ان ينتفع به انفس الامتعة ، فعليه ان لايتسامح في ذلك ، وليعلم ايضاً انّه ليس في الوجود ولا في الوهم موجود انفع وانفس ، واكمل وابهى واشرف واجود من الله ، ولا نظيره ، بل ولانفع ولانفاسة ، ولاجمال ولابهاء ، ولاشرف ، ولاجود ، بل ولاوجود إلّا في الله ومن الله ، و بالله ، فاذاً لايليق للمطلوبيّة بالّذات عند العاقل إلّا الله ، و كلّ مطلوب سواه مطلوبيّته منه ، سواء في الدّنيا ، اوفي الاخرة ، ولاشرف ولا كمال ولا لذّة إلّا منه وبه ، والذّ الاشياء ، وابهجها قربه ، و معرفته ، واذا لايهتّم العاقل إلّالطلبه ، ويترك غيره ، و يصرف همّه ، و همّته عن جميع الاشياء اليه ، ثمّ الى مرضاته ، قل الله ثمّ ذرهم ، وبالجملة يجعل همّه الاهم ، بل جميع همّه في الله ، ولايصرف عمره في طلب شيء غيره من المشتهيات النّفسانيّة وامور المداثر ، امّا الاولى ، فلانّ الاشتغال بها من جهة كدرها ، وعدم بقائها ومضادّتها باللّذات الرّوحانيّة الواقعيّة خسران عظيم ، وامّا الثانية فلانّ همّها ، والشّغل بها مع ما فيه من هلاك القلب ، وتفرّق الحواس ، ومضادّته بالذّكر ، والفكر قذى في عين العبوديّة ، ونقيض للتوكّل ، لافايدة فيه ، لانّ

المقدّر كائن ، والهمّ فضول وخسران ، وإذا عرف الانسان ذلك معرفةشخصيّة حقيقية ، وصار وجدانيـاً له كما عرف اهل الدّنيا لذائها ، يكون قلبه وروحه وسرّه كلّها مستغرقة في محبةالله ، ويسرى ذلكعلى اعضائه وجوارحه ، ويكون جميع ماسواه عنده احقر ، وادون ممّا يطئه برجله ، بل قد يكون مستغرق الهمّ ، والقلب في حضرتهحتّى يتعطّل قلبه عن ذكر ماسواه ، وعن الالتفات الى غيره ، وعقله عن التدّبير في اموره ، ويحصل له شبه الهيمان كما روى ذلك في بعض حالات اميرالمؤمنين عليه السلام ، واشيراليه فيحديث المعراج بقوله: واستغرقنّ عقله بمعرفتي ، ثم لاقومنّ له مقام عقله .

وبالجملة مفتاح خير الخير ، واسعد السّعد ، معرفة الله ، ومحبّة الله ، والذّ اللّذات ، وابهج البهجات في الانس بالله .

هذا و قد خرجنا من وظيفة الكتاب بذكرهذه الجملة ، فلنعد على وظيفتنا .

ونقول : قد ورد في تفصيل كيفيّة صلوة اللّيل ، و التهجّد عن ائمّة الدّين ، آداب ووظائف مفصّلة ، و ادعيّة و مناجات عالية المضامين مناسبة لشئون الاحوال الحاضرة ، ملائمة لاحوال جميع السّالكين الى الله ، من ذوى المقامات المختلفة ، فمن ارادها فليراجع الى كتاب صلوة البحار .

ولنا في هذا المقام كلمة ، وهي ان يراقب العبد حاله ، ويختار ماينا سبه ويوثر فيه من تلك الوظايف ، وقدكانالسّلف من اهل الله يجدّون في تحصيل الرّقّة ، و ساير الاحوال السّنيّة ببعض الحالات ، من لبس المسوح ، وشدّ الا يدى الى الاعناق ، والتمرّغ في التّراب ، وتقريب انفسهم و اعضاء بدنهم الى النّار ، وحثّ التّراب على رؤسهم ، والدّخول في القبور ، ونداء الاموات

والتكلّم مع انفسهم ، والخطاب لها بعتابات القرآن ، واختيار الدّعوات والمناجات المؤثّرة المحرقة للقلوب ، كلّ ذلك لاستجلاب الاحوال المطلوبة الّتي هي من اهمّ ما يجب مراعاته ، وان يحترز عن مخالفة الحال ، مع ما يناجي به الربّ تعالى ، والكذب في مثل هذا الوقت ، و ذلك الحال ، مثلا اذا قرء بعض مناجات السّيد السجّاد عليه السلام ، وقرء فيه قد ترى يا الهي فيض دمعي من خيفتك ، ووجيب قلبي من خشيتك ، وانتقاض جوارحي من هيبتك ، كلّ ذلك حياء منّي لسوء عملي ، ولذلك خمد صوتي عن الجهر اليك اه .

وعينه جامدة من البكاء ، وقلبه ساكن من الخوف ، وخالٍ من الخشية وعارٍ من الهيبة و جوارحه على ما كان من الاستقامة ، ولم يؤثر الحياء فيه شيئاً ولم يخمد صوته .

اليس هذا كذباً صريحا عن مشافهة وحضور الايخاف العبدان يجيبه الله تعالى يا كاذب ؟ اما تستحيي من هذا الكذب الصّريح ؟ والدّعاوي الباطلة اتتوّهم انّي لا ارى ظاهرك اوخفي عليّ قلبك ، او ترى ان مخالفتي والكذب في حضوري ، يجوز عليك ؟ اما وجدت اهون عليك منّي ؟ اما كنت تستحيي من الناس ان يعلم كذبك عندهم ، وتخالف رضاهم في حضورهم ؟ ولاتحتشم عن مخالفتي والكذب في حضوري في مقام مناجاتي اتستهزئني ولا تهاب مني ، ولاتخاف قهري وبطشي واخذي ؟ او كيف بك اذا ظهر لك اثار قهري ، واخذي الّتي لايقوم لها السّموات السّبع والارض ؟ وهكذا الى غير ذلك من مضامين المناجات والدّعوات الّتي ليس قلب الدّاعي متصفّا بما يصف فيهامن نفسه حتّى : لفظة استغفر الله .

روى عن أمير المؤمنين عليه السلام ، انّه قال لقائل بحضرته استغفر الله : ثكلتك امّك اتدرى ما الاستغفار ؟ انّ الاستغفار درجة العليّين ، وهو اسم واقع

على ستّة معان .

اوّلها النّدم على ما مضى .

والثاني العزم على ترك العود عليه ابدا .

والثالث ان تؤدّى الى المخلوقين حقوقهم حتّى تلقى الله املس ، ليس عليك تبعة .

والرابع ان تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها تؤدّى حقّها .

والخامس ان تعمد إلى اللّحم الذى نبت على السّحت، فتذيب بالاحزان حتّى يلصق الجلد بالعظم ، وينشأ بينهما لحم جديد .

السّادس ان تذيق الجسم الم الطّاعة ، كما اذقته حلاوة المعصية ، فعند ذلك تقول : استغفر الله .

اقول : إذا كان الامر بهذه الدقّة ، فليعالج المناجى دعواته ومناجاته بقصد المعنى الّذى يناسب حاله ، وبالتّجوز ، أو بغيره بما يجوز لـه قوله ، مثلاً إذا اراد في وتره أن يقول : استغفرالله و اتوب إليه ، يقصد من الاستغفار طلب المغفرة ، اى السّتر بالرّحمة ،

ومن التّوبة الرّجوع إلى الله ، اى إلى ذكره وطلب مغفرته من الغفلة ، ولا يقصد معنى التّوبة المطلقة ، ويفعل ذلك في جميع اذكاره ، و دعواته لانّ لكلّ ذكر حقيقة واقعية ، يجب ان يكون قائله على صفته ، مثلا للتّهليل والحمد ، والتّسبيح والتّكبير ، وغير ذلك حقايق يوصف بها قائلها ، مثلا موحدا حامدا ، مسبّحا مكبّرا ، فاذا خالف حقيقة قلب المهلّل التّوحيد المطلق الكامل و ، هكذا لم يكن بقلبه ، وحقيقته حامدا ، ومكبّرا ، ومسبّحا فليقصد عند ذكرها المعنى الخاص الّذي يناسب حاله ، لا مطلقه الّذي لايتّصف به ، و ان كان

لاينطبق حاله وصفته بما يقوله ، إلّا بالتّجوّز مثلا يقصد بتوحيده لله ما يقابل قول المشركين والكافرين ، القائلين بعبادة الاوثان ، و اليزدان و الاهريمن ، لاالتوحيد الّذى يناقض التّوكلّ ، مثلا ، وهكذا يقصد بتكبيره ما يقابل قول القائلين بالجسم ، و القائلين بالتعطيل مثلا ، لا حقيقة التكبير العمليّ الّذى اشيراليه في رواية مصباح الشّريعة ، حتّى ينافيه عدم الالتذاذ بالمناجات ، فانّ حقيقة التكبير انّما ينافي واقعاً مع عدم الالتذاذ بمناجاة الكبير ، لانّ الانسان مجبول في نفسه من الميل و الرّغبة الى الكبراء ، والمعاملة معهم ، و مجالستهم ومناجاتهم وانسهم ، فاذاكان الله في قلبه اكبرمن كلّ شيء ، اوا كبر ممّا يوصف ، فلا بدّان يلتذ بمناجاته ، ويرغب الى ذكره ، والانس به ، و الخلوة معه ، وإذا لم يوجد في قلبه اللذة و الرّغبة ، يكشف ذلك عن عارض عن حقيقة تكبيره في قلبه ، و بالجملة .

قولك : اشهدان لااله الّاالله ليس توحيداً حتّى يشهد له قلبك ، وإذا شهد القلب بالتّوحيد ، لابدّان يترشّح من توحيده على اعمالك وإذا خالف القلب اللسان ، اوالعمل القلب ، لاتعدّ بهذه الشّهادة موّحدا ، بل منافقاً ، و ان اتّصف قلبك ببعض مراتب التّوحيد ووجد في عملك آثاره بقدره ، خرجت بذلك من النّفاق المطلق ، ولكن لاتكون بذلك موّحداً على الاطلاق ، فان ادّعيت ذلك بقصد منك على ذلك ، حين قولك:اشهدان لا اله الّاالله ، لايقبل منك الدّعوى بلاحقيقة ، فتدخل بذلك في بعض مراتب النّفاق فالاولى ان تلتفت عند قولك ، ودعائك ، إلى ماتقصد بها ممّا يناسب حالك ، ولا يكذبك في قصده قلبك وعملك ، ولو بنحومن التّجوّزوالاتساع ، فالاولى للمتهجّدان يكثر فكره في هذه المعارف ، ويحبس نفسه على التّفكّر عن الذّكر ، حتّى يلجاه الحال الى الذّكر والدّعاء ، وهذا يقلّ فيه مخالفة اللّسان مع القلب ،

لا سيما إذا كان عارفاً بمداخل الكذب ، و النّفاق على اقواله وافعاله .

ثم ّان ّ الّذي ذكرنا من استجلاب بعض الافعال ، الاحوال المرغوبة ، من شدّ الايدى إلى الاعناق ، و غيره لابدّ ان يراعى في ذلك أيضاً موافقته مع الحال ، فاذاخالف الحال الصّورة ، وذلك ايضاً من شعب النّفاق، نعم لايجب ان يكون الاقدام على هذه الافعال عند الابتداء بها عن حقيقة كاملة ، لمن يريدان يعالج بها استكمال الحال ، و استجلاب الكمال ، ولكن لابدّ أن يكون واجدة لبعض مراتب الحقيقة ، ومريداً بها كمال الحقيقة ، مثلا إذاقام عن نومته الّتي كانت على ماوصفناها من الوظائف ، و فعل عند انتباهه ما ذكرنا ، و تفكّر فيما ذكرناه ، لابدّ ان تؤثر ذلك في قلبه من الحسرة ، و الخشية ، والمذلّة ما تهيّئه للجلوس على التّراب ، وشدّ يديه إلى عنقه مثلا، حتّى يستجلب بذلك كمال هذه الاحوال، وإلّا فمن كان عند قيامه ايضاً نائماً، بل ميتا عن روح ذكر الله ، ومستهتراً في ذكر الدنيا ، فلا ينبغي له ان يقدم على بعض الافعال النّاشية عن الاحوال السّنيّة ، ولا ينتفع مثل صاحب هذا القلب منها ، بل قد يتضرّر ، و قد يكون مضحكاً ايضا ، والاولى والافضل في ذلك ايضاً أن ينشأ ذلك عن احوال القلب ، بعد كمالها ، وبعد امساك مّا ، حتّى يغلبه الحال في الاقدام عليه ، و لا بأس ان يفعله عن حال مّا ، بقصد استكمال الحال به .

روى في الانوار عن ابي قدامة الشّامي ، حكاية شابّ استشهد في الجهاد ، وفيه انّ الشّابّ اوصي إليه حين اصيب ان يوصل خرجه إلى امّه، فمات وإذا دفنوا جثّته ، رأوها وقدخرجت من القبر ، فاذا بطيور بيض ، وقعوا عند جنازته على الارض ، وأكلوا لحمه، وبقيت عظامه ، فدفنوها ، فاذا جاء ابو قدامة بخرجه إلى امّه ، ليدفع إليها الخرج ، سألته عن خبره ، فاخبرها

بقصّة الطّيور ، فحمدت الله ، ففتحت الخرج ، واخرجت منها مسحاً و غلاّ من حديد ، وقالت كان ابني إذا جنّه اللّيل ، لبس هذا المسح ، و غلّ نفسه بهذا الغلّ ، وناجى مولاه ، ويقول في مناجاته : الهي احشرني من حواصل الطّيور ، فاستجاب الله دعائه .

أقول : إذاكان حال العبد مثل حال هذا الشّاب ، يليق به هذا العمل ، ويؤثر فيه ذلك الاثر ، رزقنا الله مثل هذه الاحوال من فضله و كرمه ، بحقّ المتهجّدين من اوليائه ، واهل خلوته ، وانسه .

وبالجملة عمل العاملين ، سواء كان من الاقوال او الافعال على وجوه ثلاثة:

الاوّل ان يتنشّى القول والفعل ، عن حال وصفة في القلب ، فانّ القلب إذا احترق من الم موت الولد مثلا ، لابدّ و لاحيلة من النّوح و البكاء ، واظهار الاحزان والاشجان ،وذلك كلّها تغلي من قلب الثّكلى ، من غير تعمّل، وهكذا إذا احترق من الم الفراق ، لابدّ من بثّ الشّكوى ، و اظهار الشّوق و العشق ، ويقول لسان حاله :

« چون شب آمد همه را ديده بيارامد و من

كوئى اندر بن مويم سر نشتر ميشد »

و هكذا إذا استشعر تطّلع الحبيب عليه ، و على احواله فلا محالة يظهر التّضرّع ، و الاستكانة و الابتهال ، و الملق بالسّجود على التّراب ، و الخرور على الاذقان ، ونحوها على قدر عظمة المحبوب ، واستشعار الجناية ، و التّقصير و القصور ، من نفس المحبّ ، و في ذلك قيل بالفارسية :

بسيار زبونيها بر خويش روا دارد درويش كه بازارش با محتشمى باشد

فكلّما صدر قول ، او عمل من المتهجّد من صفة القلب ، سواء كان توحيداً او عملا ، او تسبيحا اوتكبيراً او ركوعاً او سجوداً ، او دعوى الشّوق،

او اظهار الانس ، او غير ذلك ، فهو المطلوب الاوّل ، و المقصد الاسنى من التهجّد ، والقيام ، و الصّلوة و العبادات كلّها .

و الثّاني ان يخالف القلب العمل ، مخالفة تامّة كصلوة المنافقين ، و هم كسبالى ، و كدعوى أكثر العامّة مثلا التّوكّل ، و كدعوى الفارغ من جميع مراتب المحبّة الحبّ ، و اظهار الشّوق ، وشكواه من الم الفراق ، فانّ ذلك هو الّذي لا ينتفع به صاحبه ، بل ويتضرّر به .

و الثّالث أن يكون في القلب صفة من هذه المراتب ، ولكن لا على حدّ يبعث من غير تعمل على العمل المخصوص ، من قول وفعل ، وحينئذ ينبغي للعامل ان يعمل العمل قولا ، وفعلا مع قصد مقدار حاله ، وصفة قلبه ، و لو لم يصحّ دعواه إلّا بالتجوّز ، و يستكمل بذلك حاله ، و قلبه ، و يستجلب بالعمل كمال الحال ، و ايّاه ان يقصد من فعله ، و قوله ازيد ممّا في قلبه ، فيكون كاذباً و منافقاً . و يسير سبباً للخذلان و الخسران ، هذا .

فليكن قيام العبد إلى تهجّده عن الشّوق ، فاذاً لا يرضى بالقليل ، و الافضل ان يجعل ذلك مقدار ما بيّنه كتاب الله لنبيّه ﷺ ، وطائفة من المؤمنين الّذين كانوا معه ، وان لم يوفّق بهذا المقدار لاعذار عامّة ، اوخاصّة فلا محالة ان يكون ذلك في الشّتاء ، اربع ساعات اوخمس ساعات ، وفي الصّيف من الثّلاث إلى ساعتين ، وان امكنه ان يقوم عند الانتصاف الّذي هو مخصوص لاهل الخلوة ، حتّى يصلّي اربع ركعات من صلوات اللّيل ، ويدعوا لله تعالى في السّاعة الاولى من النّصف الثّاني ، في مهمّاته ، ثمّ ان غلبه النّوم نام ساعة ، ثمّ يقوم ثانياً إلى اتمام ورده ، فانّ هذه السّاعة ، ساعة مخصوصة لاجابة الدّعاء ، وللخلوة مع الله تعالى .

كما ورد ذلك في خبر [1] ابن اذينه، عن الصادق عليه السلام، قال : ان في اللّيل لسّاعة لا يوافقها عبد مسلم، يصلّي، و يدعو الله فيها الّا استجاب له، قال الرّاوي : قلت له : أصلحك الله، و اية ساعة هي من اللّيل، قال : إذا مضى نصف اللّيل، في السّدس الاوّل، من النّصف الثّاني.

و قد روى النّوم بعد اربع ركعات منها، عن رسول الله في بعض اللّيالي، ثمّ القيام ثانياً، ثمّ انّ من مهمّات أهل المحبّة، اكرام رسول الحبيب.

و لذلك انشأ قدوة أهل المراقبة سيّدنا الاوحد، جزاه الله عن امّة جدّه، جزاء المعلّمين المنبّهين، لجواب منادى الله تعالى في اللّيالي كلاماً لطيفاً جامعاً لمراسم هذا المقام، مناسباً لاداء حقّ المنادى، و النّداء.

وهو قوله : اللّهمّ انّي قد صدقت بربوبيّتك، و بمحمّد خاتم رسالتك، و بهذا المنادى عن جوارك، وإن لم تسمعه اذني، فقد سمعه عقلي المصدّق بالأخبار المتضمّنة لوعودك، فانا أقول : مرحباً بك ايّها الملك الوارد علينا من مالكنا الحكيم الكريم الجواد المحسن إلينا، قد سمعنا بلسان حال عقولنا قولك، عن معدن انجاح مسؤلنا، هل من سائل فاعطيه سؤله، و انا سائل لكلّ ما احتاج إليه ممّا يقتضي دوام اقباله عليّ، و دوام توفيقي للاقبال عليه، و تمام احسانه إليّ، و كمال ادبي بين يديه، و ان يحفظني و يحفظ عليّ كلّ ما احسن به إلي، و سمعنا أيّها الملك قولك، عن مولينا الّذي هو أهل لبلوغ مأمولنا، هل من تائب فأتوب إليه ؟ و انا تائب اختياراً واضطراراً، لانّي عاجز ضعيف عن غضبه، و عقابه، و مضطرّ إلى رضاه و ثوابه، فان صدقت نفسي في التّوبة على التّحقيق، وإلّا فلسان حالي وعقلي تائب إليه،

---

(١) رواه في الكافي.

بكلّ طريق من طرق التوفيق ، وسمعنا قولك أيّها الملك عن سيّدنا و سلطاننا ، الّذي هو أهل لرحمتنا ،وقبولنا : هل من مستغفر ، فاغفر له ؟ و انا مملوكه المستغفر من كلّ ما يكرهه منّي المستجير به في العفو عنّي ، فان صدق قلبي و لساني في الاستغفار ، و إلّا فلسان حال عقلي ، و ما انا عليه من الاضطرار ، والاعسار ، و الانكسار يستغفر عنّي بين يدي جلالته ، وعفوه و رحمته ، و انا ذليل حقير بين يدي عزّته ، ورأفته ، و قد جعلت أيّها الملك ما قد ذكرته من سؤالي ، وتوبتي و استغفاري ، و افتقاري ، وذلّي وانكساري امانة مسلّمة إليك ، تعرّضها من باب الحلم و الرحمة ، و الكرم و الجود ، على من انعم بك علينا ، و بعثك إلينا ، وفتح بين يدينا أبواب التوسّل إليه فيما تعرضه عليه .

و قال : و إن لم تحفظ ما ذكرناه ، ولا تهيّأ لك ان تتلوه فاكتبه في رقعة . و تكون معك تحفظها ، كما تحفظ عزيزك ، و إذا كان في ثلث الاخير من كلّ ليلة ، تخرجها بين يديك ، و تقول : أيّها الملك المنادى عن ارحم الراحمين ، و اكرم الاكرمين ، هذه قصّتي قد سلّمتها إليك ، مالي لسان ولا جنان ، يصلح لكلام اعرضه عليك .

أقول : التّعرض بجواب هذا المنادي ايضاً من فسط هذا السيّد الجليل ره ، و لقد اجاد و اتى بما هو فوق المراد ولكن ظنّي انّه سقط منه بعد قوله و محمّد خاتم رسالتك ذكر التصديق باوصيائه .

فالاولى ان يقال بعده ، و باوصيائه المعصومين الاثنى عشر ، حججك ، وخلفائك ، عليهم افضل صلاتك وسلامك .

ثمّ يعقبه بقوله : و بهذا المنادى ، وأنا أقول : و ان شاء ان يجمع بين

الامرين ، فليقل في ليلة الجمعة من اوّل اللّيل ، و في سائر اللّيالي في اوّل الثّلث الاخير .

اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد ، بأفضل صلواتك ، وصلّ على هذا الملك الكريم الوارد علينا ، يندبنا إلى رحمتك ، و دعاءك ، و مغفرتك ، و قبولك ، و وفّقنا لاجابته على وفق رضاك ، و مره ان يعرض استغفارنا ، ودعائنا ، وتوبتنا إلى حضرت جمالك ، من باب حلمك و كرم عفوك ، وجودك ومنّك ، وعطفك و حنانك . يا حنّان ، يا منان ، يا ارحم الراحمين ، وصلّ على محمّد وآله ، و الحقنا بهم ، و أعطنا افضل ما وعدته لاوليائهم ، صلواتك وسلامك عليهم اجمعين .

ثمّ انّ الّذي يجب بحكم العقل على العبد المراقب ، في وظايف جهات العبوديّة ، في تهجّده خصوصاً ، و غيره من اوراده عموماً ، ان يأتم بائمّة الدّين ، من اهل بيت النبوّة ﷺ ، و يجعل ما روى عنهم في ذلك اسوة لنفسه ، و مثالا بين عينيه ، بل يقيس في ذلك حاله مع احوالهم ، ويستكشف من ذلك حقّ ما يجب عليه من التمكّن ، والتذلّل ، و التّضرّع ، والابتهال ، و انّه إذا ثبت هذه التّضرّعات ، والتّمكّن ، و الاعتراف منهم ، مع كونهم مقرّبين عنده ، ومطيعين له لم يعصوا الله طرفة عين ابداً ، ولم يسهوا عنه لحظة ابداً ، فما يكون حقّنا مع سوء حالنا و ذلّ مقامنا و تورّطنا في سوئة ذنوبنا و اتّصافنا بهذه الاخلاق الرّذيلة مثلا اذا تأمّل في مناجات الائمّة ، لسان ضراعتهم ، واعترافهم مع طهارتهم ، وعصمتهم فليحكم على نفسه من حقّ الضّراعة و الاعتراف ، بما يجب عليه بحكم القياس .

و أنا اذكر ما كان يناجى به الامام السجّاد عليه السلام في السّجدة ، بين

كلّ ركعتين من صلوة اللّيل فليكن عبرة لامثالنا ، فيما يجب من اداء حق جهات العبوديّة ، روى[1] انّه كان يسجد بين كلّ ركعتين سجدتي الشّكر، و يقول فيها ، الهي وعزّتك وجلالك ، وعظمتك ، لو انّي منذ بدعت فطرتي من أوّل الدّهر ، عبدتك دوام خلود ربوبيّتك ، بكلّ شعرة في كلّ طرفة عين ، سرمداً ابداً بحمدالخلايق ، وشكرهم اجمعين ، لكنت مقصّرا في بلوغ اداء شكر خفيّ نعمة من نعمك عليّ ، و لواني كربت معادن حديد الدّنيا بانيابي ، و حرثت ارضها باشفار عيني ، و بكيت من خشيتك مثل بحور السّموات والارضين دماً وصديداً ، لكان ذلك قليلا من كثير ما يجب من حقّك عليّ ، ولو انّك الهي عذّبتني بعد ذلك ، بعذاب الخلايق اجمعين ، و عظّمت للنّار خلقي ، وجسمي ، وملأت طبقات جهنّم منّي حتّى لايكون في النّار معذّب غيري ، ولا يكون بجهنّم حطب سواى ، لكان ذلك بعدلك عليّ ، قليلامن كثير ما استوجبه من عقوبتك .

تأمّل يا أخي في هذه الحال ، ممّن رأى من حقّ شكر الله عليه . مثل ما رآه عليه السلام و ذكره في هذا الدّعاء ، بعدالقسم بعزّة الله و جلاله ، ورأى من استحقاق العقوبة ما ذكره عليه السلام ، كيف يكون حاله في حضور مولاه ، و إذا كان هذا حاله عليه السلام مع طهارته وعبادته ، وزهده في الدّنيا ، و معرفته ، و محبّته على مولاه ، وقربه منه ، فكيف يجب أن يكون حالنا مع ما نحن عليه من هذه الاحوال ؟ فواسوأتاه ، وواحسرتاه على ما فرّطنا في جنب الله ، و قد كنّا من السّاخرين على أنفسنا ، و بالجملة اصل كلّ خسران الجهل ، و الغرور ، والّذي اراه في نفسي ، و في أمثالي من الجاهلين ، انّه لو يبكى ساعة من خوف الله ، وجرى من عينه عشرة مثاقيل من الدّموع ، يجد من

---

(١) رواه شيخنا البهائي في مفتاح الفلاح .

نفسه حالا أوطمأنينة كأنّه ادّى حقّ شكر الله ، و ازيد ، بل اذا انضمّ إليه
احياء ليلة يترا اى من حاله شبه دلال في اعماله ، و دعواته كأنّه يرى حقّاً
لنفسه ، على الله ، وقس يا مغرور هذا الحال من عباداته و زهده ، و مثل ماله
عليه السلام ، وبكى أربعين سنة ، وهو يرى جناياته ، وقصوره في اداء حقّ العبوديّة ،
بحيث لو عذّبه الله بعذاب الخلايق اجمعين ، و ملأ طبقات جهنّم منه ، كان
ذلك قليلا بالنّسبة إلى كثير ما يستوجبه من عقوبة الله ، فسبحان خالق
النّور ، و الحمد لله حمداً ينبغي لكرم وجهه ، و عزّ جلاله في خلق هؤلاء
الانوار السّاطعة من اوليائه ، و منّه بهم ، و بمعرفتهم ، و ولايتهم علينا ،
وصلّى الله عليهم صلوة ينبغي لكرم وجهه ، ونور جماله ، وفيض جوده ، و كماله ،
ونستغفر الله برحمته ، وبشفاعتهم ، ان يغفرلنا عظائم او زار الجهل ، والغرور ،
و اخرجنا بهم من الظّلمات إلى النّور باذنه ، وهدانا إلى الصّراط المستقيم ،
و الحمد لله ربّ العالمين .

ثمّ انّه ينبغي أن يكون همّ الرّجل في تلطيف المراقبة ، و يعالج في
ذلك بكلّ ما يقدر عليه من الضّراعة ، و الابتهال ، والتّبتّل ، والتّبصبص ،
و البكاء ، و الدّعاء ، ونداء الله باسمائه الجماليّة ، و السّكوت ، و النّظر
إلى السّماء ، و اطراق الرابس ، واحضار النّفس إلى مجلس القود ، و تكراز
القول : بيا الهي ، وسيّدى كيف نظرك الىّ بين سكّان الثّرى ، ام كيف منعك
على في دار الوحشه و البلا ، إلهي يا مولاى ليت شعري ما ذا تقول بدعائي ،
و يكرر ذلك كثيراً ، ثمّ يفرض نفسه حاضراً بين يدى الله تعالى ، و يقول :
مخاطباً عن الحضور اتقول : لا ؟ و يكون التّلفّظ بلفظة لا ، اثقل عليه من
الجبال .

ثمّ يقول : فان قلت : لا ، فياويلى ياويلي ، و ياغوثى ويا غوثى ، ثمّ

يتفكّر في خزى ردّه تعالى في جميع عوالمه ، و آثاره في عقله ؛ وروحه ، وقلبه و بدنه ، ثمّ ينوح على ذلك كلّه واحد بعد واحداً ، ويقول : فياويل عقلي ان حجبه ربّي ، وسيّدي كيف يكون حاله ، اذا اختلس عن مقام النّور ، وشرف الحضور ، وعن درجة التّمكين ، مطاع ثمّ أمين ، و صار عابداً للهوى ، و مطيعاً لخنزير الشّهوة ، و خادماً لكلب الغضب ، و حجب عن مجاورة الاطيبين ، وقرب رب ّ العالمين ، فمسخ عن حقيقته ، فصار شيطاناً مفتناً ، وابليساً مدلّساً ، ثمّ يذكر ما يصل إلى روحه من النّكال من ردّ الملك المتعال ، و يقول : فياويل روحى ، ان منع عن جوار الله ، والتعلّق بعزّ القدس ، وطرد عن مجلس الانس ، وحجب عن العلّيين ، و صار في مهوى دركات السّجّين ، و قرن مع الشّياطين ، ثمّ يذكر قلبه ، و يقول : اياويح قلب من به مثل ما بيا ، اذا منع عن ذكر الرّحمن ، ومحبّة الحنّان المنّان ، ومال إلى الشّيطان و عشق هذه الدّنيا الدّنية و استهتر في حبّها ، و وقع في جبّها ، و اخلد إلى الارض ، فمثله كمثل الكلب ، ان تحمل عليه ، يلهث ، واسودّ من ظلم المعاصى ، و اعتاض من ذكر الله بالتّناسى ، و من العلوم بالوسواس ، فطبع عليه ، و لم يبق له طريق إلى الخلاص ، ثمّ ينوح على اجزاء بدنه واحداً بعد واحد ، ويخاطب رأسه ، و يقول : يا رأسي كيف بك من غضب الرّحمن ، ان عذّبك في الدّنيا ، و مسخك برأس القردة و الخنازير ، اوسوّد وجهك ، وفضحك بين العالمين ، او اعمى بصرك ، او اصمّ سمعك ، او اخرس لسانك ، او شوّه خلقك ، اما رأيت وسمعت ، رؤساً كثيرة من العصاة ، غضب عليهم الرّحمن ، وعذّبهم بذلك ، او بغيرها من المخازي ، او أرسل إليهم نارا فاحرقها في الدّنيا ، و ساقها بعده الى نار الاخرة ، او اخّر اخذك بنا بعد الموت ، ومابعد الموت اخزى وادهى ، فياذا العقل و التّصريف ، والرّأى و التّصريف ، اما تذكر احوال القبر

و البلى ، و الدّود و البلوي ؟ اذ اغنيت في الثّرى ، سيأ كل التّراب لحمك، و يدخل الدّود في انفك ، و يجرى حدقتك على خدّك ، و تبدّل من المنظر النّظيف ، والجمال اللّطيف ، إلى الحطب الكثيف ، فيزيل وجهك في الثّرى، و يغبّر في الغبراء ،فيرهقه قترو ذلّة ، وبؤس و مذلّة ، وكبر ومثلة ، فانظر في مرأت عقلك جمال سورتك ، وتأمّل في قبح منظرك ، وشوهتك ، و خذ من هذه السّوانح موعظتك ، ثمّ اعطف عنان فكرك الى عذاب الاخرة ، و الجحيم وتدبّر في الحميم ، الّذي يصبّ على رأسك ، يصهر به ما في بطونهم والجلود، و لهم مقامع من حديد ، و القى في نار حرّها شديد ، وقعرها بعيد ، وحليتها حديد ، وشرابها الحميم والصّديد .

و بالجملة ينوح على أجزائه واحداً بعد واحد ، ويذكر مايفعل بها ، ان كان من أهل العذاب ، و ان شاء أن يجعل نوحه كلّ ليلة بواحد منها ، و إن شاء يقرء في بعض اللّيالي .

ما رواه الزّهرى من نوح السّجّاد على نفسه ، بالنّثر و الشّعر ، و يجعل ليلة من لياليه أيضا ينوح فيها على حيائه ، فيذكر اوّلا من جميل صنع الله عليه ، وطول اناته ، وحسن طلبه ، و لطفه في دعوته إلى خلوته ، و قربه و مجلس انسه ، ثمّ يذكر معاملته مع هذا الرّبّ الجليل ، ويتأمّل فيما يجب عليه في قبال هذه الكرامات العظيمة ، يندب ، وينوح على مروئته و حيائه ، ووفائه ، ويقول : فواسوأتاه و واخجلاه من افتضاحي ، وقلّة حيائي، هذا ربّي ، و سيّدى ، و منعمي ، ملك الملوك ، جبّار الجبابرة ، أكرم الاكرمين ، هو يدعونى إلى ذكره ، و مجالسته ، والانس معه ، و هو ملك الملوك ، اغنى الاغنياء اله الارض و السّماء ، و أنا استثقل عن قبول هذه الكرامات العظيمة ، وأنا أذلّ الاذلاّء ، فقير من كلّ الجهات ، بل فقر محض،

ولا شيء مفلس مرهون نعمه ، موجود بعنايته ، حيّ بحيوته ، مرزوق بنعمه، مقصّر جان في خدمته ، كيف لولا حلمه عنّي ؟ و قد امهلني ، و شملني بستره ، وأ كرمني بمعرفته ، وهداني السّبيل إلى طاعته ، وسهّل لي المسلك إلى كرامته ، واحضر في سبيل قربته ، و تحبّب إليّ بنعمه ، وارسل لدعوتي إلى مجلس كرامته ، و الاستيناس بمناجاته ، اكرم خلقه عنده واحبّ عباده إليه ، ولم يقنع في اكرامي بنعمة دون اخرى ، و كرامة فوق كرامة ، حتّى اعزّني بارسال ملك في كلّ ليلة إلى دعوتي ، فكان جزائه منّي ، ان كافأته عن الاحسان بالاسائة ، وقبح المعاملة ، حريصاً على ما اسخطه سريعاً إلى ما أبعد عن رضاه ، مستبطاً لمزيده ، مستحظّاً لميسور رزقه ، مستقضياً بجوائزه بعمل الفجّار ، كالمراصد رحمته بعمل الابرار ، اتمنّى عليه العظائم كالمدلّ الآمن من قصاص الجرائم ، فانّا لله و انّا إليه راجعون ، مصيبة عظم رزئها و جلّ عقابها ، فما اقبحني و الأمني ، و افضحني ، و اشنعني ، و ما أقلّ حيائي ، و أعدم وفائي ، حين جاهرته بالكبائر ، مستخفياً عن اصاغر خلقه ، فلاراقبته ، و هو معي ، ولاراعيت حرمة ستره عليّ ، آه واسوء صباحاه ، باىّ وجه القاه ، ام باى لسان اناجيه ؟ وقد نقضت العهود ، والايمان بعدتو كيدها و دعوته حين دعوته ، وأنا مقتحم بالخطايا ، فاجابني و هو غنيّ عنّي ، و سكتّ عنه ، فابتدأني ، ودعاني ، ولم اجب ، و اقبل اليّ ، و اعرضت عنه، فواسوأتاه ، و قبح صنيعاه ، ايّة جرئة تجرءت ، و اى تعزير عزرت بنفسى؟ فيالله من هذه العظائم الفظيعة ، و الاحوال الشّنيعة الفضيحة ، فوعزّتك و جلالك يا سيّدي ومولاى ، ويا ملجيء ومنجاى ،لوكان لي جلد على عذابك ، و قوّة على انتقامك ، ما سالتك العفو عنّي ، بل دعوتك إلى عذابي ، وعقابي سخطاً على نفسي ، ولؤمها ، كيف عصيتك بعد هذه الكرامات الجليلة ، واقبلت

إليها ، واعرضت مدبرة عنك ، بعد هذه الالطاف الجميلة ، و يا سبحان هذا الرّبّ الودود ، و يا سبحان هذا الحلم العظيم ، و يا سبحان هذا اللّطف الالطف ؟! فقد فتح لامثالي من العصاة اللئام ، و الطّغاة الملائيم ، باب التّوبة ، ولم يمنع عن الاوبة ، و وعد للتائب القبول ، وعفى عن السيّئات ، وبدلها باضعافها من الحسنات ، و بالجملة يكون جدّه في اظهار حقيقة جناياته ، و ما يعرفه من كرامات ربّه ، ليكثر حسراته ، وجده و بكائه ، فيؤثر في نزول الرّحمة ، وشمول الكرامة .

ثمّ انّه من اهمّ المهمّات ، ان يتوسل في آخر كل ليلة بخفراء اللّيلة، وحماة الامّة من المعصومين ، و يسلّم عليهم ويسئلهم أن يشفعوا له عند ربّه بالقبول ، وتبديل السيّئات بالحسنات ، ويجعلوه من شيعتهم وحزبهم ودعائهم، و يرغبوا إلى الله في ان يرضى عنه ، ويقبله ويلحقه بهم ، ويجعله من شيعتهم المقرّبين ، و أوليائهم السّابقين .

هذا ، و من مهمّات امر الصّلوة الجماعة ، ووردفيها ، و في التّرغيب عليها ، والزّجر عن تركها ، امر عظيم في اخبار المعصومين ، و هكذا في فضلها ، و عقوبة تركها ، فمن اراد تفصيلها ، فليراجع كتب الاخبار ، و أنا اشير إلى بعض ما ورد فيها ، بعد الاشارة إلى سرّ تشريعها .

فأقول الحكمة العظمى في تشريعها اتّحاد قلوب المؤمنين في أمر الله و لذلك فوائد لا تحصى من قوّة امر الاسلام و غيرها ، وله تأثير في تكميل النّفوس ، وقوّتها في السّير إلى الله ، واستجلاب الفيض الاقدس ، فانّ رحمة الله إذا نزلت لواحد من المجتمعين ، لا سيّما إذا كان اجتماعهم و اتّحادهم لله ، وفي الله ، يعمّ جميعهم ، و إن لم يكن غيره مستحقاً له ، ومثل اجتماع القلوب ، اتّصال المياه القليلة المتعدّدة ، إذاصارت بالاتّصال كرّاً ، لا يقبل

النّجاسة ، و لا ينجسه شيء ، وله سرّ شريف ، و وجه لطيف في علم المعرفة ، و أيضاً صلوة الجماعة كالصّلوة الواحدة ، فاذا فرض كون بعض المصلّين واجداً لبعض شرايط الفضيلة ، والكمال ، و الاخر واجداً للبعض الاخر ، فالكريم يعطي الفاقد أيضاً فضيلة صاحبه الواجد ، و العمدة في حكمة فضيلتها .

الامران الاوّلان ، و إذاً يجب على العبد بحكم المراقبة ، ان يجدّ في تقوية امر اتّحاد القلوب ، مع اخوانه المؤمنين ، و صفائها فكلّما زاد الاتّحاد و الصّفا ، زاد تأثير كلّ واحد منهم من نور صحبه ، و زادت الرّوحانيّة ، فانظر في مبالغة الشّرع في هذا الامر ، وما ورد في مدح المواسين و الموثرين على أنفسهم ، و لو كان بهم خصاصة ، في القرآن و الامر بصلة القاطع ، و وصل الهاجر ، و ان يقول المحقّ لغير المحقّ أنت المحقّ ، وأنا غير المحقّ ، و جعل الكذب في الاصلاح بين الاخوين مستحبّاً ، وندب المؤمنين في امر الصّفا ، بأن لايخفي أحدهم اموره من أخيه الثّقة لانّ في ذلك نوع اختلاف بين القلوب ، ويضادّ كمال الصّفا ، وانظر إلى ما ورد في فضيلة التّحابّ في الله من الامر العظيم ، الّذي يتحيّر العقول ، ويعجبني ان اشير إلى عدّة ممّا ورد فيها :

منها ما رواه في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : انّ المؤمنين إذا التقيا ، فتصافحا ، ادخل الله عزّ وجلّ يده بين أيديهما ، و اقبل بوجهه على أشدّهما حبّاً لصاحبه .

أقول : تأمّل في هذه الرّواية ، فانّ فيها لبلاغاً لانّ المتصافحين قد يكون أحدهما من أهل الفضائل العظيمة ، و الاخر من أهل المعصية ، و إذا فرض انّ هذا العاصي أحبّ المتّقي أكثر من حبّه للعاصي ، و اقبل الله عليه بوجهه ، دون المتّقي كأنّه يكشف ذلك عن كون المحبّة في الله اشدّ تاثيراً

عند الله من جميع الفضايل ، بل يكشف عن كون غيرها بالنّسبة إليها كالعدم، و لعمرى انّ هذا امر عظيم ، لا يقدر قدرها القادرون .

و روي فيه أيضاً في حديث ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : اما بلغك الحديث ، انّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول : انّ لله خلقاً عن يمين العرش ، بين يدى الله ، و عن يمين الله ، وجوههم ابيض من الثّلج ، و اضوء من الشّمس الضّاحية ، يسئل السّائل ما هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء الّذين تحابّوا في جلال الله .

و روي فيه أيضاً عن أبي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله ، المتحابّون في الله ، يوم القيمة على ارض زبرجدة خضراء ، في ظلّ عرشه عن يمينه ، و كلتا يديه يمين . وجوههم أشدّ بياضاً ، و اضوء من الشّمس الطالعة ، يغبطهم بمنزلتهم كلّ ملك مقرّب ، و كلّ نبيّ مرسل ، و يقول النّاس : من هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابّون في الله .

و روي في المستدرك عن مجموعة الشّهيد (قده) ، نقلا من كتاب الانوار لأبي على ، محمّد بن همام ، باسناده إلى معروف بن معروف ، صاحب أبي طفيل الّذي كان صاحب النّبي صلى الله عليه وآله ، وأمير المؤمنين ، عن أبي جعفر عليه السلام عن أبيه ، عن أبيه ، عن أبيه ، قال قال النّبيّ صلى الله عليه وآله : من زار اخاه في الله ، باهي الله به ملائكته ، حتّى إذا لقيه ناداه ملك من السّماء ، طبت و طاب ممشاك ، حتّى إذا حدّثه قال الله للملكين : له عمل سبعين نبيّاً كلّهم مجتهد في طاعتي ، قد اهريق دمه في سبيلي ، حتّى إذا ضاحكه قال الله للملائكة: أشهدكم عبادي ، إنّي اضحكه يوم تبيضّ وجوه ، و تسوّد وجوه ، حتّى اذا آكله قال الله عزّ وجلّ بخزّان جنّته ، وسكّانها من كرائم ملائكته : أشهدكم عبادي ، وخزنتي من خلقي ، وملائكتي ، انّي أكرمه بالنظر إلى نوري ، و جلالي و كبريائي يوم القيامة ، و أشهدكم انّى ممّن ازكّيه ، و اطهّره

و اثيبه ، وارضيه ، واشفعه .

تدبّر في هذه الرّواية ، وهذا الجزاء جدّاً ، وإن قد تمهّد لك ذلك ، فراقب أن يكون قلبك في صلوة الجماعة صافياً مع امامك ، و المأمومين ، لا سيّما مع امامك الّذي ورد فيه : انّه شفيعك ، فانظر من تشفعه ، ولذاقال الشّهيد في شرح النّفليّة في معنى العالم الّذي في رواية من صلّى مع امام عالم : إنّ المراد من العالم من كان عالماً بالله ، وبكتابه و سنّة نبيّه ، و ما يتوقّف عليه من المقدّمات ، وعالماً بكيفيّة تطهير القلب ، وتزكية النّفس ، مع استعمالها ، وقال في آخر كلامه ،و إنّما العلم الموجب للقرب و الجنّة ، هو الاخير ، وذلك لانّ الامام الّذي طهر قلبه ، وزكى نفسه يحبّه لا مُحالة من يعرفه ، وهو أيضاً يحبّ المؤمنين بحبّ الله ، أشدّ من حبّهم له ، فيكون قلبه صافياً مع المؤمنين الّذين ياتمون به وهكذا يكون قلوب المومنين معه في كمال الصفا بل و يكون أصحابه أيضا غالباً من أهل الصّفا ، فيكون اجتماعهم في صلوتهم على مراد الله ، وأمّا من كان اجتماعه في صلوته بمجرّد الصّورة ، وكانت القلوب مخالفة ، بل يكون بينها عداوة ، يريد كلّ واحد شرّ اخيه ، ويحاسده في نعم الله ، لا سيّما إذاكان ذلك بين المأموم والامام ، لا اظنّ أن يكون في هذه الجماعة نور ، و لهذا الاجتماع فضل عند الله ، فالعمدة في العبادات كونها مثاراً لصفات القلوب ، و تأثراتها ، و تنويرها ، و العبادة إذا لم تؤثر في القلب ، لا يثمر إلّا شيئاً قليلاً ملحقاً بالعدم .

روى في الاحتجاج في جملة ما كتبه امامنا ، ارواحنا فداه ، إلى الشيخ الجليل الشيخ المفيد ره ، ولو انّ اشياعنا وفّقهم الله لطاعته ، على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم ، لما تأخّرعنهم اليمن بلقائنا .

و قال عيسى : يا عبيد الدّنيا ، تحلقون رؤسكم وتقصّرون قميصكم ،

و تنكسون رؤسكم ؟ ولا تنزعون الغلّ من قلوبكم.

و روى أيضاً ، انّ من بعض ما وعظ الله تعالى عيسى ، و ان قلّموا اظفاركم عن كسب الحرام ، و اصمّوا اسماعكم من ذكر الخناء و اقبلوا بقلوبكم فانّي لست أريد صوركم .

و بالجملة الاهمّ اجتماع القلوب ، فمن وفّق لصلوة الجماعة مع قوم يكون قلوبهم مجتمعة في الله ، فليرج من كرم الله كلّ ما ورد في فضل الجماعة ، و من كان اجتماعه مع قوم بينهم تباغض وتحاسد ، ويرجوان يجزيه الله هذه المثوبات الّتي وردت في الاخبار لصلوة الجماعة ، فهو مغرور و ليس رجائه رجاء ، بل امنيّة وغرور ،هذا .

و قد ورد في تفضيل امام الجماعة على المأموم ، ما يكشف عن حقيقة ما ذكرناه من لزوم صفاء القلب مع الامام ، و هو ما رواه في المستدرك عن كتاب تحف العقول ، في حديث طويل قال : وأمّا حقّ امامك في صلوتك ، ان تعلم انّه قد تقلّد السّفارة فيما بينك و بين الله ، و الوفادة إلى ربّك ، و تكلّم عنك ، ولم تتكلّم عنه ، ودعا لك ، و لم تدع له ، وطلب فيك ، ولم تطلب فيه ، و كفاك همّ المقام بين يدي الله ، و المسائلة فيك ، ولم تكفه ذلك ، فان كان في شيء من ذلك تقصير كان به دونك ، و إن كان اثماً لم تكن شريكه فيه ، ولم يكن عليه فضل ، فوقي نفسك بنفسه ، وصلوتك بصلوته ، فتشكر له ، على ذلك ، ولاحول ولا قوّة إلّا بالله .

أقول : لا يخفى على العاقل ، انّ من وضع امام صلوته بهذا
الموضع ، و عامله معاملة السّفير الوافد المتكلّم عنه ،
مع الله بذل له كل الدنيا وروحه ويرى ذلك قليلا في جنب
الله جلّ جلاله فضلا عن الصّفاء والوفاء . . .

بعون الله وحسن توفيقه

الحمد لله رب العالمين خاتمه یافت طبع این کتاب جامع شریف که از آثار نفیسه علم الاعلام نابغة الزمان تارك مهلكات نفسانیه و واجد مرضات شرعیه قدسیه الهیه حجة الاسلام وعمدة المحققین وزبدة العلماء العاملین بحر التقی علم الهدا مرحوم حاج میرزا جواد آقای ملکی تبریزی طیب الله تربته و قدس الله روحه بر حسب قیام بعضی ازصلحاء و اخیار اهل علم و معارف برای مرتبهٔ ثالثه این کتاب مستطاب بزینت طبع متحلی گردیدو از اعلام و بزرگان که طبع سابق را ملاحظه نموده‌اند وآگاه بر زحمات آنها گشته‌اند استدعادارد که هنگام مطالعه طلب مغفرت جهت متصدیان مذکور خصوصاً وجود محترم آقای آقا شیخ محمد صادق نصیری که فعلا اوقات شریفشان در دار العلم قم مصروف درس و تدریس میباشد بفرمایند الحق ایشان قربة الی‌الله برای این کتاب وتصحیح آن کمال کوشش را نموده‌اند.

و السلام علی من اتبع الهدی و ترك الهوی و الصلوة والسلام علی خاتم الانبیاء و ائمة الهدا غره ماه رجب ۱۳۹۱

حياة المؤلف قدس سره

«(اعلام الشيعه ص٣٢٩ ج ١ ط النجف)» هو الشيخ الميرزا جواد آقا ابن الميرزا شفيع الملكي التبريزي نزيل قم عالم فقيه واخلاقي فاضل ورع ثقة كان في النجف الاشرف اشتغل فيها على اعلام الدين فقد اخذ مراتب السلوك عن الاخلاقي الشهير «(المولى حسينقلي الهمداني)» واكمل نفسه عليه وتتلمذ في الفقه والاصول على العلامة الشيخ آقا رضا الهمداني وغيره من العلماء وعاد الى ايران سنة ١٣٢٠ فاستوطن دار الايمان «(قم)» وقام بوظائف الشرع وكان مروجاً للدين مربياً للمؤمنين الى ان توفى يوم عيد الاضحى سنة «(١٣٤٣)» ورثاه تلميذه الشيخ اسماعيل بن الحسين المتخلص «(بتائب)» بقصيدة ارخ في آخرها عام وفاته وسماها بـ«(القصيدة الجوادية)» وله تصانيف منها كتاب اسرار الصلوة طبع «(١٣٣٩)» على الحجر وطبع ثانياً بالحروف «(١٣٨١)» وهو ندا امام القاري وله ايضاً كتاب السير الى الله المطبوع قريباً من هذه السنة في عاصمة «(طهران)» وكتاب «(اعمال السنة)» لم يطبع بعد ونرجو المولى سبحانه ان يوفقنا لطبعه ونشره واما استاده قدس سره فهو الشيخ المولى حسينقلي بن رمضان الشوندي الدرجزيني الهمداني النجفي من اعاظم العلماء واكابر فقهاء الشيعة وخاتمة علماء الاخلاق في عصره تتلمذ على الشيخ المرتضي الانصاري في الفقه والاصول وعلى حاج المولى هادي السبزواري في العلوم العقلية وعلى رجل التقوى والمعرفة السيد على التستري قدس سره في التهذيب والاخلاق وفاق فيه اعلام الفن وشملته العناية الربانية فعرج به الى اعلى مقامات الانسانية وكان رضوان الله عليه مرابط زواري الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الانصاري رحمه الله ومن اراد تفصيل ترجمته فليراجع «(اعلام الشيعة الجزء الثاني من المجلد الاول ص٦٧٤ طبع النجف الاشرف)» .

